الشريعة وحرية التصرفات المالية
الإحكام الإلهي لا التخبط البشري

إن من أعظم الأسس التي بني عليها نظام التصرفات المالية: رعايةَ حق التملك، وصيانةَ الأملاك عن كل يد ظالمة تعمد إلى إلغاء هذا الحق، أو الحد منه من دون مسوغ شرعي، ويحصل هذا عندما يختص كل مالك بما يملكه، ويتصرف فيه بوجوه التصرف المختلفة، المعبر عنها بحرية التصرف، وهي أصل طبيعي وشرعي، ودليله قوله صلى الله عليه وسلم: «من أحيا أرضاً ميتة، فهي له، وليس لعرق ظالم فيها حق»، وقال مالك: (والعرق الظالم كل ما احتفر أو أخذ أو غرس بغير حق)، وعن سالم بن عبد الله عن أبيه أن عمر بن الخطاب قال: «من أحيا أرضاً ميتة، فهي له» قال مالك: (وعلى ذلك الأمر عندنا).

وهذا إقرار من الشريعة بأن المال حق للذي اكتسبه بطريق من الطرق الصحيحة شرعاً؛ لأن حق الاكتساب للمال يخول المرء حيازته والاستبداد به عن الغير، فلا يباح إلا بإباحته، ويمنع بمنعه، ولا يتصرف في جزء منه إلا بإذنه، فأصبحت له سلطة على ما اكتسبه، صار معها حق الله تابعًا لحقه، قال ابن عبد السلام: (... أما الأموال فحق الله تعالى فيها تابع لحقوق العباد، بدليل أنها تباح بإباحتهم، ويتصرف فيها بإذنهم)، ومن ثم استحق مكتسب المال صفة المالك تمييزًا لسلطته على ما اكتسب عن غيره من الخلق، قال صلى الله عليه وسلم: "كل ذي مال أحق بماله، وكل ذي حق أحق بحقه، وكل ذي ملك أحق بملكه".

واعتباراً لمعنى حرية التصرفات المالية، جاء عن مالك أنه بلغه أن عاملاً لعمر بن عبد العزيز على آيلة كتب إليه: أن قومي يمترون القمح منها إلى غيرها، وأنه بلغني أن أمير المؤمنين منع طعامًا أن ينتقل.

فكتب إليه عمر بن عبد العزيز: ما ظننت أن أحد أبه لهذا، وأن الله تعالى أحل البيع وحرم الربا، فخل بين الناس، وبين البيع والابتياع، قال مالك: (كان من العيب الذي يعاب به من مضى، ويرونه ظلمًا عظيمًا منع التجر).

ولولا اعتبار حرية التصرف في الأقوال والأعمال، لما كانت الإقرارات، والعقود، والالتزامات، وصيغ الوصايا، والوقف، مؤثرة آثارها؛ ولذلك لا يلتفت إليها متى تحقق أنها صدرت في حالة إكراه، وبناءً على هذا ذهب الحنفية إلى أنه لو تعاقد اثنان على عدم الاشتغال في التجارة يكون ذلك العقد غير مفيد؛ لأن حرية الإنسان في اختيار الوسيلة المشروعة لاكتسابه من النظام العام في الإسلام فلا ينبغي تقييدها.

واستنادًا إلى هذه المعاني اتفق العلماء على اشتراط الاختيار، وإطلاق التصرف في الشخص الذي يباشر عقد البيع، وإلا فإن البيع لا يصح.

ومما يندرج تحت هذا المعنى قول المالكية بفسخ بيوع الثنايا ما دام البائع متمسكًا

بشرطه؛ وهي أن يبيع الرجل السلعة؛ على أن المشتري لها لا يبيعها ولا يهبها، أو إن باعها المشتري فالبائع أحق بها بالثمن الذي اشتريت به منه، أو على أنه فيها بالخيار إلى أجل بعيد لا يجوز الخيار إليه، أو ما يشبه ذلك من الشروط التي تقتضي التحجير على المشتري وتقيد حرية تصرفه في السلعة التي اشتراها.

وحتى يكون لزوم العقد لزومًا صحيحًا وذا أثر في الواقع اشترط في وجوده حصول صيغ العقود، وهي الأقوال الدالة على التراضي بين المتعاقدين، أو ما يحل محلها ويأخذ حكمها، كالأفعال والإشارة في بعض التصرفات؛ لأن المقصود من العقود هو الرضا فما دل عليه كفى.

ومن أجل هذا قال الفقهاء في حكمة مشروعية البيع، وهي الوصول لما في يد الغير على وجه الرضا، وجعلوا أول أركانه الصيغة، وقالوا في تفسيرها: هي الإيجاب والقبول، أو ما يشاركهما في الدلالة على الرضا الباطن من قول أو فعل قصد به ذلك.

والذي يبدو لي من هذا الكلام أن التراضي أساس الالتزام؛ أي إنه إذا تعاقد شخصان على تصرف معين، وتراضيا به، وجب عليهما الالتزام بمقتضياته .

ولهذا جعل الفقهاء ظهور ما يدل على الرضا بالعيب من المبتاع مانعاً من الخيار ومبطلاً للرد مطلقاً سواء كان ذلك بالقول أو بالسكوت أو بالفعل.

ولا يفهم من هذا الكلام أن كل ما رضي به العاقدان أو أحدهما من التصرفات والالتزامات ملزم له كيفما كان، وإنما يلزمهما مما رضيا به من التصرفات ما كان وقوعه موافقًا للشريعة، أما ما كان مخالفًا لها فهما ممنوعان منه، ولا عبرة لرضاهما به، قال ابن حارث: (انظر فكل صفة انعقدت على ظاهر الصحة والسلامة ثم تبين فيها وجه، لو تعاملا عليه لم يجز البيع فلا يجوز أن يتراضيا بتنفيذ ذلك الوجه الذي لا يحل التعامل فيه).

ولما كان التراضي والطواعية شرط في كل عقد، كان الإكراه على البيع مانعًا من لزومه للمكره عليه؛ وذلك لافتقاده أهلية المعاوضة المبنية على الرشد، وعدم الإكراه، ولهذا المعنى قال الفقهاء في بيع المضغوط: إن البيع لازم من جهة غير المضغوط، ولا خيار فيه إلا للمضغوط وحده.

هذا نزر قليل من فيض الشريعة في مجال المعاملات المالية التي وضعتها للمكلفين الداخلين تحت سلطانها، أردت من خلاله أن ألفت عناية أخواني غير المنتمين إلى الاختصاصات الشرعية أن يطالعوا حكمة الشريعة وفلسفتها في هذا النظام المحكم للمعاملات المالية؛ فإنهم سيستمتعون بما يسبح بهم في عالم المثال الإلهي الذي بسلطانه يصقل النفس، ويهذب الطبائع، ويعرج بالتفكير إلى مدارج النماذج المنتخبة لقيادة الأمة والإشراف على سلوكها ليكون مطابقا للسلوك النبوي.

والله الموفق لما فيه الخير والصلاح لهذه الأمة

مدير التحرير

د. عز الدين بن زغيبة

الشريعة وحرية التصرفات المالية الإحكام الإلهي لا التخبط البشري

سؤال الحداثة ومرجعيته في الفكر النقدي لدى "رمضان حمود"

د. عبد القادر شارف
قسم اللغة العربية - كلية الآداب واللغات -
جامعة الشلف (الجزائر)

مقدمة

لا يخفى على المهتمين بالدراسات الأدبية والنقدية في الجزائر إسهامات الشاعر والناقد الجزائري "رمضان حمود" في تحديث الدرس النقدي، ومحاولة التأسيس لمدرسة نقدية جزائرية تتبنى الطرح المعاصر للارتقاء بالأدب العربي وجعله في مصاف الأدب العالمي، وقبل أن ننزلق إلى الوقوف على أدب الرجل، وإبراز ملامح التجديد في أدبه من خلال شخصيته وجهوده الجبارة في تطوير الأدب الجزائري وجب التعريف به، فمن يكون؟.

ولد الشاعر والناقد الجزائري "رمضان حمود" سنة (١٩٠٦م)، وتوفي سنة (١٩٢٩م) بغرداية، فقد تأثر بالأخلاق الطيبة والاستقامة في الدين وحبّ الوطن، وهي شيم غرسها فيه جدّه ووالده قبل أن يبلغ سن السادسة من عمره، والتحق بإحدى المدارس الفرنسية بمدينة غليزان، أين بدأت مواهبه تُظهِر تفوقه واجتهاده ونبوغه، وهو في تلك المرحلة من العمر، وعلى الرغم من صغر سنه إلا أنّه أدرك ما يدركه المفكرون الكبار بما يعانيه التعليم في أرضه المغتصبة من قبل الفرنسيين، فهو يقرأ ويتعلم بلغة غير لغته على الرغم من حداثة المناهج التعليمية آنذاك، لكنّه من ناحية أخرى لا يجد تاريخ شعبه ومقوماته وتراثه الديني والثقافي واللغوي والأدبي ضمن تلك المناهج، مع علمه أنّ المدارس الجزائرية التي كانت في زمنه لا تملك مناهج عصرية في التعليم نتيجة ضغط المستدمر عليها.

قرّر "رمضان" أن يبدأ رحلة علمية إلى زيتونة تونس أين التقى بمشايخها وعلمائها وبخاصة الجزائريين منهم أمثال: أبو اليقظان، واطفيش، والثميني، وغيرهم كثير .

وجد "رمضان" ضالته بتونس، فانكبّ على المطالعة وكتابة الشعر وفنون الخط العربي، ثم انظم إلى مدارس السلام والخلدونية والقرآنية الأهلية والجامع الأعظم؛ حيث درَس علوم اللغة والطبيعة والتاريخ والجغرافيا والتشريح والهندسة، توفي إثر مرض السّلّ في سنة (١٩٢٩م) بمسقط رأسه غرداية.

بداياته النقدية

كان من الواضح بعد أن اطلع "حمود" على الآداب الأجنبية أن يحاول عصرنة الأدب العربي بدعوته إلى الاحتكاك بالآداب الغربية -محاكاة وليس تقليدًا-، فقد رأى أنّ الشعر الجزائري بات من التقليدي القديم الذي يمكن أن يجذبه إلى مراحل الانحطاط التي عرفها الأدب من قبل.

لقد أدرك "حمود" أنّ الوقت قد حان لتجديد الشعر ليساير العصر كما فعل الغربيون –شعراء الثورة الفرنسية- فليست لغة الشعر الشكسبيرية- على الرغم من مكانتها- هي لغة الشعر عند إليزابيت باريت مثلًا، ولتحرير الشعر من قيود التقليد لابدّ من أن يبدع الشعراء في موضوعات هي من صميم الحياة الراهنة، وأن يطوّروا لغة الشعر كي تؤثر في المتلقي المعاصر الذي لا يشبه القدامى ولا يستطيع أن يكون مثلهم، يقول: "أنا لا أقصد بالترجمة الترجمة اللفظية والاختلاس والمسخ وقتل الأدب بالسيوف العجمية شر قتلة... بتحطيم الأوضاع والقواعد الأساسية والبلاغة العربية والامتيازات والفروق التي بني عليها كل قوم... ولكن أقول وأكرّر بكل حرية، وأتفوّه بما أعتقد... إنّ الأدب العربي مريض ومشرف على الهلاك إن لم يتداركه أبناؤه في عصر خالف تمام الاختلاف عصوره المتقدمة، فهو يحتاج إلى دواء ناجع يوافق علّته، ومزاج طبيعته المنغمسة في حالة الجوّ الحار، إنّ لكل زمان رجالا، ولكل أدب مخصوصا به لا يزن أن يقلّده بالجيل الذي يليه"[1].

ورمضان حمود بهذا الرأي يرى أنّ الأدب الجزائري لا يمكنه أن يكون لصيقًا بالأدب العربي القديم؛ لأنه – في نظره – جاوز مرحلة أخرى تختلف تمامًا عن العصور المتقدمة في تلميح إلى تغيُّر الإنسان بتغيُّر أسلوب حياته وتفكيره وحتى بعض جوانبه اللغوية، مِمَّا يفرض عليه أن ينظر إلى الحياة بمنظار عصره ويكتب بما يخدم بنيته الاجتماعية، و"حمود" هنا في إشارة إلى ارتباط الأدب بالحياة، وهو ما يعرف ب"الالتزام"، فهو يعيش في مجتمع عربي ممزّق الأطراف بفعل انتداب لبعض الأطراف واغتصاب –استدمار– بلغة الاستعمار لأقطار أخرى، فهو يحاول أن يقول إنّ على الأديب أن يكون ابن بيئته ولسانها الذي يتكلم بها ويتأثر بآلامها ويدافع عن مقوماتها وحريتها، وهو ما لمحه في الأدب الغربي وبخاصة بعد الثورة الصناعية كانت موضوعات الأدب تعالج قضايا ترتبط بالحياة عامة، وهذا ما أراده "حمود" في دعوته إلى تطوير الأدب بعيدًا عن أسئلة الرجوع إلى تراث القدامى واستلهامه.

ومع هذا كانت رسالته في نقد الشعر أقوى، دون أن يمسّ بجوهر الشعر العربي وقيمته اللغوية والتاريخية والحضارية.

مفهومه الشعر

دافع "حمود" عن الشعر بوصفه فنًّا وموهبة من ناحية، ورسالة وحضارة من ناحية أخرى،

يقول: "هو أعلى منزلة من أن يتناوله هؤلاء النظامون الماديون عبيد التقاليد وأعداء الاختراع؛ إذ لا يدرك كنهه إلا من له فكر ثاقب وعقل صائب، وذوق سليم، حتى يقدر أن يستخرج دُرَّه من صدفه، وسمينه من غثه، ومن ينبش دفائنه بغير هذه الآلات الثلاث فقد حاول مستحيلًا وطلب أمرًا عسيرًا "[٢].

وهذا الكلام يدّل على مدى حرصه على الارتقاء بالشعر دون الرجوع به إلى تقاليد القدامى، فهو يدلل كذلك على صفات الشاعر الحقيقي الذي تنصهر ملكاته ومواهبه وعواطفه في قالب واحد ليقدّم فنًّا يخدم به الفن والواقع والمجتمع في آن واحد.

القصيدة العربية

اهتم "حمود" بالقصيدة العربية شكلها ومضمونها، واصفًا أنّهما في تلاحم تام، ولا يمكن فصلهما عن بعضهما؛ لأنّهما يكملان بعضهما، مركزًا في نفس الوقت على الجانب الفني في الصورة الشعرية، وبخاصة الصدق الفني الذي يعبر عن قلب الشاعر المملوء إحساسًا وشعورًا، وضميره المفعم بالمبادئ والقناعات والأخلاق.

ولكي يبرهن "حمود" على آرائه النقدية وأفكاره الأدبية، استلهم فكرته من دستور المسلمين ومرجعيتهم المقدسة وكتابهم العزيز، فيقول: "ولو أنّهم قصدوا بالشعر الوزن والقافية، لما قالوا في بداية الدعوة المحمدية على صاحبها أفضل السلام أنّ القرآن شعر، وأنّ صاحبه شاعر مجنون، مع علمهم أنّه كلام مرسل لا أثر للوزن والقافية فيه، وأنّ صاحبه لم يسمع منه بيت في سوق من أسواقهم، ولا في مجتمع من مجتمعاتهم، ولا تُحُدّث عنه بذلك"[٣].

وصدق الإحساس عند "حمود" هو أساس نجاح التجربة الفنية للشاعر الذي شبّهه بالرسام الذي يعتمد على ثلاثية الشعور والعين والخيال الذهني وما يربط كل ذلك بالموهبة؛ حيث يقول: " الشاعر من هذه الوجهة لا يختلف عن الرسام في شيء، فكما أنّ الرّسّام لا ينجح إلا إذا تزوّد بطاقة حيّة من الشعور، وكان المنظر الذي يريد رسمه حاضرًا في ذهنه وأمام عينيه، كذلك الشّاعر لا طاقة له على امتلاك العقول والأخذ بأزمة النفوس إلا إذا أجاد تصوير العواطف الهائلة التي تقوم في ميدان صدره الرحب عندما يريد أن يعرب للسّامع عن خواطره الخاصة أو العامة لا مجرد تنسيق وتزويق وتكلف مشين وكذب فادح؛ لأنّ هذا مِمّا ينقص من قيمة الشعر والشعراء في الأمة النبيهة"[٤] فالشاعر في نظر "حمود" يصور المشاعر ليبعثها عبر كلمات وعبارات محبوكة تصل إلى الأسماع والعقول والقلوب في انسجام وتناسق بين العاطفة والكلمة بعيدا عن التكلف الذي يشين الشعر وينقص من قيمة الشعر والشعراء في الأمة النبيهة.

الملكة الشعرية

يعدّ "حمود" الشعر إلهام ووجدان، وهو هنا متأثر بجماعة الديوان، ويتقاطع مع فلسفة أفلاطون في نظرته العامة للفن والشعر باعتقاده أنّ الشعر إلهام يتميز به فئة قليلة من الناس هم أولئك الذين أوتوا مشاعر وعواطف وأحاسيس تتناسق مع صور الطبيعة المتنوعة، فالشعر عنده " إلهام وجداني ووحي الضمير، ولابد أن يصدر

عن نفس حشاشة في نفحاتها"[5]، وأن يكون من النوع الذي يتسرب إلى أعماق النفوس المثيرة الحيّة[6].

ولعلّ نظرته هذه تبين شخصيته التي تعشق صراحة العواطف وصدق البوح الفني، ساعيًا لتحقيق الطابع الاجتماعي الإصلاحي للشعر، يقول: " ولست من الذين يكتبون للتسلية والترويح عن النفس، ولا الذين يتذللون بالعبارات المنمّقة الرقيقة، ولكن أكتب لأفيد وأستفيد لا ليقال إنّه كتب، بل ليقول لي ضميري أنّك قمت بواجبك وأديت ما عليك فكن مطمئنًا"[7].

إنّ نظرة "حمود" للشعر بوصفه رسالة سامية وفنًا راقيًا ملتزمًا هي النظرة التي نشأ بها الفكر الفني عنده، وبها تميّز، إنتاجه الشعري، ودارت عليه معظم أفكاره النقدية، فالقارئ لشعره يلمح شخصية الالتزام في الشعر، والتي يمزجها برؤية نقدية واعية في تفاعل دلالي يجعل المتلقي يتنقل بين الكلمات، وبين المعاني تارة وبين تقنيات التواصل الشعري تارة أخرى، إثباتًا لرسالة الشعر التي أرادها "حمود" للشعر بالمفهوم الحديث.

موقف رمضان حمود من لغة الشعر

كان "رمضان حمود يؤمن بأنّ رسالة الشاعر والشعر تحقق مبتغاها وغايتها الفنية والمعنوية عندما يبتعد الشاعر عن التكلف، ويستخدم لغة بسيطة، وأسلوبًا غير معقّد، وبذلك يستطيع تبليغ خطابه الشعري والتعبير عن أحاسيسه في قالب تتفاعل فيه عواطفه مع أحاسيس ومشاعر المتلقين، وهو بذلك يحقق غاية الصدق الفني، حيث يقول: " فيا أيّها الأدباء الأحداث انبذوا عنكم التكلف والتنطع في اللغة، وأفرغوا المعنى الجميل في اللفظ الجميل"[8]، ويقول معرفًا حقيقة الشعر[9]:

فَقُلْتُ لَهُمْ لَمَّا تَبَاهُوا بِقَوْلِهِمْ
أَلاَ فَاعْلَمُوا أَنَّ الشُّعُورَ هُوَ الشِّعْرُ
وَلَيْسَ بِتَنْمِيقٍ وَتَزْوِيقِ عَارِفٍ
فَمَا الشِّعْرُ، إلاَّ مَا يَحِنُّ لَهُ الصَّدْرُ
فَذَاكَ هُوَ (الشِّعْرُ الحَقِيقُ) بِعَيْنِهِ
وَإِنْ لَمْ يَذُقْهُ الجَامِدُ، المَيْتُ، الغِرُّ

ويعاتب حمود أولئك الذين يعيشون في القرن العشرين، ولكنهم يكتبون بلغة امرئ القيس وطرفة والمهلهل والجاهليين[10]، ويدعو الشاعرَ بأن يكتبَ بلغة يفهمها الناس فيقول:[11]

في النَّاسِ قَوْمٌ لَنْ يُبَالُوا إن أَتَوْا
بِغَرِيبِ لَفْظٍ أو قَبِيحِ بِنَاءِ
وَضَعُوا الكلامَ لنفْسِهِم وضَمِيرِهِمْ
لاَ لِلأَنَامِ كَعِبْرَةٍ عَلْيَاءِ

فمفهومه للشعر إذن أبعد ما يكون عن شيلته ومظاهره البديعية، وأنفذ ما يكون إلى الأسرار الخفية وراء الأوزان والقوافي وإلى الروائع المتعددة الملهمة لهذه الأسرار[12]، فحمود في الأبيات يهاجم المتكلفين الذين لا يُعَبِّرُونَ عن سليقة أدبية أو عن ملةٍ تحبُّ الجمال وتهفو إليه، وإنّما ترى في الشعر لغة صعبة وتكلفا[13]، يقول:

إنَّ التَّكَلُّفَ والتَّعَمُّلَ هَفْوَةٌ
ذَهَبَتْ بِرُوحِ الشِّعْرِ والإِنْشَاءِ

فحمود يريد من الشاعر الصدق في التعبير،

والتوسط في لغته بين مفرداتها ومعانيها، كي يفهمها جمهور المتلقين، ويؤثر في عقولهم كما يؤثر في عواطفهم؛ حيث يقول: "لا يسمى الشاعر شاعرًا عندي إلا إذا خاطب الناس باللغة التي يفهمونها بحيث تنزل على قلوبهم نزول ندى الصباح على الزهرة الباسمة، لسنا في حاجة لأن يكلمنا الشاعر في القرن العشرين بلغة امرئ القيس وطرفه والمهلهل الجاهليين الغابرين، يجب على الشعراء الكبار أن يتنازلوا إلى مخاطبة الطبقة الوسطى والسفلى من الأمة أي العامة التي هي هيكل الشعوب ومرجعها الوحيد عند المدلهمّات ويقتدوا – بقطع النظر عن اختلاف الأديان- بشعراء فرنسا وأدبائها في إبان انفجار بركان الثورة الكبرى"[١٤].

وعلى الرغم من أنّه في زمن "حمود" كان هناك من دعاة العامية في المشرق العربي – مصر مثلاً- الذين استغلوا بعض مظاهر الصدق الفني ليدعوا إلى استخدام اللهجات في نظم الشعر، إلا أن "حمود" لم تؤثر فيه تلك الدعوات، إيمانًا منه بمكانة اللغة الفصحى كهوية ثقافية وأدبية لا يجب المساس بها، وفي هذا المنحى يقول:" أجهدوا أنفسكم في درس لغتكم في فهم أسرارها، في تدقيق معانيها، في إتقانها غاية الإتقان، فإذا تمّ لكم المراد واستحوذتم على جانب وافر منها، أنبذوا عنكم كل صلة بينكم بين ماضيها اجعلوها وسيلة إلى نيل مآربكم لا غاية تتجاوزونها، غيّروا، فنّنوا واسعوا، وأصلحوا فإنّكم بذلك تكونون عصرًا: أنت ما يحلو لك"[١٥].

وينتقد "حمود" الشاعر أحمد شوقي قائلاً: "على شوقي أن يخالف كل من سبقوه من الشعراء حتى يخطو بالأدب العربي المنكسر على السماء العاتية فيبلغ رسالته النبيلة كما فعل الفرنسيون بأدبهم"[١٦]، وهو هنا يقصد شعراء الثورة الفرنسية؛ لأنّهم أذكوا نار الثورة بطريقة ذكية، وألهبوا الحماس في نفوس الجماهير، فأيقظوا الهمم الفاترة وألبوها على النظام الفاسد فثارت ضد الظلم والاستبداد[١٧]، ممّا يدُّل على تأثره بنزعة التجديد في الأدب الغربي ومحاولة إسقاط ذلك على الأدب العربي دون المساس بجوهره بل بتسخير أغراضه لخدمة قضايا المجتمع.

وعليه، فإنّ غاية "حمود" هي جعل الشعر رسالة إصلاحية اجتماعية لا إحيائية للتقاليد الشعرية القديمة كما فعل أصحاب الاتجاه الإحيائي في المشرق العربي؛ ولذلك سجّل على شوقي مأخذًا على الرغم من إدراكه لمكانته الريادية في الشعر، يقول عن أمير الشعراء "إنّ شوقي قد أحيا الشعر العربي، وأعاد للقصيدة العربية رونقها وجمالها ولكنّه مع ذلك كلّه لم يأت بشيء جديد لم يُعْرَف من قبل أو سنّ طريقة ابتكرها من عنده خاصة به دون غيره أو اخترع أسلوبًا يلائم العصر الحاضر"[١٨].

فمآخذ "حمود" عن "شوقي" تتمثل أساسًا في أسلوب التقليد للشعراء القدامى على الرغم ممّا أوتي من موهبة فريدة في نظم الشعر، يقول: "أنا لا أقول أنّ شوقي ليس له بعض قصائد تحوم حول السياسة والاجتماع وبخاصة في هذه السنين الأخيرة بعد الحرب العالمية كالتي بكى فيها دمشق أخيرًا تحت عنوان (ظئر الإسلام) أو أنّه غير قادر على ذلك معاذ الله، ولكن أريد أن أقول: من يجود بمثل (صدى الحرب) و(كبار حوادث وادي النيل) و(النيل) بِنَفَسٍ واحد، على

نفس واحد، لا يتخللها ملل ولا ضعفٌ ولا قصور لقدير وأيّم الله، وقدير على أن يدبج بيراعه السيال، وفكره الجوال آيات شعرية (دراماطيقية) هائلة حماسية، متقدة وطنية عالية: يتضاءل بجانبها شعر (فولتير) و(لامارتين) وروايات (شكسبير) و(هيجو)"[١٩].

ويواصل موصيًا وداعيًا للنهوض برسالة الشعر: "إننا نترقّبُ ليل صباح خطةً جديدة يسنها لنفسه بنفسه، ويدعو الناس إليها ويباشرها بيده"[٢٠].

لقد كان إعجاب رواد مدرسة الإحياء والإصلاح من شعراء الجزائر إعجابا شديدًا، فشوقي وحافظ إبراهيم يمثلان النموذج الأمثل، والقدوة لهم؛ "لأنّ شعرهم يعالج في مضامينه واقعهم ويلمس أذواقهم ويثير مشاعر العروبة والإسلام فيهم"[٢١]، وبخاصة أنّ شعرهما تميّز بطابعه الإصلاحي والقومي؛ ولذلك فشعراء الحركة الإصلاحية لم يولوا أهمية لماهية الشعر بقدر ما كانت غايتهم إحيائية وإصلاحية لأوضاع اجتماعية وثقافية واقتصادية دينية خلفها الاستدمار الفرنسي؛ لذا فهم لم "يقفوا وقفات طويلة في تحديد ماهية الشعر وتعريفه بقدر ما أولوا أهمية كبيرة لوظيفة الشعر ودوره ومكانته في الحياة والمجتمع، وكذلك مهمة الشاعر ورسالته في التوجيه"[٢٢].

وأمّا المجددون بزعامة "رمضان حمود" فنظرته كانت تؤازر سبيل المحافظين الإصلاحيين إلا فيما يخص قوانين الشعر، فقد كان له رأي آخر فالشعر -عنده- "تيار كهربائي مركزه الروح وخيال لطيف تقذفه النفس لا دخل للوزن ولا للقافية في ماهيته وغاية أمرهما أنّهما تحسينات لفظية اقتضاها الذوق والجمال في التركيب لا في المعنى كالماء لا يزيده الإناء الجميل عذوبة ولا ملوحة، وإنّما حفظًا وصيانة من التلاشي والسيلان"[٢٣]، وهو بهذا ينتقد التعريف القديم للشعر بأنّه الكلام الموزون المقفى، ورأى بأنّه: "ظن فاسد واعتقاد فارغ وحكم بارد"[٢٤]، معتقدًا أنّ الشعر ليس مجرد وزن وقافية، بل هو حسّ مرهف وشعور صادق وخيال خصب، والأكثر من ذلك أنّه نتاج منظومة فكرية وجهاز معرفي، وتجربة معيشية، ولذلك نراه يخاطب الشعراء بما يفهمون فيسوق لهم البرهان بلسانهم قائلا[٢٥]:

أَتَــوا بِـكَــلَامٍ لا يُـحَـرِّكُ سَـامِـعًا
عَجُوزٌ "له شطرٌ وشَطْرٌ هُوَ الصَّدرُ"

وَقَدْ حَشَرُوا أَجْزَاءَهُ تَحْتَ "خَيمَةٍ"
كَعَظْمٍ رَمِيمٍ، نَـاخِرٍ، ضَمَّـهُ القَبْرُ

وَزَيْـن بِـالـوَزْنِ، الَّذِي صَارَ مُقْتَفَى
بِـقَـافِـيَـةٍ لـلـشَّـطِّ يَـقْـذِفُـهَـا الـبَـحْـرُ

وقَالُوا وضَعْنَا الشِعْرَ لِلنَّاسِ هَادِيًا
ومَـا هُـوَ شِـعْـرٌ سَـاحِـرٌ لا وَلاَ نَثْرُ

وَلَـكِـنَّـهُ نَـظْـمٌ وقَـــوْلٌ مُـبَـعْـثَـرٌ
وَكَـذِبٌ وَتَـمْـوِيـهٌ بِـهِ يَـمُـوتُ الفِكْرُ

لقد أدرك حمود كيف يكون الشعر روح شعبه ولسانها المتكلم عن طموحاتها وضميرها المدافع عن مبادئها وقلبها الذي يحسّ بآلامها ويستشعر آهاتها، داعيًا الشعراء أن ينبذوا التقليد ويتجنبوا مواضيع الرثاء والمديح والهجاء، ويهتموا بتوجيه شعوبهم وتوعيتها وإيصال أصواتهم،

فالهجاء والرثاء والمديح لا تصلح؛ " لما بينها وبين الحقيقة اليوم من التباس لما في المديح من التنازل عن الكرامة، وفي الهجاء من البذاءة، وفي الرثاء من التعداد الذي قلما يصدق فيه قائله، والجميع في الأكثر لا يفيدنا معنى اجتماعيًا ولا غيره وعلى الأخص في بيئتنا"[٢٦]، وهذا توجيه للشاعر للاهتمام بالقضايا التي تهمُّ المجتمع وتخدم توجهاته المختلفة، وبذلك يكون " الشعر سلاحًا من أسلحة الفكر الإصلاحي الأمر الذي يجعل منه أداة لنشر المعاني الإصلاحية، فنشأ ما أطلقنا عليه شعر الدعوة دعوة إلى النهوض إلى العلم، وإلى اليقظة وأخيرًا دعوة إلى رفض الفكر الغيبي"[٢٧].

ويزيد الشاعر الناقد مفهومه للشعر وضوحًا بفقرات نشرها في كتابة (بذور الحياة)، وجمعها تحت عنوان (الشعر والشاعر) فيقول[٢٨]: "الشعر وحي الضمير وإلهام الوجدان، الشعر موج متدفق يقذفه بحر النفس الطامي، الشعر تموجات روحانية تخترق القلوب الحيّة، الشعر هو ما حرّك الساكن وسكّن المتحرك، الشعر أنْفَسُ هدية تقدّمها الطبيعة الهادئة إلى القلوب الكسيرة، الشعر هو تلك الجانبية الساحرة التي تجمع بين النخلة وزهرة الربيع الفاتحةِ أكمامُها".

ولكي يدلّل على أنّ الفن عمومًا، لا الشعر فحسب، هو وليد تجربة إبداعية مضنية، غاية في البحث والتدقيق، مصبوبة في قوالب فنية، وهي فضلًا عن ذلك لا بد لها من أن تنتج أنساقها الفكرية ونظامها الجمالي ومنظوماتها الرئوية، لكي يدلّل على ذلك، نراه يقول في الفقرة التالية[٢٩]: "الشاعر والمصوّر جيران للفن والجمال، وكلاهما مدين للإجادة والتدقيق في النظر والبحث، فهذا في المحسوسات وذلك في الروحانيات".

الصورة الشعرية

قضية الصورة من أعقد القضايا التي واجهت رمضان حمود، فهي عنوان عبقريته، وطريقة تصوُّره لتجربته، ووسيلته إلى إيصال هذه التجربة إلى المتلقين، فهي لا تنهض إلا على أساس من التعبير المجازي، وليس ثمة تصوير يتشكل من دون اللجوء إلى المجاز بمفهومه الواسع؛ ذلك أنّ الصورة عمادها خيال المبدع (الشاعر) الذي يقوم بالتقاط العلاقات المرهفة أو الخفيّة بين الأشياء، ولكي يسوغها في تركيب لغوي، فلا سبيل إلا أن يبتعد عن المباشرة والتقرير ويتجه نحو المجاز.

وقد برز في زمن "حمود" نقاد التفتوا إلى الشعر من جانب الوزن واللغة والذوق والإحساس والعاطفة، وبحثوا في الصورة الشعرية؛ لذلك دعا الشاعر إلى دقة التصوير وجودتها، فالشاعر لا طاقة له على امتلاك العقول والأخذ بأزِمّة النفوس إلا إذا أجاد تصوير تلك العواطف الهائلة التي تمور في ميدان صدره الرحب، لا بمجرد تنميق وتزويق، وتكلُّف مشينٍ وتعمُّلٍ بارد، وكذب فادح، فإنّ هذا ما ينقص من قيمة الشعر والشعراء في نظر الأمة النبيهة[٣٠]، وهو بهذا يرمز إلى الصدق الفني ودور العاطفة في إبراز الصورة الشعرية، واصفًا صدق عاطفة الشاعر في رسم صوره الشعرية كعامل أساس في جودة شعره أو رداءته، وهي عنصر هام في تحديد قيمة نصه الشعري.

منبع التجديد: أسبابه ودوافعه

تأثّر "رمضان حمود" في زمانه بالحركة الرومانسية؛ ليؤسّس مع غيره من الشعراء اتجاهًا جديدًا آنذاك عُرف بالاتجاه الوجداني، نتيجة عوامل مختلفة أهمُّها التقاء الشعراء العرب مع الرومانسية الأوروبية، وبالتحديد جماعة الديوان وأدباء المهجر؛ فالرومانسية كانت ترى "طلب الحرية والانطلاقة الغنائية وغلبة الإحساس الغامض على الفكرة الواضحة المحدودة المعالم والتعبير عن تأزم الفكر والإرادة والقلق والكآبة والتشاؤم والتمزق بالشعور بالجبرية"[31]، وهذا كلُّه يتقاطع مع توجه "حمود" ورؤيته، واصفًا أنّ الشاعر ينبغ في لحظة الألم والحزن الظلم والاستبداد ما ينعكس على نزعته الوجدانية في الجزائر الجريحة المغتصبة من وحش دامي يقتل الحي ويسرق الجماد، وهذا ما يجعلنا نستنتج أنّ الشعر الوجداني في الجزائر ظهر نتيجة المأساة الاستعمارية والقومية الوطنية وهوية الأرض والدين والتقاليد الجزائرية؛ أي ردّ فعل تلقائي على ظروف سياسية واجتماعية واقتصادية وثقافية ودينية دفعت الشعراء إلى التعبير عن عواطفهم إزاء تلك الظروف، ومن ثم تطور مفهوم الشعر ووظيفته بربطه بعلاقة الفرد بالمجتمع، وتعزّز ذلك بآراء "حمود" ونظرياته النقدية، ومحاولة تطبيق ذلك في شعره[32].

كما رأى "حمود" أيضًا في دعوته الأديب الناشئ أن يربط زاده من اللغة بروحه الحساسة وشاعرية كلمته وعباراته "يتقدم إلى مهنة الشعر والأدب بزاد النحو والصرف أو العروض والقوافي أو البلاغة والمادة اللغوية ... ما لم يسعف كل ذلك في نفسه وازع قوي نحو التجربة الأدبية، فهو ليس بضاعة كما يقولون، ولكنّه إلهام وجداني ووحي الضمير... إنّ الأدب الذي لا يصدر عن نفس حسّاسة في نفحاتها لا يتسرّب إلى أعماق النفوس الحيّة بل لا يخلد طويلا، ولا يلبث أن يقضي عليه سلطان النسيان والإهمال[33]، يقول في قصيدة الحرية[34]:

ما لشعبي الكئيب بات حزينا
يرسل الدمع تارة والأنينا
بات يشكو الهوان والليل داج
مثل حظ الشقي والبائسينا
بات يحصي النجوم والدمع نساب
على الوجنتين دمعا هتونا
قلت هونا فأنت كالبدر فينا
بالفدا لا أكون عنك ضنينا
أيها الضاحكون والشعب باك
من صروف تشيب به الجنينا
ذاب قلبي ومات جسمي شهيدا
من هموم تنهال كالغيث فينا
يا إلهي وأنت تعلم سري
بين قومي صرت الغريب الحزينا
عجل النصر للبلاد فأنا
لمهاوي البلا نساق غرينا

والواقع أن الاتجاه الرّومانسي في الأدب يعطي أهمية كبيرة للصورة الفنية والعواطف الجياشة؛ حيث تعطي الرومانسية للشعور مكانة

سؤال الحداثة ومرجعيته في الفكر النقدي لدى "رمضان حمود"

هامة وتجعل منه أساسًا لصدق التجربة الفنية.

التجديد في القصيدة

رافق حركة التجديد في الشعر الجزائري انعكاس الظروف السياسية والاجتماعية والاقتصادية على الجوّ العام المرتبط بمظاهر وظروف الحياة الخاصة بالشعب الجزائري، وظهرت بذور التجديد الأولى على يد الشاعر والناقد الشاب "رمضان حمود" في قصيدته "يا قلبي" التي نشرت في مجلة وادي ميزاب العدد (٩٦) في العاشر من أوت (١٩٢٨م)، يقول:

أنتَ يا قلبي فريد في الألم والأحزان،

ونصيبك من الدنيا الخيبة والحرمانْ

أنـــــت يـــا قـلـبـي تـشـكـو

هـمـومًـا كـبـارًا وغـيـر كـبـارْ

أنــت يـا قـلـبـي مـكـلـوم ودمـك

الـطـاهـر يـعـبث بـه الـدهـر الـجـبّارْ

ومثلت ثورة "حمود" الأدبية والنقدية ظاهرة متفردة في الشعر الجزائري الحديث بدعوته إلى تجديد المفاهيم الأدبية، والنهوض بالشعر وبخاصة في دعوته إلى تحرير القصيدة الشعرية من قيود الوزن والقافية، بوصفهما غلًا للشعر وقيدًا للعملية الإبداعية ككل، مبينًا أنّ شعرية الشّعر أو ما يجعل الشّعر شعرًا، ليس هو الوزن ولا هو القافية؛ ولذلك نجده في معرض التأسيس لفكرته هذه، يقول عن العرب الأولين: "ولو أنهم قصدوا بالشعر الوزن والقافية لما قالوا في بداية الدعوة المحمدية على صاحبها أفضل السلام أن القرآن شعرًا... مع علمهم أنّه كلام مرسل لا أثر للوزن فيه"[٣٥]، وفي معرض محاولته البرهنة عمليًا على صدق ما يقول، نراه يتبع هذه الدعوة التجديدية بنماذج شعرية من تأليفه، محاولًا أن يطبق فيها ما نظّر له، فيأتي تارة بمقطوعات شعرية لا أثر للقافية فيها، وتارة أخرى بمقطوعات لا مجال للوزن فيها ولكن مع التزام القافية، وهو ما رام إليه في قوله: "على أنّ النهضة الأندلسية وإن حطّمت أغلال القافية التي أنّ الشعرُ تحت ضغطها الحديدي وأدخلت تحسينات في الوزن المعروف، فإنّها لم تتجاوز هذه الحدود المادية"[٣٦]، فقد عُرِف الشاعر حمود رمضان ثائرًا متمردًا، داعية لطي ما بَلِيَ من آثار الحياة... نزّاعًا إلى الابتكار في أوسع مجالاته، وهذه الدعوة على ما نظن ما هي إلا جزء من رغبة التّحرر الشاملة في الحياة ككل، وليس في الثقافة والأدب فحسب؛ حيث يقول: "شغفي بالتجديد في كل شيء، فما بالك بالأدب الذي هو كل شـيء"[٣٧]، وقوله: "اتخاذي في الأدب دينًا غير الذي دانت به القدماء"[٣٨].

ونعتقد أنّه لا يمكننا فهم هذه الأفكار النقدية لشاعرنا إلا في إطار دعوته التجديدية (شكلًا ومضمونًا) التي ظلّ ينادي بها عاليًا ويدعو إليها صراحة، وهي دعوة تتمثل في وجوب التّحرر من رتابة الماضي (الموضوعاتية)، وتفعيل عملية التجديد بتهيئة المناخ الفني الملائم لظروف العصر وملابساته، ومن خلال الانفلات من عقال التقليد، ولذلك نراه يقول[٣٩]:

أَلاَ جَـدِّدُوا عَصْرًا منيرًا لِشِعْرِكم

فَسِلْسِلَةُ التَقْلِيدِ حَطَّمَهَا العَصْرُ

وسِيرُوا بِـهِ نَحْوَ الكَمَالِ، ورَمِّمُوا

مَـعَالِـمَـهُ حَـتَّـى يُـصَـافِـحَـهُ الـبَـدْرُ

وعلى الرغم من دعوات التجديد وما لازمها من آراء وأشعار، إلا أنّ ذلك لا يجعله ينسلخ من أمجاد الأمس، " فهو بالعكس من ذلك، اعتزازه بالأمس هو الدافع له على بعث حاضره ومستقبله، وحرصه على خلود التراث والموروث هو الباعث له على تجديده وتلقيحه بما يكسبه عنصر الحيوية"[٤٠]، ويقول: "ليس التجديد آلة نهدم بها ما بناه أسلافنا، لكنّه قوة غير متناهية نرمم بها الماضي، ونمهد بها للمستقبل"[٤١].

خلاصة

من هنا، وضمن هذا الإطار تكمن أهمية تأملات وأفكار رمضان حمود النقدية في محاولته للظهور كبديل جدي لما كان سائدًا، وكردٍّ على عبيد التقليد، وعلى أولئك الذين كانوا يعدون الشعر مجرد رصف للألفاظ ولقد شارك هذا الشاعر بهذا في هذا الجدل بصورة فعلية، وبمستوى عال من التفكير النظري، وهو لا يكتفي بهذا الطرح النظري التأسيسي لمفهوم الشعر ووظيفة الشاعر، بل يروح يجتهد ما أمكنه الاجتهاد في تقديم أمثلة نموذجية شعرية تُترجِمُ عمليًا ما يدعو إليه ويتبناه.

الهوامش

١- يظر: صالح خرفي، حمود رمضان، المؤسسة الوطنية للكتاب ١٩٨٥م، ص٩٠.

٢- المرجع نفسه، ص٩٧.

٣- المرجع نفسه، ص١٠٢.

٤- محمد ناصر، الشعر الجزائري الحديث اتجاهاته وخصائصه الفنية ١٩٢٥-١٩٧٥م، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ط٣، ١٩٨٦م، ص١٢٨.

٥- المرجع نفسه، ص٦٧.

٦- المرجع نفسه، ص١٧

٧- محمد ناصر، م-س، ص١٢٨

٨- المرجع نفسه، ص١٢٨

٩- حمود رمضان، حقيقة الشعر وفوائده، سلسلة مقالات متتابعة نُشرت في مجلة (الشهاب) ٣٠ رجب ١٣٤٩/ ٠٣ فيفري ١٩٢٧م، عن صالح خرفي، م. س، ص ٤٤.

١٠- عن صالح خرفي، م. س، ص ٤٤

١١- عن صالح خرفي، م. س، ص.١٠٥

١٢- حمود رمضان، حقيقة الشعر وفوائده، الشهاب. عن صالح خرفي، م. س، ص ٤٤.

١٣- عبد الله الركيبي، الشعر الجزائري الديني الحديث، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر ١٩٨١م، ص٦٤١..

١٤- المرجع نفسه، ص١١٧ وما بعدها.

١٥- صالح خرفي، م. س، ص ١٢٣.

١٦- محمد ناصر، م-س، ص١٢٨

١٧- محمد ناصر، م-س، ص٧٢.

١٨- حمود رمضان، بذور الحياة، ص ١١٥. عن د/ عبد الله الركيبي، م. س، ص ٦٤١.

١٩- يظر: صالح خرفي في: حمود رمضان، م. س، ص١١٠.

٢٠- المرجع نفسه، ص١١٠.

٢١- المرجع نفسه، ص٦١.

٢٢- محمد ناصر، الشعر الجزائري الحديث اتجاهاته وخصائصه، ص٦٨.

٢٣- حمود رمضان، حقيقة الشعر وفوائده، (نظرة عامة وبحث لطيف) مجلة الشهاب. عن صالح خرفي، م. س، ص ١٠١.

٢٤- المرجع نفسه، ص٩٧

٢٥- المرجع نفسه، ص٩٧.

٢٦- محمد الهادي السنوسي، شعراء الجزائر في العصر الحاضر، ج٢، ١٣٤٥هـ ١٩٢٦ المطبعة التونسية، ص٩٧.

٢٧- كمل عجالي، الطيب العقبي أديبا، مخطوط أطروحة دكتوراه دولة جامعة باتنة١٩٩٧/١٩٩٨م ص١٤٢.

٢٨- حمود رمضان، بذور الحياة، الشهاب ١٩٢٨. عن صالح خرفي، حمود رمضان، م. س، ص ٤٥.

٢٩- المرجع نفسه، ص ٤٥.

٣٠- محمد ناصر، م-س، ص١٢٩.

٣١- نسيب نشاوي، المدارس الأدبية في الشعر العربي المعاصر، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر ١٩٨٤م، ص١٥٧.

٣٢- محمد ناصر، م-س، ص١٢٥

٣٣- صالح خرفي، ص٦٧

٣٤- محمد الهادي السنوسي، شعراء الجزائر في العصر الحاضر،

إعداد وتقديم عبد الله حمادي، دار بهاء للنشر والتوزيع، قسنطينة، الجزائر، ٢٠٠٧م، ج١، ص١٧٢.

٣٥- ينظر: صالح خرفي في: حمود رمضان، م. س، ص١٠٢.

٣٦- المرجع نفسه، ص١٠٦.

٣٧- المرجع نفسه، ص٦١

٣٨- المرجع نفسه، ص٦١

٣٩- المرجع نفسه، ص١٠٥.

٤٠- المرجع نفسه، ص٦٠.

٤١- المرجع نفسه، ص٦٠.

قائمة المصـادر والمراجع

١- حمود رمضان، حقيقة الشعر وفوائده، (نظرة عامة وبحث لطيف)، سلسلة مقالات متتابعة نُشرت في مجلة (الشهاب) ٣٠ رجب ١٣٤٩/ ٠٣ فيفري ١٩٢٧م.

٢- صالح خرفي، حمود رمضان، المؤسسة الوطنية للكتاب ١٩٨٥م.

٣- عبد الله الركيبي، الشعر الجزائري الديني الحديث، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر ١٩٨١م، ص٦٤١..

٤- كمل عجالي، الطيب العقبي أديبا، مخطوط أطروحة دكتوراه دولة جامعة باتنة١٩٩٧/١٩٩٨م.

٥- محمد ناصر، الشعر الجزائري الحديث اتجاهاته وخصائصه الفنية ١٩٢٥-١٩٧٥، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ط٣، ١٩٨٦م.

٦- محمد الهادي السنوسي، شعراء الجزائر في العصر الحاضر، إعداد وتقديم عبد الله حمادي، دار بهاء للنشر والتوزيع، قسنطينة، الجزائر، ٢٠٠٧م.

٧- نسيب نشاوي، المدارس الأدبية في الشعر العربي المعاصر، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر١٩٨٤م، ص١٥٧.



نقد تحقيق كتاب:
"حمية الإسلام بالنبيّ"
لابن قنفذ القسنطيني

د. محمد فاضلي
بيروت - لبنان

شهدت السنوات القليلة الماضية اهتمامًا بالتراث الجزائري المخطوط فهرسةً وتحقيقًا ونشرًا، فظهرت محاولات لنشر الأعمال الكاملة[1] لأمثال: الثعالبي والمقّري والشمّني وغيرهم، وطُبعت كتب متفرّقة لعلماء آخرين ظلّت حبيسة الخزائن تأكلها الأرضة ويعفّي أثَرها الإهمال.

وكان سروري شديدًا حين أهداني أخ كريم كتاب "حمية الإسلام بالنبيّ عليه الصلاة والسّلام" لابن قنفذ القسنطيني الصّادر عن دار ابن حزم بتحقيق الدكتور محمّد بوركبة وتقديم أ.د الأخضر الأخضري، ولكنّ السرور استحال حيرةً حين تصفّحت الكتاب فوجدته في السيرة النبويّة، وأنا أعلم أن لابن قنفذ كتاب "وسيلة الإسلام بالنبيّ" في السيرة، ثمّ استحالت الحيرة خيبةً حين عرضت الحمية على الوسيلة فإذًا هي هي !! كتاب واحد بعنوانين[2] وقبل أن نعرض لعمل المحقّق والجدوى من نشره الكتاب ثانية، تبقى مسألة لم أجد لها تفسيرًا وتفصيلها:

من المعلوم أنّ لابن قنفذ كتابًا في السيرة النّبوية اسمه "وسيلة الإسلام بالنبيّ " فقد ذكر هذا بنفسه في ثبت كتبه الذي أورده في آخر كتابه "شرف الطالب"[3] فقال: (ومنها وسيلة الإسلام بالنبي عليه السلام، وهو من أجلّ الموضوعات في السّير لاختصاره)، ونقلَ هذا الثبتَ كاملاً وفيه ذِكرُ "وسيلة الإسلام" ابن مريم في كتابه "البستان"[4]، كما ذكره الروداني في كتابه "صلة الخلف"[5] مُوردًا إسناده للمؤلف فقال: (لأبي العباس أحمد بن حسن بن علي الشهير بابن الخطيب القسنطيني، وبابن قنفد، به

إلى عبد الله بن مرزوق الحفيد، عنه. وكذا:... ووسيلة الإسلام بالنبي عليه الصّلاة والسلام). ولكن ورد في المخطوط الذي حقّقه سليمان الصيد من "الوسيلة"[6] لفظ (حمية) كما في الصورة:

وحمية الإسلام بالنبيّ عليه الصّلاة والسّلام

وورد في مصوّرة النسخة التي اعتمدها المحقّق بوركبة[٧] أيضًا لفظ (حمية). ويمكن للنّسخة التي عثر عليها الدكتور عبد العزيز دخان ووصفها بالجيّدة كما ذكر في مقدمة تحقيقه لكتاب "شرف الطالب"[٨] أن تحلّ لنا هذه المسألة.

ومن عادة المصنّفين أن يلمّحوا في الديباجة إلى عنوان الكتاب فلعلّ في قول ابن قنفذ في مقدّمة كتابه[٩]: (الحمد لله الّذي من تواضع لله رَفعه... وَمن توسل إِلَيْهِ بِمُحَمد صلى الله عَلَيْهِ وَسلم نجاه ونفعه) وبعدها بعشرة أسطر: (رَغْبَة فِي الثَّوَاب وَالْأَجْر وتوسّلاً بِسَيِّد الْبشر) إشارة من طرف خفيّ إلى عنوان كتابه، وقد وهِم الدكتور محمد أبو بكر باذيب[١٠] حين ظن أنّ عنوان الكتاب (ظُهُور الْبركَة بِقِرَاءَة الحَدِيث النَّبَوِيّ فِي السّكُون وَالْحَرَكَة) استنتاجًا من قول ابن قنفذ: (وَسميت هَذَا الْمَجْمُوع لظُهُور الْبركَة بِقِرَاءَة الحَدِيث النَّبَوِيّ فِي السّكُون وَالْحَرَكَة وَسِيلَة [في المخطوطين: حمية] الْإِسْلَام بِالنَّبِيِّ صلى الله عَلَيْهِ وَسلم) فسياق الكلام لا يدلّ عليه واللام قبل لفظة ظهور تنفي ذلك.

وبعد هذا نجد أنفسنا أمام نشرة جديدة لكتاب "وسيلة الإسلام" صدرت بعنوان "حمية الإسلام" ذات عجائب لاتنقضي:

فمن عجائبها أوّلاً: أنّ محقّقها لم يكلّف نفسه الاطّلاع على الكتاب المطبوع ولو بدافع الاستئناس بكتب ابن قنفذ وهو يحقق كتابًا له، ناهيك عن أنّ الكتاب في السيرة النبوية؛ أي إنه مشترك مع كتابه الذي حقّقه: مؤلّفًا وموضوعًا وأكاد أقول وعنوانًا. وكتاب "وسيلة الإسلام" صدر عن دار الغرب الإسلامي سنة ١٩٨٤م وذِكْره مستفيض على الشابكة. بل ذَكره المحقّق مرتين في ص ٤٢ حين همّش على ورود عنوان "وسيلة الإسـلام" بقوله: (قام بنشره وتقديمه الأستاذ سليمان الصّيد سنة ١٤٠٤ هـ / ١٩٨٤م) وفي ص ٦٨ بقوله في الهامش): هناك كتاب لابن قنفذ في السيرة النبوية بعنوان:"وسيلة الإسلام بالنبيّ عليه الصلاة السلام" تقديم وتعليق الأستاذ سليمان الصيد المحامي، طبع بدار الغرب الإسلامي بيروت سنة ١٩٨٤م).

ومن عجائبها ثانيًا: أن النسخة التي اعتمدها المحقّق تنتهي بعبارة: (تمّ بِحَمْد الله وَحسن عونه...على يَد ناسخه أَحْمد وَصلى الله على سيدنَا مُحَمَّد وعلى آله وَصَحبه وَسلم تَسْلِيمًا) كما في صورة الصفحة الأخيرة من المخطوط وأثبتها في ص ٢٠٤ من كتابه. لكنّه ينهي نصّه المحقّق بـ (تمّ بِحَمْد الله وَحسن عونه... على يَد ناسخه أَحْمد] [ابن أبي عبد الله بن أبي سِتَّة البلخيري ثمَّ الْعمريّ نسبًا ومنشأ وَصلى الله على سيدنَا مُحَمَّد وعلى آله وَصَحبه وَسلم تَسْلِيمًا)[١١] فمن أين جاءت بقيّة الاسم والمحقّق قد اعتمد مخطوطًا يتيمًا ليست هذه الزّيادة واردة فيه ؟؟

ومن عجائبها ثالثًا: وصف المحقّق المخطوطَ الوحيدَ الذي اعتمده بقوله: (يقع المخطوط المصوّر في ٤٩ ورقة على ورق عادي بخط مغربي أسود مع مسحة أندلسية. ولكن بعض صفحاته صعبة القراءة إلا بعد جهد كبير وتركيز قويّ ومقاس الورقة الواحدة ٢٢ سم طولاً و١٦ سم عرضًا وفي كل ورقة ٢٢ سطرًا)[١٢] ووضع آخر الكتاب ص ٢٠٣ و٢٠٤ صفحتين مصوّرتين من أول المخطوط وآخره، وهذا نموذج من خطّهما:

تم بحمد الله وحسن عونه وتوفيقه يوم الجمعة عند الضحى في شهر الله المحرم سنة تسع وتسعين بعد المائة الألف على يد ناسخه أحمد

ولكن فاته أنّ هذه ليست نسخة مصورة عن مخطوط من سنة ١١٩٩ هـ / ١٧٨٤م، بل هي نسخة مرقونة بحرف Arabswell_1 [١٣] على برنامج وُورد، وهذه مضاهاتها من جهازي:

تم بحمد الله وحسن عونه وتوفيقه يوم الجمعة عند الضحى في شهر

الله المعظم سنة تسع وتسعين بعد المائة الألف على يد ناسخه أحمد

وبعد هذه العجائب الثلاث – والعجائب جمّة – نبدأ جملة ملاحظات على الدراسة التي قدّم بها للتحقيق:

ملاحظات على قسم الدراسة:

وردت في الدراسة وفي الفقرات التي حرّرها المحقّق – ويعدّ أغلبها ليس من إنشائه كما سنبيّن– عبارات غير علمية تعوزها الدقّة ومثالها في ص ٢٥: (كان لها تلميذًا نجيبًا وطالبًا ذكيًا يستدرك الآفاق) ولم أفهم كيف تُستدرك الآفاقُ! وفي ص ٤٤: (لايوجد في صفحات المخطوط... زخارف ولا كسور ولا خروم) فحبّذا لو شرح لنا المحقّق الكسورَ التي تكون في صفحات المخطوط وفي ص ٢٧: (كان كثير التواجد (كذا) والتردد على مدينة دكالة والتي كان يُعقد بها كلّ سنة مؤتمرًا صوفيًّا (والصواب: مؤتمر صوفيّ))، هذه معلومة أفادنا بها المحقّق أن مؤتمرات للتصوّف كانت تعقد في القرن الثامن الهجري، والمؤلف نفسه سمّاه اجتماعًا في النصّ نفسه!!

وحين ينقل المحقّق نصًّا ويحاول صوغه بلغته يقع في أخطاء شنيعة، ومن ذلك ما جاء في مقدّمة كتاب "الفارسية"[١٤] عند الحديث عن ابن مرزوق التلمساني: (العلّامة الحافظ الرحّال الخطيب وقلّما منبرٌ في عواصم الإسلام لم يخطب عليه)، فصارت على يد المحقّق ص ٣٣: (العلّامة الحافظ الرحّالة الخطيب، وكان قلّمًا منبريًّا في عواصم الإسلام). والأشنع من ذلك حين تحوّل هذا النصّ من مقدمة كتاب "شرف الطالب"[١٥]: (ومؤلفات ابن قنفذ كثيرة دوّن معظمها في آخر كتابه "الوفيات" الذي ذيّل به "شرف الطالب") إلى: (ومن المعروف أن ابن قنفذ كانت له مؤلفات كثيرة دوّن غالبيتها في آخر كتابه "الوفيات" الذي به ذيل اسمه "شرف الطالب") فأصبح "شرف الطالب" ذيلاً "للوفيات" وصار التّابع متبوعًا فسبحان من يرفع قومًا ويضع آخرين!

وما يحسب على المحقّق أنه ينقل من مراجع نقلاً حرفيًّا دون إشارة ولا عزو ففي ص ٢٢،٢١ يقول: (لا يعرف تاريخ مولده على وجه اليقين؛ لأنه هو نفسه لم يذكر تاريخ ولادته في أي من مصنفاته غير أن التنبكتي صاحب نيل الابتهاج جعلها في حدود سنة ٧٤٠ هـ – ١٣٣٩م على قول ابن قنفذ نفسه في هذه الأبيات) ونقل أبياتًا ثلاثة. ولو رجعنا إلى مقدّمة "شرف الطّالب"[١٦] لوجدنا: (لا يعرف – على وجه اليقين– متى ولد المؤلف؛ لأنه هو نفسه لم يذكر هذا في مؤلفاته التي عُرفت لحدّ الآن، ولم يذكر ذلك أحد ممن ترجم له إلا أن التنبكتي جعلها في حدود سنة ٧٤٠ هـ وهذا اعتمادًا منه على شعر للمؤلف أورده في آخر الوفيات) ثم أورد الأبيات الثلاثة.

في ص ٤٢: يقول المحقّق: (أما آتيفه التي لم يذكرها في ثبته والتي يعتقد أنه ألّفها بعد سنة

نقد تحقيق كتاب: "حمية الإسلام بالنبيّ" لابن قنفذ القسنطيني

٨٠٧ هـ، أي في السنتين الأخيرتين من حياته فهي: ١ـ تحصيل المناقب وتكميل المآرب.
٢ـ شرح المنظومة الحسابية في القضايا النجومية لأبي الحسن علي بن أبي الرجال القيرواني.
٣ ـ طبقات علماء قسنطينة) وهذه الفقرة منقولة حرفًا حرفًا وبهوامشها عن مقدّمة عادل نويهض لكتاب "الوفيات"[١٧].

وأكبر النقول ممّا يلامس حدّ السرقة الأدبية الموصوفة امتدّ من ص ٢٩ إلى ص ٣٧ أي تسع صفحات كاملة، مع تحوير قليل لا يتعدى الكلمة والكلمتين سلخها المؤلف من مقدمة كتاب "الفارسية"[١٨] فانتهب تراجم ستة عشر شيخًا، ولم يبذل أقلّ جهد ليضيف أساتذة آخرين لم يردوا في مقدمة كتاب " الفارسية " مع أن في من لم يُذكر مشاهيرُ كالقبّاب ولسان الدين ابن الخطيب والزّجراجي[١٩].

وهذا النقل غير المنسوب أوقعه في تدليس، وأكتفي بإيراد مثلين:

- في ص ٣٠: كتب المحقق في الهامش: (ابن قنفذ الوفيات ص ٥٧ ـ ٥٨) وحين نعود إلى طبعة "الوفيات" التي اعتمدها وذكرها في مصادره آخر الكتاب (وهي نشرة نويهض) نجد أن محلّ الإحالة فيها هو ص ٣٧٦، فمن أين جاء بالرقمين ٥٧ـ٥٨ ؟ لقد نقلهما ببساطة من هامش "الفارسية" عند الخبر نفسه. والرقمان يشيران إلى نسخة مخطوطة من الوفيات اعتمدها محققًا "الفارسية" !!
- يُثبت المحقّق في غلاف كتابه أنّ ابن قنفذ توفي سنة ٨١٠ هـ ولكنّ عند ذكر وفاته في ص ٣٧ من المقدمة يذكر بأنّ الزركشي انفرد في تاريخه بأنّ ابن قنفذ توفي سنة ٨٠٩ هـ ونقلَ المحقّق نصّ الزّركشي ثمّ عقّب عليه بقوله: (وعند التحقيق لا نشكّ أنّ ما ذكره الزّركشي هو الصّواب؛ لأنه حقّق وفاته ليلة وشهرًا وسنة، ولأن وفاة ابن قنفذ لا بدّ أن تكون في سجلّات الحفصيين؛ لأنه كان قاضيًا في قسنطينة والزّركشي مطّلع على هذه السجلّات، وغلط في ذكر وفاته من أرّخه من علماء المغرب لاختلاف الأقطار، إذ هم من قطر المغرب وابن قنفذ من قطر افريقية فلا غرابة أن يتأخر وصول خبر وفاته.) ومن يقرأ هذه الفقرة يعتقد أنّ المحقّقَ سيتبنى رأيَ الزّركشي، فلماذا لم يفعل ذلك؟ السّبب أن النصّ منقول حرفيًا من مقدّمة "الفارسية" وهو رأي محقّقَيها.

وآخر ملاحظة على قسم الدّراسة أنّ المحقّق لم يفِ بما وعد فهو يقول في ص ١٦ : (وبالنسبة لتفسير وشرح الكلمات والألفاظ الواردة في متن المخطوط تم الرجوع إلى مصادرها الأساسية)، وذكر "الصّحاح" و"التاج" و"اللسان"، ولكنّه لم يشرح في طول الكتاب وعرضه سوى ستة ألفاظ عدًّا وهي: الأعدل والراكد وحمية والحنظلة والعنزة، وفسّرَ الأبعرة في ص ١٢٩ بالناقة والصواب: الأبعرة جمع بعير وهو الجَمَل. وأعرضَ عن شرح ما يتعذّر فهمه على القارئ العادي مثل:مغتسل من صُفْر والكتم والعذق وعُكّة وفرسًا قطُوفًا.

وكذلك لم يشكل الشعر وقد قال في مقدمته: (ومن أجل توثيق وضبط الأبيات الشعرية بشكل تامّ وصحيح استعنت بالدواوين الشّعرية) فكان حديثه قبضَ ريح، ولي مع المحقّق في تحقيق

الأشعار الواردة في الكتاب وقفة تطول، أبدأ بها مع ملاحظة أنّ قوله ص ١٦: (استعنت بالدواوين الشعرية التي تنوعت حسب ما جاء في المخطوط من الجاهلي والإسلامي) غير صحيح، فهو استعان بديوان واحد لا مجموعة دواوين وهو ديوان حسان المذكور في مصادره.

في توثيق الشعر:

في قسم الدراسة (ص ٢٢) ورد البيت الآتي:

وقد أصبح عند حلول إحدى
وثامنة على كسل وسهو

والبيت من الوافر هو مكسور الوزن وصوابه: (وقد أصبحتُ)، وهكذا ورد صحيحًا في المصدرين اللذين رجع إليهما المحقّق وهما: "نيل الابتهاج"[٢٠] و"الوفيات" [٢١].

وورد في قسم الدراسة أيضًا (ص ٣٨) البيت الأول من بيتين:

بالله يا مستعير الكتب دعني
فإنّ إعارة الكتب عار

والبيت من الوافر وهو مكسور صدرًا وعجزًا وصوابه:

ألا يا مستعير الكُتب دعني
فإنّ إعارتي للكُتب عار

ونسبهما المحقق لابن قنفذ من غير توثيق غير أني لم أهتد إلى مصدر هذه النسبة، ووجدتهما منسوبين لسعد الدين التفتازاني (ت ٧٩٢ هـ) في كتاب "الصبابات"[٢٢]، ودون نسبة في "نفحة اليمن"[٢٣]، وكذلك في "إتحاف أعلام الناس"[٢٤]، ووهم فيليب دي طرازي في كتابه " خزائن الكتب العربية في الخافقين "[٢٥] في نسبة البيتين إلى محمد بن خليفة التونسي.

في ص ٨٤: قال ابن قنفذ: ولهذا أشار أبو طالب بقوله في قصيدته:

وشقّ له من اسمه ليجلّه
فذو العرش محمود وهو محمّد

والبيت من الطويل وقد علّق المحقق بقوله: (أخطأ النّاسخ أو المؤلف في من قال هذه الأبيات، بل هو الشاعر المخضرم شاعر الرسول صلى الله عليه وسلم حسان بن ثابت الأنصاري).

وصواب البيت كما في ديوان حسان[٢٦] وجميع المصادر التي ورد فيها:

وشقّ له من اسمه ليجلّه
فذو العرش محمود وهذا محمّد

بقطع همزة الوصل للضرورة حتّى يستقيم الوزن، وما كان على المحقّق أن يتسرّع في تخطئة النّاسخ أو المؤلف علمًا أنه اعتمد في تحقيقه على "الإصابة"[٢٧] و"سير أعلام النبلاء"[٢٨] وفيهما ورد البيت صريح النسبة إلى أبي طالب. وأزيد المحقّق الكريم عشرة مصادر كلها قبل القرن الخامس الهجري فقط ورد فيها البيت منسوبًا لأبي طالب وهي:

"العلل ومعرفة الرجال"[٢٩] لأحمد بن حنبل (ت ٢٤١ هـ)، و"التاريخ الصغير"[٣٠] للبخاري (ت ٢٥٦ هـ)، وكتاب "السنّة"[٣١] للخلال (ت ٣١١ هـ)، و"الثقات"[٣٢] لابن حبّان (ت ٣٥٤هـ)، و"الكامل"[٣٣] لابن عدي (ت ٣٦٥ هـ)، و"الجليس الصالح"[٣٤] للمعافى بن زكريا (ت ٣٩٠ هـ)، و"دلائل النبوة"[٣٥] للبيهقي (ت

٤٥٨ هـ)، و"الاستذكار"[٣٦] و"التمهيد"[٣٧] لابن عبد البر (ت ٤٦٣ هـ)، و"شرف المصطفى"[٣٨] لأبي سعيد الخرشوكي " (ت ٤٧٠ هـ).

والذي أميل إليه أنّ البيت لأبي طالب – لا سيّما وأن ناسبيه في المصادر السّالفة رووه بأسانيدهم – ولكنّ حسّان بن ثابت ضمّنه قصيدته لشهرة البيت، ويؤيّد ما ذهبتُ إليه ما جاء في "البداية والنهاية"[٣٩] لابن كثير في قوله: (كما قال عمّه أبو طالب ويُروى لحسّان) فهو رجّح نسبته لأبي طالب مع ذكر النسبة المرجوحة أيضًا، أو ما جاء صريحًا في "تاريخ الخميس"[٤٠] للدياربكري حين قال: (وحسان بن ثابت ضمّن شعره هذا البيت) وفي "سمط النجوم العوالي"[٤١] للعصامي عند قوله: (فقال حسان وضمّن ذلك)، مع ملاحظة أن البيت أثبته محقق "ديوان أبي طالب"[٤٢] في مستدركاته فهو إذن متنازع النسبة للمُحتاط.

وفي الصفحة نفسها (ص ٨٤) ورد البيت الآتي:

وما حملت من ناقة فوق حملها

أبرّ و أوفى ذمّة من محمّد

والبيت من الطويل ونسبه المحقّق إلى أنس بن زنيم الكناني الدّيلي وخرّجه من "تاج العروس"[٤٣]، وصواب الاسم كما ورد في "التاج" نفسه وفي الطبعة عينها التي رجع إليها المحقّق هو: أَنس بن أبي أُناس بن زنيم، ولم يُثبت المحقّق الفرق بين رواية ابن قنفذ ورواية الزبيدي وفيها: (رحلها) بدلاً من (حملها)، والغريب أن يخرّج المحقّق البيت من كتاب لم يذكره في جريدة مصادره، ويهمل تخريجه من "السيرة النبوية" لابن كثير و"السيرة النبوية" لابن هشام و"الاكتفاء" للكلاعي و"تاريخ الطبري" و"الروض الأنف" للسهيلي و"الاستيعاب" لابن عبد البر و "الإصابة" لابن حجر،وجميع هذه الكتب من مصادر تحقيقه، وتُجمع كلّها على لفظ (رحلها) في صدر البيت.

مع ملاحظة أن السبكي في "طبقات الشافعية"[٤٤] نسب البيت إلى حسان بن ثابت ورواية البيت فيه:

وما حملت من ناقة فوق كورها

أعزّ وأوفى ذمّة من محمّد

وذاك وهم منه.

وفي ص ١١٧: ورد هذا البيت من جملة بيتين:

لقد بشرت بعد النبي محمدا

بجنة عدن زمرة رفقاء

وهو من الطويل وصوابُه:

لقد بُشّرتْ بعد النبيِّ محمّدٍ

بجنةِ عدنٍ زمرةٌ رفقاءُ

وخرّجه المحقّق من "عيون الأثر" لابن سيّد النّاس ولم يذكر الكتاب في جريدة مصادره، كما لم يذكر أنّ رواية "عيون الأثر"[٤٥] هي (زمرة سعداء)، وفاته أن يخرّجه من "درّة الحجال"[٤٦] و"السيرة الحلبية"[٤٧] وهما من مصادر تحقيقه، وذكر البيت أيضًا دون نسبة ابن اللبودي في"النجوم الزواهر"[٤٨].

في ص ١٢٠: ورد البيت الآتي منسوبًا لحسان بن ثابت من جملة بيتين:

وكم كربة أجلا الزبير بسيفه

على المصطفى والله يعطي ويجزل

وهو من الطّويل وصوابه كما ورد في "ديوان حسّان"[٤٩]:

وكم كربةٍ جلّى الزّبير بسيفه

عن المصطفى والله يعطي فيجزل

وخرّج المحقّق البيتين من "ديوان حسّان" ومن "معجم الصّحابة" للبغوي، في حين لم يرد في "معجم الصّحابة"[٥٠] سوى البيت الثاني.

ص ١٣٤: ورد بيت عبد الله بن رواحة:

إنّي تفرّست فيك الخير أعرفه

والله يعلم أن ما خانني النّظر

والبيت من البسيط؛ لم يجده المحقّق بهذه الرّواية فخرّجه تخريجًا مقاربًا من "المعجم الكبير" للطبراني ورواية عجز البيت فيه[٥١]: فراسة خالفتهم في الذي نظروا. ولو رجع المحقّق إلى "ديوان ابن رواحة"[٥٢] كما يفترض في أصول التحقيق – والدّيوان مطبوع متاح – لوجد البيت بلفظه مع تغيير كلمة واحدة وهي البصر محلّ النظر، بل ووجد محقّق الديوان وثّق القصيدة من تسعة عشر مصدرًا.

ص ١٣٧: ورد هذا البيت ثانيَ بيتين:

[ماضر] كانت الأنصار عيبته

ألّا يكون لهم من غيرهم أحد

والبيت من البسيط وهو مكسور الوزن، وصوابه كما ورد في "الاستيعاب"[٥٣] – المصدر الذي خرّج منه المحقّق البيت –:

ما ضرَّ من كانت الأنصارُ عيبتَه

ألّا يكون لهم من غيرهم أحد

ولا أدري أوّلاً معنى القوسين المعقوفين، ولا أدري ثانيًا ما جدوى الرجوع إلى المصادر ما دمنا لا نصوّب نصًّا ولا نتمّم نقصًا.

في ص ١٥٧: ورد الرجز الآتي هكذا:

يا حبّذا الجنة واقترابها [اقرابها]

طيبة [باردا] شرابها

والروم روم قد دنا عذابها

على إن لاقيتها ضرابها

وعلّق المحقّق في الهامش قائلا: (تحريف في كتابة الأبيات في النسخة المعتمدة:

يا حبّذا الجنة واقترابها

طيبة وباردة شرابها)

ولم يستبن لي هل البيت المثبت في النص هو الصحيح وما في الهامش هو التحريف أو العكس – وفي الحقيقة كلا الأخوين.... فالبيت متنًا وهامشًا خطأٌ بيّن وكسرٌ لم يجبر – كما لم يوضّح المحقّق على أيّ مصدر اعتمد في تصويبه. والصواب:

يا حبّذا الجنّةُ واقترابُها

طيبةً وباردًا شَرابُها

والرومُ رومٌ قددنا عذابُهَا

عليَّ إذْ لاقيتُها ضرابُها

والغريب أن هذا الرجز مذكور في كثير من كتب السّيرة والتاريخ وحتى الأدب بل هو مذكور صحيحًا في ستّة مصادر أوردها المحقّق في

نقد تحقيق كتاب: "حمية الإسلام بالنبيّ" لابن قنفذ القسنطيني

آخر كتابه وهي "السيرة النبوية"[٥٤] لابن هشام و"الروض الأنف"[٥٥] للسهيلي و"الاكتفاء"[٥٦] للكلاعي و"نور اليقين"[٥٧] للخضري و"الكامل في التاريخ"[٥٨] لابن الأثير و"السنن الكبرى"[٥٩] للبيهقي.

في ص ١٦١: ورد البيتان الآتيان للعباس بن عبد المطّلب:

نصرنا رَسُول الله فِي الحرب

سَبْعَة وقد فر من فر فاقشعوا

وثامننا لقي الحمام بسيفه

فيما مسّه وهو لَا يتوجع

وهما من الطويل وخرّجهما المحقّق من "الاستيعاب" لابن عبد البر وهما فيه:

نصرنا رسول الله في الحرب سبعة

وقد فر من قد فر عنه وأقشع

وثامننا لاقى الحمام بسيفه

بما مسه في الله لا يتوجع

والبيت الأوّل في نسخة المحقّق مكسور عروضيًّا، وفي رواية "الاستيعاب"[٦٠] إقواءٌ، فعلى أيّ جانبيك تميل؟ وصواب البيتين كما في "الجليس الصالح"[٦١] و"شرف المصطفى"[٦٢] و"عيون الأثر"[٦٣]:

نصرنا رَسُول الله في الحرب سبعةً

وقد فرَّ من قد فرَّ عنه فأقشعوا

وثامننا لاقى الحِمام بسيفه

بما مسَّه في الله لا يتوجّع

وهما في "فتح الباري"[٦٤] لابن حجر مع اختلاف في الرواية و"فتح الباري" مذكور في مصادر المحقّق دون أن يستفيد منه.

في ص ١٧٠: وردت هذه الأبيات الثلاثة لفاطمة الزهراء رضي الله عنها:

قل للمغيب تَحت أطباق الثرا

هل تسمعن صراخي وندايا

هذا على من شم تربة أحمد

ألا يشم مدى الزمان غواليا

صبت علي مصائب لو أنها

صبت على الأيام عدن لياليا

والأبيات من الكامل وصواب البيت الأول والثاني[٦٥]:

قلْ للمُغيَّبِ تَحتَ أطباقِ الثّرى

إن كنتَ تسمعُ صرختي وندائيا

ماذا على من شمَّ تربةَ أحمدٍ

ألا يشمَّ مدى الزّمان غَواليا

وقد خرّج المحقّق الأبيات من "جمع الوسائل في شرح الشمائل" في حين أنّ هذا الكتاب لم يُذكر فيه سوى البيت الثاني والثالث، وهذان البيتان مذكوران في "سير أعلام النبلاء"[٦٦] و"الاكتفاء"[٦٧] للكلاعي والكتابان من مصادر تحقيقه، إضافة إلى كتب كثيرة ورد فيها البيتان الأخيران ليس هنا مجال حصرها.

وفي ص ١٧٠: وردت بعد الأبيات السابقة أربعة أبيات أخرى لفاطمة الزهراء رضي الله عنها وهي:

قد كانت بعدك أنباء

لو كنت تشهدها لم يكثر الخطبا

إنـا فـقدناك فـقد الأرض وابلها

واخـتـل قومك بعد العهد واحتزبا

قد كـان جبريـل بـالآيـات يؤنسنا

فـغـاب عنـا وكـل الـخيـر محتجبا

وقـد رزئـنـا لـم يـرزه أحـد

مـن الـبريـة لا عـجمـا ولا عربا

وهي من البسيط ولم أجد هذه الأبيات برويّ الباء المفتوحة سوى عند ابن قنفذ، ويمكن تصويبها ببعض التكلّف لتصبح:

قد كـان بـعدك أنبـاءٌ وهَنْبَثَةٌ

لو كنتَ شاهِدَها لَمْ يكثُرِ الخُطَبا

إنـا فـقدناكَ فقْدَ الأَرْض وابلَها

واختـلَّ قومُكَ بعدَ العهدِ واحتَربا

قد كـان جبريـلُ بـالآيـاتِ يؤْنسُنا

فغاب عنّا و[صار] الخيرُ محتَجبا

وقـدْ رُزِئْـنـا بما لم يُـرْزَهُ أحَدٌ

مِـن الـبريَّـةِ لا عُـجْمًـا ولا عَربَا

ولكنّي لا أرتـاح لهذه الصّيغة ففيها من الضرورات ومن الركاكة ما فيها وإن سلِمتْ عروضًا وإلى حدّ ما لغةً، وصواب الأبيات تلفيقًا من بعض المصادر[٦٨]:

قـد كـان بـعدك أنـباءٌ وهَنْبَثَةٌ

لو كنتَ شاهِدَها لَمْ تكثُرِ الخُطَبُ

إنـا فـقدنـاكَ فـقْدَ الأَرْض وابلَـها

واختلَّ قومُكَ بعدَ العهدِ واحتَربوا[٦٩]

قـد كـان جبريلُ بـالآيـاتِ يؤْنسُنا

فـغـاب عنّـا وكـلُّ الـخيـرِ محتَجبُ

وقـــدْ رُزِئْـنـا بما لم يُـرْزَهُ أحَدٌ

مِـن البريَّةِ لا عُـجْمٌ ولا عَـربُ[٧٠]

ولو رجع المحقّق إلى المصادر التي اعتمد عليها كما هو مثبت في آخر كتابه لوجد البيت الأوّل في "المعجم الكبير"[٧١] و "الإصابة"[٧٢] منسوبًا لصفيّة بنت عبد المطّلب، ووجد البيت الأوّل والثّاني في "لسان العرب"[٧٣] وعجز البيت الثاني فيه: (**فاختلّ قومك فاشهدهم ولا تغبِ**)، وفي البيت إقواء. ولوجد أيضًا البيت الأول والثاني والثالث في "طبقات ابن سعد"[٧٤] غير أن عجز البيت الثاني فيها: (**فَاخْتَلَّ لِقَوْمِكَ وَاشْهَدْهُمْ وَلَا تَغِبِ**) وفي البيت إقواء كذلك، ورواية البيت الثالث في "الطبقات" كانت:

وَكَـانَ جِـبْـرِيـلُ بِـالْآيَـاتِ يَحْضُرُنَا

فَـغَـابَ عَنَّا وَكُـلُّ الْـغَـيْبِ مُحْتَجِبُ

والأبيات فيها منسوبة إلى هند بنت أثاثة.

وزيادة في التخريج أقول: ورد البيت الأوّل في "جمهرة اللغة"[٧٥] لابن دريد وفي "تهذيب اللغة"[٧٦] للأزهري وفي "غريب الحديث"[٧٧] للخطابي، وورد البيت الأول والثاني في "البيان والتبيين"[٧٨] للجاحظ وفي "بلاغات النساء"[٧٩] لابن طيفور وورد البيت الأول والثاني والثالث في " المحاضرات والمحاورات"[٨٠] للسيوطي مع اختلاف في الرواية.

والأبيات متنازعة النسبة بين فاطمة الزهراء رضي الله عنها وصفيّة بنت عبد المطّلب وهند بنت أثاثة، واطمأنّ الأربلي إلى أنّ صاحبة الأبيات هي هند بنت أثاثة في كتابه"كشف الغمّة"[٨١] حين نقل: (ثم التفتت إلى قبر أبيها

صلى الله عليه وسلم متمثلة بقول هند ابنة أثاثة)، غير أني أميل إلى أنّ الأبيات لصفيّة، وهو رأي دافع عنه بالحجج الباحث محمد شمس عقاب[٨٢]، كما أميل إلى أنّ الرواة زادوا في الأبيات، وما آفة الأخبار إلّا رواتها.

وفي ص ١٩٠: ورد البيت الآتي من جملة بيتين دون نسبة:

يا أيها المتعاطي وصف سؤدده

لا تعرضن لكيل و البحر بالغمر

وهو من البسيط وصواب عجزه: لا تعرضنّ لكيلِ البحرّ بالغُمَرِ، والغُمَر: القدح الصّغير. ولم يعْزُهُ المحقّق مع أنّه خرّجه من "المقدمات الممهدات"[٨٣] لابن رشد الجد وفي هذا المصدر يقول ابن رشد: (ولقد أحسن صاحبنا الفقيه أبو العباس في قوله في قصيدة له) ثم يورد البيتين، وأرجّح أن يكون المقصود بالفقيه أبي العبّاس أستاذ ابن رشد: أبو العباس أحمد بن عمر بن أنس العذري المعروف بابن الدلائي الأندلسي (ت ٤٧٨ هـ).

أخطاء النحو والإملاء:

حفل تحقيق الكتاب بكمٍّ جمٍّ من الأخطاء لم يوفّر نحوًا ولا إملاء ولا ضبطًا ولا ترقيمًا، ولو أقسم قائل أن بكلّ صفحة خطأ أو أكثر ما كان حانثًا، ولا أعني التطبيعات أو الأخطاء المسماة ظلمًا طباعيّة، والتّصحيح الجيّد روح الكتاب ورحم الله زمنًا كان المصحّحون فيه أمثال الهوريني والعدوي واطفيّش والزّاوي. ما ضرّ ناشرًا لو كلّف مصحّحًا مُجيدًا ينفي عن القمح زؤانه ويقدّمه للقارئ طعامًا سائغًا لا يغصّ فيه بين الكلمة وأختها.

قلتُ بغضّ النظر عن أخطاء الكتاب الطّباعية وأذكر بعضها تمثيلاً لا استقصاء كما جاء في ص٤٣: (تاريخ ناسخه) وصوابها (نسخه)، وفي ص٤٧: (حتّى شاب وأصبح فتى) وصوابها (حتى شبّ)، وفي ص ٤٨: (أم ولد إبراهيم) وصوابها: (أم ولده إبراهيم)، وفي ص ١٨١: (إن شئت دعوة الله) وصوابها (دعوتُ الله). وبغضّ النظر كرّة أخرى عن سقوط بعض الكلمات كما جاء في ص ٢٨: (ذكر حوالي ثلاثين علمًا من الدين) والصواب: (علمًا من علماء الدين)، وفي ص ٤٧: (أولاد الرسول صلى الله عليه وسلم الذين كانوا كلهم من أم المؤمنين) والصواب: (كانوا كلهم من خديجة أمّ المؤمنين)، وفي ص ٥٦: (سيّد الإدام الدنيا) والصّواب: (في الدنيا). (وهي أخطاء يحمل وزرها المحقّق والنّاشر مشتركين فما الداعي للعجلة ونارُ الرويّة نارٌ جدُّ منضجةٍ).

وكان الأمر يهون – وهو في حقيقته غير هيّن – لو اقتصر على ما ذُكر من أخطاء وما شابهها، ولكن كثرت الأخطاء وتنوّعت حتّى ذكّرتنا بقول الشاعر:

إذا لم تستطع شيئًا فدعه

وجاوزه إلى ما تستطيع

والعجيب أن المحقّق في ذِكرِ مآخذه على المخطوط يقول في ص ٦٣: (لغة الناسخ سليمة مع وجود بعض الأخطاء الإملائية والنّحوية) ومن الأخطاء النّحوية لدى المحقق:

ص ٢٤: (ومن بين هؤلاء الرحالة المشهورين ذووا المكانة) والصّحيح: ذوي.

ص ٢٥ : (فالمغربين الأوسط والأقصى... يفاخرون به) والصّحيح: فالمغربان.

وفي الصفحة نفسها: (من مشايخ العلم ذووا الشهرة) والصّحيح: ذوي.

ص ٤٣ : (فلم أجد لها أثر) والصّحيح: أثرًا.

ص ٤٦ : (بيّن ابن قنفذ... أشياء وأمور كثيرة) والصّحيح: أمورًا.

ص ٦١ : (روى ابن قنفذ حديث موضوع) والصّحيح: حديثًا موضوعًا.

ص ٦٢ : (يورد المؤلف نصوص) والصّحيح: نصوصًا.

ص ١٠٦ : (أن ينقل كلام خطير) والصّحيح: كلامًا خطيرًا.

ص ١٢٨ : (أفدي نفسك) والصّحيح: إفْدِ نفسك.

ص ١٦٣ : (ادعوا عليهم يا رسول الله) والصّحيح: أدْعُ.

ومن الأخطاء الإملائية:

ص ٦٣: (آخا بينه وبين زيد) والصّواب: آخى.

ص ١٧٨ : (وشكى إليه قوم) والصّواب: شكا، والغريب أن المحقّق كتبها صحيحة بعد سطر واحد.

ص ١٧٨ : (ثم وضعهنّ فخرص) وهنا خطأ إملائيّ وتطبيعة والصواب: فخرسْنَ.

وأختم بخطئين – قبل الانتقال إلى ما هو أدهى وأمرّ–:

ففي ص ٤٨ : (توفيت بعد المصطفى صلى الله عليه وسلّم بست أشهر) والصّواب: بستّة.

وفي الصفحة نفسها: (واللّتان أسلمن) والصّواب: واللّتان أسلمتا.

أخطاء الضبط والترقيم:

أقول ثانية إن ما ذكرته تمثيل لا استقصاء، وهذه الأخطاء أيضًا تهون –وهي في حقيقتها غير هيّنة– قياسًا على أخطاء الضبط والترقيم، وهل التّحقيق سوى نشر النصّ كما تركه مؤلفه عدّتنا في ذلك فهمٌ لما نقرأ وتقليب الأوجه فيما أشكلَ علينا، ولكنّ المحقّق جاء بأخطاء جعلت النصّ في مواضع كثيرة مستغلقًا وتفصيل ذلك:

ص ٧٧:) وأمّا لؤي: فهو تصغير لاء) ولو راجع المحقّق "لسان العرب"[٨٤]، وهو من مصادر تحقيقه لوجد: (وتَصْغِيرُ لَأْيٍ لُوَيٌّ، وَمِنْهُ لُوَيُّ بْنُ غَالِبٍ أَبو قُرَيْشٍ)، وفي "تاج العروس"[٨٥]: (وَفِي أَسْماءِ العَرَبِ أَيضًا: لَأْيٌ... تَصْغيرُه لُوَيٌّ، وَوَقَعَ فِي المقدمةِ الفاضِلِيَّة لابنِ الجواني أنّه تَصْغيرُ: الَّلأَى كفَتًى، وَهُوَ ثَوْرُ الوَحْشِ، وَقد قدّمْنا أنّ المَعْروفَ أنّه تَصْغير لأْيٍ بسكونِ الهمْزةِ وَمِنْه لُوَيُّ بنُ غالِبِ بن فِهرٍ) إذن فالصّواب: وأمّا لؤي: فهو تصغير لأي بمعنى البطء أو لَأَى بمعنى الثور الوحشي.

ص ٧٧: (وأما خزيمة: فهي تصغير خزمة، وهي شجرة تتّخذ من قلوب، كذا الجبل وهو التخزّم فهو للإصلاح) فما معنى تتخذ من قلوب؟؟ وما معنى كذا الجبل ؟؟، وهل بعد هذا التحريف المتصاحب مع التّصحيف بقي معنى للتّعريف ؟ والصّواب: (وأما خزيمة: فهي تصغير خزمة، وهي شجرة يُتّخذ من سعفها

الحبال، وأمّا الخزم فهو الإصلاح)[٨٦].

ص ١٠٣ : (وخيّر امْـرَأَة بعد أَن تَزَوجهَا فَاخْتَارَتْ نَفسهَا فشفيت) والصّواب فشَقِيَتْ وهي فاطمة بنت الضحّاك الكلابية، ولفظة (شَقِيَتْ) مستمدّة ممّا جاء في "طبقات ابن سعد"[٨٧]: (فَكَانَتْ تَلْقُطُ الْبَعْرَ وَتَقُولُ أَنَا الشَّقِيَّةُ).

ص ١٠٩ و١١٠ : ضبط المحقّق مرتين اسم عمّ النبيّ (جحل) بتقديم الحاء على الجيم، ومؤلّف الكتاب نفسه يقول في ص ١١٠ : (وأما جحل بالجيم والحاء المهملة الساكنة وقيل: العكس) فلماذا فضّل المحقّق المرجوح على الرّاجح ؟!

ص ١٣٢ : (ومن علماء الحجاز من أجاز وبه أخذ فلعنة الله عليه)، والمعنى غير مستقيم وصوابه: وبه آخُذُ أي بجواز لعن الشخص المذكور.

ص ١٣٣ : في قصّة بيع نعيمان لسليط بن حرملة جاء: (فاشتروه ودفعوا له إبلا في اليمن)، وهو تصحيف ولعلّ صوابه (في الثمن)، فالحادثة وقعت في بُصرى[٨٨]، وهي مدينة قديمة تقع الآن في محافظة درعا بسوريا، ولو انتبه المحقّق إلى ما جاء في بقيّة الخبر بعد سطرين فقط (وجاء أبو بكر فأُخبر بسليط فتبعهم وردّه وأخذوا إبلهم) لتجنّبَ الوهم فكيف يستقيم أن يأخذ منهم أبو بكر الإبل ببُصرى، وقد دفعوها أو وعدوا بدفعها لنعيمان في اليمن !! عمرك الله كيف يلتقيان؟

ص ١٧٢ : (وارفـعـه قسي كلها عربية) والصّواب: وأربعة قسيٍّ كلّها عربيّة

ص ١٧٣ : (وكـان نصل سيف رَسُول الله صلى الله عليه وسلم وكذلك قبعة) والصّواب: (وكذلك قبيعته)، والقبيعة: ما كان على طرف مقبض السيف من فضّة أو حديد[٨٩].

وفي الصّفحة نفسها: (وكـان له تنور من حجر، وهو إناء يشبه الطست) فهل سمع سامع بتنّورٍ يُشبه الإنـاء في حجم الطست ؟! وإنّما هي (تَوْرٌ من حجر) والتّور إناء صغير يشرب فيه[٩٠].

ص١٧٦ : (وكنت أرى ذلك الخيط في مده) والصّواب: (كُنْتُ أَرَى]أَثَرَ [ذَلِكَ الْمِخْيَطِ فِي صَدْرِهِ)، ولو رجع المحقّق إلى "صحيح مسلم"[٩١] أو "مستدرك الحاكم"[٩٢] وهما بالمناسبة من مصادر تحقيقه لاستراح إلى المعنى الصحيح وأراحنا من التتبّع.

ص١٩٠ : (أبيض اللّون مشوب بحمرة) والـصّـواب: مُشْـرَب، و(الإشـراب: خلط لون بلون، كأنّ أحدَ اللّونين سُقِي اللّون الآخر. يقال بياض مُشْرَبٌ حُمرةً بالتّخفيف)[٩٣].

ص ١٩٦ : (ومن صلى عليّ بقرب سمعته، ومن صلى علي نائبا بلغته) وصواب الحديث: (ومن صلّى عليّ نائِيًا بُلِّغْتُهُ) وهو موجود بهذا اللّفظ في "الشّفا"[٩٤] للقاضي عياض والكتاب من مصادر التّحقيق أيضًا وأيضًا!. ويضاف إلى أخطاء الضبط سوءُ كيلة التّرقيم، ولا يُهوّننّ أحد من خطورة التّرقيم فقد ينقلب المعنى إلى ضدّه من الجهل بوضع علاماته، ومثال أخطاء المحقّق التي تناسل منها خطأ آخر:

في ص ١٨٤ وضع المحقّق النقطتين في غير محلّهما في (وتكلم ثَابت بن قيس وهم يدخلونه فِي قَبره، فَقَالَ مُحَمَّد رَسُول الله: أَبُو بكر الصّديق، وعمر الشّهيد وعثمان بن عفّان) فاعتبر المحقّق جملة (أَبُو بكر الصّديق، و عمر الشّهيد وعثمان

ابن عفّان) من كلام رسول الله صلى الله عليه وسلّم وبما أنّه اعتقدها كذلك أثبتها في فهرس الأحاديث آخر الكتاب، والصّواب أن الجملة من كلام ثابت بن قيس ولو وضع النقطتين هكذا: (وتكلم ثَابت بن قيس وهم يدخلونه فِي قَبره فَقَالَ: مُحَمَّد رَسُول الله، أَبُو بكر الصّديق، وعمر الشَّهِيد، وعثمان بن عفّان) لما وقع في التباسه.

ومن ذلك في ص ٩٦: (فقالَ الرب: يُقْرِئك السَّلَام) وصوابها (فقالَ: الرب يُقْرِئك السَّلَام).

ص ١٠٥ : (يُرِيد أَن ابْن النَّبِي نَبِي وضعف؛ لأن آدم نَبِي وَمَا فِي وَلَده لصلبه نَبِي غير شِيث) وصوابها: (يُرِيد أَنَّ ابْنَ النَّبِي نَبِي، وضُعِّفَ لأَنَّ آدم نَبِيّ).

ص ١٣٢ : (فلمّا غاب أبو بكر قال لطائفة من العرب: خطرت عليهم عندي عبدا (كذا) إذا أردتم أن أبيعه لكم) والصّواب: ٠ (فلمّا غاب أبو بكر، قال لطائفة من العرب خطَرَتْ عليهم: عندي عبدٌ إن أردتم أن أبيعه لكم).

ص ١٦٠ : (وقـــال: "شـاهـت وجـوه من التّشويه") فأدخل في حديث رسول الله صلى الله عليه وسلّم ما ليس منه وصواب كتابة الجملة: (وقال: "شاهت وجوه" من التّشويه).

ص ١٧٣ : (وترك رسول الله صلى الله عليه وسلم، يوم مات من الثياب أربعة: أزر وقميصا وجبة وكساء...) فيتوهم القارئ أن المعدود ما بعد كلمة أربعة ويستوقفه نصب (قميصا)، في حين أن الـصّـواب: (وتـرك رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم مات من الثياب: أربعةُ أزرٍ وقميصا وجبةٌ وكساءٌ...).

ص ١٩٠ : (أبيض اللّون مشوب بحمرة في وجهه، تدوير أدعج العينين) وصوابها: (أبيض اللّون مُشْرب بحمرة، في وجهه تدوير، أدعج العينين).

ومع هذا الحجم غير المقبول من الأخطاء لم يسلم الكتاب من كلمة ناقصة هنا وأخرى ساقطة هناك ففي ص ٢٩ : (لازمته وقرأت عليه كتاب في الفرائض) وتصويب النّقل من "أنس الفقير"[٩٥]: (لازمته وقرأت عليه كتاب الحوفي في الفرائض).

وفي ص ٣٥ : نقص غيّر المعنى إلى ضدّه إذ يقول: (ومن أملة ابن قنفذ أنه درس عليه) والصّواب كما جاء في "الفارسيّة"[٩٦]: (ومن أمانة ابن قنفذ أنّه لم يذكرْ أنّه درس عليه).

ومن النقص الذي يغيّر المعنى ما جاء في ص ١١١ : (فهؤلاء أعمامه صلى الله عليه وسلم أسلم منهم غير العباس وحمزة) وصواب الجملة: (فهؤلاء أعمامه صلى الله عليه وسلم ما أسلم منهم غير العباس وحمزة).

وفي ص ١٧١ : (وزعم عبد الله بن المعلم من أئمة الإمامية) والصواب: و(زعم أبو عبد الله المعلّم)، وهو محمد بن محمد بن النّعمان المعروف بالشيخ المفيد (ت ٤١٣ هـ).

في ص ١٩٤ : نقص يستغلق معه المعنى في الجملة الآتية: (وتعسّف وابتدع وانفرد صلّى الله على الجدّ ورضي عن الأم والبنين)، وصوابها: (وتعسّف وابتدع وانفرد من قال: صلّى الله على الجدّ ورضي عن الأم والبنين).

وممّا يؤخذ على المحقّق تقصيره في الرّجوع

نقد تحقيق كتاب: "حمية الإسلام بالنبيّ" لابن قنفذ القسنطيني

إلى المصادر وعجزه عن الاستفادة الجيّدة منها بل والسعي للحصول على ما يُعدّ ضروريًا لعمله التحقيقي وما توهمه في عنوان الكتاب الذي حقّقه وهو مطبوع متداول إلا بعضٌ من هذا التقصير.

ومن ذلك أيضًا ما ورد في ص ٦١ حين عدّ كتاب السهيلي "التعريف والإعلام بما أبهم في القرآن من الأسماء والأعلام" من المصادر النادرة التي تعذّر على الباحث الحصول عليها في المكتبات العربية، في حين أنّ هذا الكتاب نشر بدار الكتب العلمية في بيروت سنة ١٩٨٧م بتحقيق عبد أ. مهنّا، ونشر ثانية بدار الفكر العربي ودار الوسام في بيروت سنة ١٩٨٨م بتحقيق هيثم عيّاش وبعنوان " غوامض الأسماء المبهمة والأحاديث المسندة في القرآن"، وكان أطروحةً دكتوراه، حيث حقّقه الأستاذ حمد بن صالح يحيى سنة ١٩٨٤م بإشراف الدكتور منّاع القطّان في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، فما معنى القول بندرته؟ وما جدوى الرجوع إلى المخطوط كما في ص ٨٨ مع تيسّر المطبوع؟

وهذا العجز عن الاستفادة من المصادر حال دون أن يتمّ المحقّق خرومَ مخطوطه ففي ص ١٧٣ : كان يمكنه ملء البياض وإتمام المعنى في الجملة الآتية: (ومغتسل من صُفر يشبه السطل والواسع، [.......] وهي لغسل الثياب) والصواب: (ومغتسل من صفر يشبه السطل والواسع، وإجّانة وهي لغسل الثياب) والإجّانة: إناء تغسل فيه الثّياب[٩٧]. وفي الصفحة نفسها: (وخفّان [.......]) ولو راجع المحقّق كتب السّيرة – وهو ما كان يجدر به أن يفعله – لوجد مثلاً زين الدين العراقي يقول في "ألفية السيرة النبوية"[٩٨]:

كان لـه خـفّـان ســاذجـان
أهـــداهـمـا أصـحـمـة الـرّبّـانـي

وكذلك هي: خفّان ساذجان في "تاريخ الخميس"[٩٩]، وفي كتب الحديث ورد:" أنّ النّجاشيّ أهدى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم خُفّين أسوَدَينِ سَاذَجينِ"[١٠٠]، والسّاذج: بفتح الذال وكسرها: هو الخالص غيرُ المَشُوب وغيرُ المنقوش، وهو معرّب عن: ساذه بالفارسية.

أخطاء التقصير في البحث

كما أن هذا العجز عن الاستفادة من المصادر أوقعَ المحقّق مرات عدة في تسرع كان في غنى عنه، ومن هذه الإطلاقات:

ص ٥٨: عند قول المؤلف: (وخطب إِلَى رجل ابْنَته فَاعْتَذر لَهُ أَن بهَا برصًا وَلم يكن بهَا برص فَمَا

[الصواب:فلمّا] انْصَرف إِلَى بَيته وجد بهَا برصا وَخيّر امْرَأَة بعد أَن تزَوّجهَا فَاخْتَارَتْ نَفسهَا فشفيت

[الصواب:فشَقِيَتْ]) علّق المحقّق بقوله: (فلم أجد لهذه الرواية أيّ سند في مصادر السير والتاريخ والطبقات)، فأقول:

أوّلاً: هما روايتان وليستا رواية واحدة: رواية المرأة البرصاء، وهي أمامة بنت الحارث بن عوف، ورواية المرأة المخيّرة، وهي فاطمة بنت الضحاك الكلابية.

ثانيًا: الرواية الأولى موجودة في كتب (السير والتاريخ والتراجم) وفي المصادر التي كانت بين

يدي المحقّق وأثبتها في آخر الكتاب وتخريجها من هذه المصادر ولا أعدوها:

- "السيرة النبوية"(١٠١) لابن كثير، و"السيرة الحلبية"(١٠٢)، و"الإصابة"(١٠٣) و"فتح الباري"(١٠٤).

والرواية الثانية موجودة كذلك في كتب (السير والتاريخ والتراجم)، وفي مصادر المحقّق وتخريجها من هذه المصادر ولا أجاوزها:

- "تاريخ الطبري"(١٠٥)، و"الكامل في التاريخ"(١٠٦)، و"الاستيعاب"(١٠٧)، و"الإصابة"(١٠٨)، و"السيرة النبوية"(١٠٩)، و"خلاصة السير"(١١٠).

فهل من أصول التّحقيق أن نجزم أننا لم نجد (لهذه الرواية أيّ سند في مصادر السير والتاريخ والطبقات) ونحن لم نقرأ حتّى ما بين أيدينا من مصادر.

ص ١٠٢ : أخطأ النّاسخ في اسم خولة الثعلبية فكتبها خويلة بالتصغير، فعلّق المحقّق بقوله: (خويلة الثعلبية لم أجد لها ترجمة في المصادر التاريخية وكتب التراجم والطبقات والأنساب ولا أعلم من أين أتى بها الناسخ والمؤلّف) قلتُ: أتى بها من المصادر التاريخية وكتب التراجم والطبقات والأنساب مثل: "سبل الهدى والرشاد"(١١١) و"شرح الزرقاني على المواهب اللدنية"(١١٢) و"تاريخ الإسلام"(١١٣) للذهبي و"تاريخ دمشق"(١١٤) و"سير أعلام النبلاء"(١١٥) و"تاريخ الخميس"(١١٦) وفي هذا مَقْنَع.

ص ١٠٦ : روى المؤلف خبرًا ورد فيه قول عليّ بن أبي طالب لأمامة بنت العاص: (لآمن [الصواب: لا آمن] أن يتزوّجك هذا الطاغية يعني معاوية)، فعلّق المحقّق على هذا الخبر بقوله: (لايجوز لعالم مثل الشيخ العلّامة ابن قنفذ أن ينقل كلام خطير (كذا) ويسيئ لصحابي جليل... مثل: معاوية بن أبي سفيان... وإنّ الباحث فتّش في الرواية الحديثية والتاريخية فلم يجد هذه الكلمة الكبيرة: الطاغية، التي نسبت بالباطل إلى عليّ بن أبي طالب) وكأنّ الباحث لم يقنع بهذا فكتب في المقدمة ص ٦٠: (وتحدث العلامة ابن قنفذ عن شخصية معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه، بكلمة غريبة [الطاغية]، وهي مرويّة عن علي أمير المؤمنين... كذبًا وبهتانًا).

ولو تأنّى الباحث وبحث جيّدا في الكتب التي وضع قائمة بها في آخر كتابه لوجد اللفظة مذكورة صريحة في "الاستيعاب"(١١٧) لابن عبد البر، وفي "الإصابة"(١١٨) لابن حجر، وفي "السيرة الحلبية"(١١٩). فأيّ رواية حديثية وتاريخية فتّش فيها الباحث، ولم يجد الكلمة وهي بين يديه؟!

ومن جرأة المحقّق ما جاء في ص ١٥٣: (والمغفر زرد يلبسه المحارب تحت [القلنسوة] يهبط منه شيء على الوجه) وعلّق في الهامش: (جاء في النّسخة المعتمدة قول المؤلف بالعاميّة: والمغفر زرد يلبسه المحارب تحت الشاشية. والصّحيح ما جاء في المتن) فاستبدل القلنسوة بالشاشية. ولم يكتف بهذا بل كتب في مآخذه على الكتاب ص ٦٣: (وجود بعض الألفاظ العامية باللّهجة المحليّة) وأعطى مثال الشّاشية، وكلمة بعض تفيد وجود أكثر من لفظة فهلّا دلّنا الباحث على لفظة أخرى باللّهجة العاميّة لو سلّمنا له بالأولى وهيهات ؟

ولو راجعنا المصادر لوجدنا الكلمة قديمة الاستعمال فقد وردت في:

- "قلائد العقيان"(١٢٠) للفتح بن خاقان (ت٢٤٧ هـ): (رقيق الحاشية، أنيق الشاشية).

- "تاريخ الطبري"(١٢١) (ت٣١٠ هـ): (وعليه شاشية وسيف بحمائل، فعجب الناس منه)

- "رسائل الجاحظ" (ت ٢٥٥ هـ): (والشوارب المعقربة، والقلانس الشاشية)

وللعلّامة محمد بن أبي شنب بحث نشره في "المجلة الافريقية"(١٢٢) في أصل كلمة شاشية، وكان قد عرّفها في مجلة "الفتح"(١٢٣) بـ: (شاشية: صفةٌ لقلنسوة أُقيمت مقام الموصوف لكثرة الاستعمال... منسوبة إلى بلاد الشاش؛ لا إلى نوعٍ من المنسوجات القطنية يُقال لهُ: الشاش).

وهل من أصول التّحقيق أن نغيّر كلمة في المتن بأخرى من عندنا لأنّنا اعتقدنا أنّها عاميّة ؟!

ص ١١٨: (وَتُوفِّي شَهِيدًا...قتله فَيْرُوز الْكَافِر مَمْلُوك الْمُغيرَة) علّق المحقّق في الهامش: (الذي قتل أمير المؤمنين الخليفة الراشد عمر بن الخطاب رضي الله عنه هو أبو لؤلؤة المجوسي وكان عبدًا للمغيرة بن شعبة). وفيروز ليس في حقيقة الأمر سوى اسم أبي لؤلؤة فهما شخص واحد.

ص ١٢٦: (ومنهم خزيمة بن ثابت الأنصاري صاحب الراية يوم فتح مكة) علّق المحقّق: (صاحب الراية يوم فتح مكة هو قيس بن سعد بن عبادة رضي الله عنه، وليس كما ذكر المؤلف)

وفي الحقيقة نجد أن خزيمة بن ثابت حمل راية عشيرته يوم فتح مكة ففي "بغية الطلب"(١٢٤) لابن العديم: (شهد مع النبي صلى الله عليه وسلم غزوة فتح مكة، وكان يحمل راية بني خطمة).

ملاحظات حول تخريج الأحاديث:

أيّ كتاب في السيرة يكاد يكون كتابَ حديثٍ بالضّرورة، فمداره على أقوال الرسول صلى الله عليه وسلم وأفعاله وتقريراته، وكتاب ابن قنفذ ليس بدعًا عن هذا الأمر بل ذكر ذلك صراحة في مقدمة الكتاب حين قال: (وَسميت هَذَا الْمَجْمُوع لظُهُور الْبركَة بِقِرَاءَة الحَدِيث النَّبَوِيّ فِي السّكُون والْحَرَكَة)(١٢٥) فرغم صغر حجمه (٤٩ ورقة مخطوطة) فيه قرابة مئة وستين حديثًا قوليًا، خرّج منها المحقّق تخريجًا مقاربًا ثمانين حديثًا وأهمل ثمانين، وما يدعو للعجب أنه يهمل تخريج أحاديث مشهورة يجدها بأدنى نظرة في كتب الصحاح والسّنن ومثال ذلك:

ص ١١٢: حديث: "أَنَا ابْنُ الْعَوَاتِكِ" الذي ألّف فيه مرتضى الزبيدي كتابًا كاملاً عنوانه " أيضاح المدارك في الإفصاح عن العواتك"(١٢٦) صدر في أكثر من نشرة وفيه تخريج هذا الحديث بما لا مزيد عليه.

ص ١٢٧: حديث: " تَقْتُلُهُ الفِئَةُ البَاغِيَةُ " أخرجه البخاري ومسلم في صحيحيهما(١٢٧)

ص ١٣٠: حديث: "صَبْرًا يَا آلَ يَاسِرٍ، فَإِنَّ مَوْعِدَكُمُ الْجَنَّةُ" أخرجه الحاكم في "مستدركه" والبيهقي في"شعب الإيمان"(١٢٨)

ص ١٤٣: حديث: "مَا أَنَا بِقَارِئٍ " أخرجه البخاري ومسلم في صحيحيهما وأحمد في

"مسنده"[129].

ص ١٦٠: حديث: "شَاهَتِ الوُجُوهُ" أخرجه أحمد في "مسنده" و الحاكم في "مستدركه"[130].

ص ١٦٧: حديث: "مُرُوا أَبَا بَكْرٍ فَلْيُصَلِّ بِالنَّاسِ" أخرجه البخاري ومسلم في صحيحيهما[131]

ص ١٨٢: حديث: "إِنَّكُمْ سَتَلْقَوْنَ أَثَرَةً" أخرجه البخاري ومسلم في صحيحيهما[132] بلفظ: "إِنَّكُمْ سَتَلْقَوْنَ بَعْدِي أَثَرَةً".

وكثير غيرها لم يخرّجها المحقّق مع قرب مظانّها وسهولة مواردها. وحتّى بعض ما خرّجه جاء تخريجه كأن يخرّج في ص ١٢٤ حديث: "بَلَى مَنْ آذَى عَلِيًّا فَقَدْ آذَانِي" من "الاستيعاب" و"السيرة النبوية" لابن كثير، والحديث في "مسند أحمد" وفي "مستدرك الحاكم" وفي "صحيح ابن حبان"[133] وغيرها من كتب الحديث.

وفي الصفحة نفسها: خرّج المحقّق حديث: "الْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ سَيِّدَا شَبَابِ أَهْلِ الْجَنَّةِ" من كتاب ابن عربي "العواصم من القواصم"، وهذا من العجب العجاب! والحديث مشهور أخرجه أحمد والترمذي والنسائي ابن ماجة[134] بل وقال عنه الحاكم في "مستدركه"[135]: (هذا حديث قد صحّ من أوجه كثيرة، وأنا أتعجّب أنّهما لم يخرجاه) أي البخاري ومسلم.

أخطاء في فهرس الأحاديث:

وهذا التسرّع ظهرت نتائجه في فهرس الأحاديث فقد أهمل المحقّق فهرسةَ ثمانية وثلاثين حديثًا من جملة مئة وستين أي لا نجد ربع أحاديث الكتاب في فهرسه، إلى أخطاء أخرى في الفهرسة كتكرار ذكر حديث واحد مثل: "إنا معاشر الأنبياء لا نورّث " أورده في ص ٢٣٧ وأعاده في ص ٢٤٠. أو أن يقسم الحديث قسمين ويفهرس كلّ قسم منفردًا مثل: "ارموا وأنا مع ابن الأدرع" و"ارموا وأنا معكم كلكم " وهما حديث واحد. وبلغ ما كُرّر في فهرس الأحاديث تسعة.

ومن ذلك فهرسة ما ليس بحديث مع الأحاديث مثل ما ورد في النصّ ص ١٨٤: (وتكلم ثابت بن قيس وهم يدخلونه فِي قَبره فَقَالَ: مُحَمَّد رَسُول الله أَبُو بكر الصّديق عمر الشَّهِيد عُثْمَان بن عَفَّان) ففهرس المحقّق جملة: (أَبُو بكر الصّديق عمر الشَّهِيد عُثْمَان بن عَفَّان) باعتبارها من كلام النبيّ صلى الله عليه وسلّم؛ لأنه وضع النقطتين بعد لفظة رسول الله، ولله في خلقه شؤون! وفهرس المحقّق أيضًا مع الأحاديث هاتين الكلمتين (كانا مؤمنين) من هذه الجملة التي وردت في النص: (وأمّا مضر فسمّي به لبياضه وربيعه [الصّواب: ربيعة] أخوه وكانا مؤمنين). كما فهرس (الحبّ ابن الحبّ) من قول المؤلّف في ص ٩١: (ولذلك كان يقول لأسامة:الحبّ بن الحبّ).

إضافة إلى أخطاء أخرى كأن يفهرس الحديث من منتصفه فيضع في حرف الواو: " وصلّوا عليّ فإنّه من صلّى عليّ مرّة.... " وبداية الحديث في ص ١٩٥ من الكتاب: "إذا سَمِعْتُم الْمُؤَذّن فَقولُوا مثل مَا يَقُول وصلوا عَليّ فَإِنَّهُ من صلى عَليّ مرّة...". أو يضيف إلى الحديث ما ليس منه: فقد ذكر في فهرس الأحاديث ص ٢٣٨: "الخاشعة المتضرعة، وقالت عائشة: لم تكن امرأة خير منها في الدين والصدقة" وجملة: (وقالت عائشة: لم تكن امرأة خير منها في الدين

والصدقة) ليست من الحديث. وكذلك في ص ٢٣٩ من فهرس الأحاديث: "اللّهم بارك فيها فما ملكت رأسها وبعث من بطنها باثني عشر ألفا" وجملة: (فما ملكت رأسها وبعث من بطنها باثني عشر ألفا) ليست من قول رسول الله صلى الله عليه وسلم، بل من قول عبد الله بن أبي الجعد (وليس الجعدي كما جاء في ص ١٨٠).

ومع تساهلنا في بعض أبجديات الفهرسة التي أخلّ بها المحقّق مثل وضع ألف لام التعريف في حرف الألف والمعتمد أنها تُهمل، فلقد قصّر المحقّق تقصيرًا بيّنًا في إعداد فهارس الكتاب فاقتصر على فهرس الآيات وفهرس الأحاديث وحتّى في هذا الفهرس أهمل أفعال الرسول وتقريراته وهي كثيرة في الكتاب. وكان يجدر به أن ينشئ فهرسًا للأعلام وآخر للأماكن وثالثًا للأشعار ورابعًا للكتب وهذا جهد المُقِلّ فالكتاب المحقّق لا يتجاوز مئة وثلاثين صفحة نصفها هوامش لا تفهرس.

وذيّل المحقّق الكتاب بستّ وعشرين صفحة فيها سبعة ملاحق وثلاث عشرة خريطة لاجدوى منها في خدمة المخطوط المحقّق سوى زيادة صفحات الكتاب تشبّعا بما لم يُعطَ.

وختم كتابه بالمصادر والمراجع التي لم يحسن الاستفادة منها في متن الكتاب كما رأينا، ولم يحسن ترتيبها في خاتمته كما سنرى، فأحيانًا يذكر المؤلف بالاسم مثل: (اسماعيل البخاري) والصواب: محمد بن إسماعيل وأحيانًا بلقبه مثل: (الزركشي بدر الدين). ويذكر مرة تفاصيل الكتاب من دارالنشر ومكانها وسنة طبع ورقم الطبعة مثل كتاب "نسيم الرياض" ويغفل ذلك مرّة أخرى مقتصرًا على المؤلّف والعنوان والدار مثل "سنن الدارقطني"، ويكرر ذكرَ الكتاب مرتين مثل البستان لابن مريم فقد ورد في رقم ١١ وفي رقم ٣١ مع أنّ مصادره لم تجاوز السّتين ومراجعتها سهلة متيسّرة. وأغرب ما في مصادره أن يذكر فيها بابًا من الكتاب مثل قوله في رقم ٢٨: (محمد الخضري بك: نور اليقين في سيرة سيد المرسلين، باب الجهر بالتبليغ...) وفي رقم ٥٣: (الترمذي محمد بن عيسى: سنن الترمذي، تحقيق أحمد محمد شاكر، باب في فضل النبي صلى الله عليه وسلّم...).

هذا ما سجّلناه من ملاحظات على تحقيق كتاب "وسيلة الإسلام بالنبيّ" المسمّى وهمًا وتسرّعًا "حميّة الإسلام بالنبيّ" وما قصدنا الاستقصاء إذن لاحتجنا إلى مثل حجم الكتاب. وهو تحقيق أساء إلى الكتاب نغّص على القارئ متعتي القراءة والاستفادة وكان بالودّ في زمن وفرة المعلومات وفورتها أن يستفيد المحقّق من ذلك فيقدّم تحقيقًا متقنًا لهذا المختصر النّافع ولكن ما كلّ ما يتمنى المرء ...والله المستعان.

الحواشي

١- مع تحفّظي على هذا الوصف، وأنّى لهذه الأعمال الكمال ولا يزال بعضها مفقودا والآخر مخطوطًا.

٢- أثناء بحثي في الشابكة عن كتاب "حمية الاسلام بالنبي" عثرت على مقالة للدكتور محمد أبو بكر باذيب عنوانها: "الاسم الصحيح لسيرة ابن قنفذ القسنطيني" في مدونته، عرض فيها لما نحن بصدده فله فضل سبق التنبيه على أنّ الكتابين واحد.

٣- شرف الطالب ص ٢٣٩

٤- البستان ص ٣٠٩

٥- صلة الخلف ص ١٨٢ وقد نبّهني مشكورًا إلى هذا الذّكر مشافهةً الأستاذ عبد الرحمن حمّادو الكتبي.

٦- وسيلة الاسلام ص ٢٦

٧- حمية الاسلام ص ٢٠٣
٨- شرف الطالب ص ٤٣، وقد أخبرني الأستاذ عبد الرحمن دويب متفضّلا أن الدكتور دخان حقّق الكتاب وسيصدر عن جائزة دبي الدولية.
٩- وسيلة الاسلام ص ٣٢، ٣١
10- www http://batheebcultural.blogspot.com/2015/04/blog-post.html
١١- حمية الاسلام ص ١٩٩
١٢- المصدر نفسه ص ٤٣
١٣- دلّني على اسم الحرف الأستاذ مالك طيبي فله من الشكر وافره.
١٤- الفارسية ص ٧٥
١٥- شرف الطالب ص ٤٠
١٦- المصدر نفسه ص١٩، ١٨
١٧- الوفيات ١٧
١٨- انظر الفارسية ص ص ٥٤ - ٦٤
١٩- انظر شرف الطالب ص ٢٧ وما بعدها
٢٠- نيل الابتهاج ص ١١٠ وليس ١٠٤ كما ذكر المحقق
٢١- الوفيات ص ٧
٢٢- الصّبابات في ما وجدته على ظهور الكتب من الكتابات ص ١١٩
٢٣- نفحة اليمن في ما يزول بذكره الشجن ص ١٣١
٢٤- إتحاف أعلام الناس ٣٢٠/٤
٢٥- خزائن الكتب العربية في الخافقين ٩٢٧/٣
٢٦- ديوان حسان بن ثابت ٣٠٦/١
٢٧- الإصابة ١٩١/٧
٢٨- سير أعلام النبلاء ٤٠/١
٢٩- العلل ومعرفة الرجال ٤٥٤/١
٣٠- التاريخ الصغير ٣٨/١
٣١- السنة للخلال ١٩٣/١
٣٢- الثقات ٤٢/١
٣٣- الكامل في ضعفاء الرجال ٣٣٦/٦
٣٤- الجليس الصالح ص ٢٠٤/٢
٣٥- دلائل النبوة ١٦١/١
٣٦- الاستذكار ٦٢٢/٨
٣٧- التمهيد ١٥٤/٩
٣٨- شرف المصطفى ٢٨٧
٣٩- البداية والنهاية ٢٦٦/٢
٤٠- تاريخ الخميس ٢٤٥/١
٤١- سمط النجوم العوالي ٣٩٠/١
٤٢- ديوان أبي طالب ص ٣٣٢
٤٣- تاج العروس ١١٤/١٥
٤٤- طبقات الشافعية الكبرى ٢٨٢/٢
٤٥- عيون الأثر ٣٨٥/٢
٤٦- درّة الحجال ٣٤/١
٤٧- السيرة الحلبية ٤٦٠/٣
٤٨- النجوم الزواهر ص ٥٧
٤٩- ديوان حسان بن ثابت وليد عرفات ٤٣٣/١
٥٠- معجم الصّحابة ١٥٤/٢ وليس ٧٧/٢ كما ذكر المحقّق
٥١- المعجم الكبير ١٧٩/١٣
٥٢- ديوان عبد الله بن رواحة ص ١٥٩
٥٣- الاستيعاب ١٢٩٢/٣
٥٤- السيرة النبوية ابن هشام ٣٧٨/٢
٥٥- الروض الانف ١٥/٧
٥٦- الاكتفاء ٤٩٤/١
٥٧- نور اليقين ص ١٩١
٥٨- الكامل في التاريخ ١١٣/٢
٥٩- السنن الكبرى ٢٦٠/٩
٦٠- الاستيعاب ٨١٣/٢
٦١- الجليس الصالح الكافي ٤٣٤/١
٦٢- شرف المصطفى ٨٣/٣
٦٣- عيون الأثر ٣٦٢/٢
٦٤- فتح الباري ٣٠/٨
٦٥- انظر مناقب آل أبي طالب ص ٢٩٩/١ وهو المصدر الوحيد الذي وجدت فيه البيت الأول.
٦٦- سير أعلام النبلاء ١٣٤/٢
٦٧- الاكتفاء الكلاعي ٦٢/٢
٦٨- انظر شرح الأخبار ٤٠/٣ و دلائل الإمامة ص ٣٨ وكشف الغمة ١٣/٢ امع اختلاف في الرواية
٦٩- في شرح الأخبار ص ٤٠: واختلّ قومك فاشهدهم فقد شغبوا، وفي كشف الغمة ١١٧/٢: واختلّ قومك لما غبت وانقلبوا
٧٠- في شرح الأخبار ص ٤١: إنا رزئنا بما لم يرز ذو شجن
٧١- المعجم الكبير ٣٢١/٢٤
٧٢- الإصابة ٢١٥/٨
٧٣- لسان العرب ١٩٩/٢ (مادة : هنبث)
٧٤- الطبقات الكبرى ٣٣٢/٢
٧٥- جمهرة اللغة ٢٦٣/١ (مادة : هبث)

نقد تحقيق كتاب: "حمية الإسلام بالنبيّ" لابن قنفذ القسنطيني

٧٦- تهذيب اللغة ٢٨٢/٦ (مادة : هنبث)
٧٧- غريب الحديث ٥٣٣/٢
٧٨- البيان والتبيين ٦/٣
٧٩- بلاغات النساء ١٨
٨٠- المحاضرات والمحاورات ٦٩
٨١- كشف الغمة ١١٣/٢
٨٢- انظر المراثي النبوية في أشعار الصحابة ص ٣٠١، ٣٠٢
٨٣- المقمات الممهدات ولم يذكر المحقّق محلّ الإحالة وهي ٣٦٣/٣
٨٤- لسان العرب ٢٣٨/١٥ (مادة : لأي)
٨٥- تاج العروس ٤٣٠/٣٩ (مادة : لأي)
٨٦- انظر: جمهرة اللغة ٥٩٥/١ (مادة:خزم) وتاج العروس ٨١/٣٢ (مادة: خزم)
٨٧- طبقات ابن سعد ١٤١/٨
٨٨- انظر: الاستيعاب ٦٩٠/٢ وسير أعلام النبلاء ٤١١/٢
٨٩- انظر لسان العرب ٢٥٩/٨ (مادة: فتح)
٩٠- انظر تاج العروس ٢٩٧/١٠ (مادة: نور)
٩١- صحيح مسلم (رقم ١٦٢)
٩٢- المستدرك ٥٧٥/٢ (رقم ٣٩٤٩)
٩٣- النهاية في غريب الحديث ٤٥٤/٢ (رقم ١٦٢)
٩٤- الشفا ٥٧٤ وفيه خرّج محقّق الكتاب الحديث
٩٥- أنس الفقير ص ٧٧
٩٦- الفارسية ص ٦١
٩٧- انظر المعجم الوسيط ٧/١ (مادة:أجن)، وفي وسيلة الإسلام بالنبي: ص ١٢٢ : أرجانة وهو خطأ بيّن.
٩٨- ألفية السيرة النبوية ص ١٤٥
٩٩- تاريخ الخميس ١٨٩/٢
١٠٠- أخرجه الترمذي (٣٠٣٠) وابن ماجه (٥٤٩) و (٣٦٢٠). و"مسند أحمد" (٢٢٩٨١)
١٠١- السيرة النبوية ٥٩٨/٤
١٠٢- السيرة الحلبية ٤٠٨/٣
١٠٣- الإصابة ٦٨٣/١
١٠٤- فتح الباري ٣٥٧/٩
١٠٥- تاريخ الطبري ٩٥/٣
١٠٦- الكامل في التاريخ ١٤٥/٢
١٠٧- الاستيعاب ١٨٩٩/٤
١٠٨- الإصابة ٢٧٢/٨
١٠٩- السيرة النبوية ٧١٠/٣
١١٠- خلاصة سير سيد البشر ١٣٣
١١١- سبل الهدى والرشاد ٢٢١/١١
١١٢- شرح الزرقاني ٤٣٩/٤
١١٣- تاريخ الاسلام ٨٤١/١
١١٤- تاريخ دمشق ٢٣٣/٣
١١٥- سير أعلام النبلاء ٤٩٤/٢
١١٦- تاريخ الخميس ٢٧٢/١
١١٧- الاستيعاب ١٧٨٩/٤
١١٨- الإصابة ٢٥/٨
١١٩- السيرة الحلبية ٢٦٥/٢
١٢٠- قلائد العقيان ١٣٤
١٢١- تاريخ الطبري ١٤١/١١
122- Revue Africaine: "Origine du mot CHACHIYYA" M.BEN CHENEB,p 55, Vol 51 1907
١٢٣- مجلة الفتح: "الشاشية" محب الدّين الخطيب، ص ١٠، س ١، ع ٢٦، ١٩٢٦، ٩.
١٢٤- بغية الطلب ٣٢٤٤/٧
١٢٥- وسيلة الإسلام ص ٣٢
١٢٦- إيضاح المدارك في الافصاح عن العواتك
١٢٧- صحيح البخاري (رقم ٤٤٧) وصحيح مسلم (رقم ٢٩١٦)
١٢٨- المستدرك ٤٣٨/٣ (رقم ٥٦٦٦) وشعب الإيمان ١٧٢/٣ (رقم ١٥١٥)
١٢٩- صحيح البخاري (رقم ٣) وصحيح مسلم (رقم ١٦٠) ومسند احمد ١١٢/٤٣ (رقم ٢٥٩٥٩)
١٣٠- مسند أحمد ٤٨٧/٤ (رقم ٢٧٦٣) والمستدرك ٢٦٨/١ (رقم ٥٨٣)
١٣١- صحيح البخاري (رقم ٦٧٨) صحيح مسلم (رقم ٤١٨)
١٣٢- صحيح البخاري (رقم ٣٧٩٣) صحيح مسلم (رقم ١٨٤٥)
١٣٣- مسند احمد ٣٢٠/٢٥ (رقم ١٥٩٦٠)، المستدرك ١٣١/٣ (رقم ٤٦١٩)، صحيح ابن حبان ٣٦٥/١٥ (رقم ٦٩٢٣)
١٣٤- سنن ابن ماجه (رقم ١١٨)، سنن الترمذي (رقم ٣٧٦٨)، سنن النسائي (رقم ٨٢٤٠)مسند أحمد ٣١/١٧ (رقم ١٠٩٩٩)
١٣٥- المستدرك ١٨٢/٣ (رقم ٤٧٧٨).

المصـــادر والمراجع

١- إتحاف أعلام الناس بجمال أخبار حاضرة مكناس: ابن زيدان عبد الرحمن بن السجلماسي، تحقيق علي عمر، مكتبة الثقافة الدينية القاهرة، ط ١، ٢٠٠٨م.

٢- الاستذكار: أبو عمر يوسف بن عبد الله ابن عبد البر القرطبي، تحقيق: سالم محمد عطا ومحمد علي معوض، دار الكتب العلمية بيروت، ط ١، ٢٠٠٠م.

٣- الاستيعاب في معرفة الأصحاب: أبو عمر يوسف بن عبد الله ابن عبد البر القرطبي، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار الجيل بيروت، ط ١، ١٩٩٢م.

٤- الإصابة في تمييز الصحابة: أبو الفضل أحمد بن علي ابن حجر العسقلاني، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض، دار الكتب العلمية بيروت، ط ١، ١٩٩٤م.

٥- الاكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله صلى الله عليه وسلم والثلاثة الخلفاء: أبو الربيع سليمان بن موسى الكلاعي، دار الكتب العلمية بيروت، ط ١، ١٩٩٩م.

٦- ألفية السيرة النبوية (نظم الدرر السنية الزكية): أبو الفضل عبد الرحيم بن الحسين العراقي، تحقيق: محمد بن علوي بن عباس المالكي الحسني، دار المنهاج بيروت، ١٤٢٦ هـ.

٧- أنس الفقير وعزّ الحقير: أبو العباس أحمد بن حسن ابن قنفذ القسنطيني، تحقيق: محمد الفاسي وأدولف فور، المركز الجامعي للبحث العلمي الرباط، ط ١، ١٩٦٥م.

٨- أوهام المحققين: محمد حسين الأعرجي، دار المدى دمشق، ط ١، ٢٠٠٤م.

٩- أيضّاح المدارك في الإفصاح عن العواتك: مرتضى الزبيدي، تحقيق: عمرو بسيوني، مبرّة الآل والأصحاب الكويت، ط ١، ٢٠١١م.

١٠- البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان: ابن مريم التلمساني، تحقيق: محمد ابن أبي شنب، دار الأبحاث الجزائر، ط ١، ٢٠١٣ م.

١١- بغية الطلب في تاريخ حلب: عمر بن أحمد ابن العديم، تحقيق: سهيل زكار، دار الفكر بيروت، د.ت.

١٢- بلاغات النساء: أبو الفضل أحمد بن أبي طاهر ابن طيفور، مطبعة مدرسة والدة عباس الأول، القاهرة، ١٩٠٨ م.

١٣- البيان والتبيين: أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، تحقيق: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي القاهرة، ط٧، ١٩٩٨م.

١٤- تاج العروس من جواهر القاموس: مرتضى الزبيدي، تحقيق: مجموعة محققين، دار الهداية الكويت، ١٩٦٦م.

١٥- تاريخ الإسلام وَوَفيات المشاهير وَالأعلام: تحقيق: بشار عوّاد معروف، دار الغرب الإسلامي بيروت، ط ١، ٢٠٠٣م.

١٦- تاريخ الخميس في أحوال أنفس النفيس: حسين بن محمد الدِّيار بَكْري، دار صادر بيروت، د.ت.

١٧- تاريخ دمشق: أبو القاسم علي بن الحسن ابن عساكر، تحقيق: عمرو بن غرامة العمروي، دار الفكر بيروت، ط ١، ١٩٩٥م.

١٨- التاريخ الصغير: أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق: محمود إبراهيم زايد، دار المعرفة لبنان، ط ١، ١٩٨٦م.

١٩- تاريخ الطبري (تاريخ الرسل والملوك): أبوجعفر محمد بن جرير الطبري، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف القاهرة، ط٢، ١٩٦٩م.

٢٠- التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد: أبو عمر يوسف بن عبد الله ابن عبد البر القرطبي، تحقيق: مصطفى بن أحمد العلوي ومحمد عبد الكبير البكري، وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية الرباط، ١٣٨٧ هـ.

٢١- تهذيب اللغة: أبو منصور محمد بن أحمد بن الأزهري، تحقيق:محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي بيروت، ط ١، ٢٠٠١م.

٢٢- الثقات: أبو حاتم محمد بن حبان البستي التميمي، مجلس دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن، ط ١، ١٩٧٣م.

٢٣- الجليس الصالح الكافي والأنيس الناصح الشافي: أبو الفرج المعافى بن زكريا الجريرى النهرواني، تحقيق: محمد مرسي الخولي، عالم الكتب بيروت، ط ١، ١٩٩٣م.

٢٤- جمهرة اللغة: أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي، تحقيق: رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين بيروت، ط ١، ١٩٨٧م.

٢٥- حمية الإسلام بالنبيّ عليه الصلاة والسلام: أبو العباس أحمد بن حسن ابن قنفذ القسنطيني، تحقيق: محمد بوركبة، ابن حزم بيروت، ط ١، ٢٠١٥م.

٢٦- خزائن الكتب العربية في الخافقين: الفيكنت فيليب دي طرازي، وزارة التربية الوطنية والفنون الجميلة بيروت، ١٩٤٧م.

٢٧- خلاصة سير سيد البشر: أبو العباس أحمد بن عبد الله محب الدين الطبري، تحقيق: طلال بن جميل الرفاعي، مكتبة نزار مصطفى الباز مكة المكرمة،

ط ١، ١٩٩٧م.

٢٨- درّة الحجال في أسماء الرجال: أبو العباس أحمد ابن محمد المكناسي الشهير بابن القاضي، تحقيق: محمد الأحمدي أبو النور، مكتبة دار التراث القاهرة والمكتبة العتيقة تونس، د.ت.

٢٩- دلائل الإمامة: أبوجعفر محمد بن جرير الطبري، منشورات الأعلمي بيروت، ط٢، ١٩٨٨م.

٣٠- دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة: أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي، دار الكتب العلمية بيروت، ١٤٠٥ هـ.

٣١- ديوان أبي طالب بن عبد المطّلب: صنعة أبي هفّان المهزمي البصري، تحقيق: محمد حسن آل ياسين، دار ومكتبة الهلال بيروت، ط ١، ٢٠٠٠م.

٣٢- ديوان حسّان بن ثابت: تحقيق: وليد عرفات، دار صادر بيروت، ٢٠٠٦م.

٣٣- ديوان عبد الله بن رواحة ودراسة في سيرته وشعره: وليد قصّاب، دار العلوم بيروت، ط ١، ١٩٨١م.

٣٤- سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد: محمد ابن يوسف الصالحي، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض، دار الكتب العلمية بيروت، ط ١، ١٩٩٣م.

٣٥- سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي: عبد الملك بن حسين العصامي، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض، دار الكتب العلمية بيروت، ط ١، ١٩٩٨م.

٣٦- السنة: أبو بكر أحمد بن محمد الخَلّال، تحقيق: عطية الزهراني، دار الراية الرياض، ط ١، ١٩٨٩م.

٣٧- سنن ابن ماجة: أبو عبد الله محمد بن يزيد ابن ماجة القزويني، تحقيق: شعيب الأرناؤوط وآخرون، دار الرسالة العالمية بيروت، ط ١، ٢٠٠٩م.

٣٨- سنن الترمذي (الجامع الكبير): أبو عيسى محمد بن عيسى الترمذي، تحقيق: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، ١٩٩٨م.

٣٩- السنن الكبرى: أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية بيروت، ط٣، ٢٠٠٣م.

٤٠- السنن الكبرى: أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي، تحقيق: حسن عبد المنعم شلبي، مؤسسة الرسالة بيروت، ط ١، ٢٠٠١م.

٤١- سير أعلام النبلاء: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد الذهبي، تحقيق: مجموعة من المحققين، مؤسسة الرسالة بيروت، ط ٣، ١٩٨٥م.

٤٢- السيرة الحلبية (إنسان العيون في سيرة الأمين المأمون): أبو الفرج علي بن إبراهيم الحلبي، تحقيق: عبد الله محمد الخليلي، دار الكتب العلمية بيروت، ٢٠٠٨م.

٤٣- السيرة النبوية: جمال الدين أبو محمد عبد الملك ابن هشام، تحقيق: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ الشلبي، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده القاهرة، ط٢، ١٩٥٥م.

٤٤- شرح الأخبار في فضائل الأئمة الأطهار: أبو حنيفة النعمان بن محمد التميمي المغربي، تحقيق: محمد الحسيني الجلالي، مؤسسة النشر الإسلامي قم، ط ١، ١٤٠٩هـ.

٤٥- شرح الزرقاني على المواهب اللدنية بالمنح المحمدية: أبو عبد الله محمد بن عبد الباقي الزرقاني، دار الكتب العلمية بيروت، ط ١، ١٩٩٦م.

٤٦- شرف الطالب في أسنى المطالب: أبو العباس أحمد ابن حسن ابن قنفذ القسنطيني، تحقيق: عبد العزيز صغير دخان، مكتبة الرشد الرياض، ط ١، ٢٠٠٣م.

٤٧- شرف المصطفى: أبو سعد عبد الملك بن محمد النيسابوري الخركوشي، دار البشائر الإسلامية مكة، ١٤٢٤ هـ.

٤٨- شعب الإيمان: أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي تحقيق: عبد العلي عبد الحميد حامد، مكتبة الرشد الرياض والدار السلفية بومباي، ط ١، ٢٠٠٣م.

٤٩- الشفا بتعريف حقوق المصطفى: أبو الفضل عياض ابن موسى اليحصبي، تحقيق: عبده علي كوشك، جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم، ط ١، ٢٠١٣.

٥٠- الصّبابات فيما وجدته على ظهور الكتب من الكتابات: جميل بن مصطفى بك العظم، دار البشائر الإسلامية بيروت، ط ١، ٢٠٠٠م.

٥١- صحيح ابن حبّان (الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان): أبو حاتم محمد بن حبان البستي التميمي، ترتيب: علاء الدين علي بن بلبان، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة بيروت، ط ١، ١٩٨٨م.

٥٢- صحيح البخاري: أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، دار ابن كثير دمشق، ط ١، ٢٠٠٢م.

٥٣- صحيح مسلم: أبو الحسن مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية القاهرة، د.ت.

٥٤- صلة الخلف بموصول السلف: محمد بن سليمان الروداني، تحقيق: محمد حجّي، دار الغرب الإسلامي، ط ١، ١٩٨٨م.

٥٥- طبقات الشافعية الكبرى: تاج الدين عبد الوهاب ابن تقي الدين السبكي، دار هجر القاهرة، ط٢، ١٤١٣هـ.

٥٦- الطبقات الكبرى: أبو عبد الله محمد بن سعد، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر بيروت، د.ت.
٥٧- العلل ومعرفة الرجال: أبو عبد الله أحمد بن محمد ابن حنبل، تحقيق: وصي الله بن محمد عباس، دار الخاني الرياض، ط ١، ٢٠٠١م.
٥٨- عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير: فتح الدين أبو الفتح محمد بن محمد ابن سيد الناس، تحقيق: إبراهيم محمد رمضان، دار القلم بيروت، ط ١، ١٩٩٣م.
٥٩- غريب الحديث: أبو سليمان أحمد بن محمد بن إبراهيم الخطابي، تحقيق: عبد الكريم إبراهيم الغرباوي، دار الفكر بيروت، ١٩٨٢م.
٦٠- الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية: أبو العباس أحمد بن حسن ابن قنفذ القسنطيني، تحقيق: محمد الشاذلي النيفر، عبد المجيد التركي، الدار التونسية للنشر تونس، ط ١، ١٩٦٨م.
٦١- فتح الباري شرح صحيح البخاري: أبو الفضل أحمد ابن علي ابن حجر العسقلاني، دار المعرفة بيروت، ١٣٧٩هـ.
٦٢- قلائد العقيان ومحاسن الأعيان: أبو محمد الفتح بن خاقان، مصر، ١٨٦٦م.
٦٣- الكامل في التاريخ: عز الدين أبو الحسن علي محمد ابن الأثير الجزري، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي بيروت، ط ١، ١٩٩٧م.
٦٤- الكامل في ضعفاء الرجال: أبو أحمد بن عدي الجرجاني، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض، دار الكتب العلمية بيروت، ط ١، ١٩٩٧م.
٦٥- كشف الغمة في معرفة الأئمة: أبو الحسن علي ابن عيسى الأربلي، دار الأضواء بيروت، ط٢، ١٩٨٥م.
٦٦- لسان العرب: جمال الدين أبو الفضل محمد بن مكرم ابن منظور، دار صادر بيروت، ١٩٩٢م.
٦٧- مجلة الفتح: "الشاشية" محب الدّين الخطيب، س ١، ع ٩، ١٩٢٦م.
٦٨- المحاضرات والمحاورات: جلال الدين عبد الرحمن ابن أبي بكر السيوطي، تحقيق: يحيى الجبوري، دار الغرب الإسلامي بيروت، ٢٠٠٣م.
٦٩- مدونة د. محمد أبو بكر باذيب الثقافية: محمد أبو بكر باذيب، "الاسم الصحيح لسيرة ابن قنفذ القسنطيني". http://batheebcultural.www blogspot.com/2015/04/blog-post.html.
٧٠- المراثي النبوية في أشعار الصّحابة: محمد شمس عقاب، مكتبة الإمام البخاري القاهرة، ط ١، ٢٠١٣م.
٧١- المستدرك على الصحيحين: أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله النيسابوري، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية بيروت، ط ١، ١٩٩٠م.
٧٢- مسند أحمد: أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل، تحقيق: شعيب الأرناؤوط وآخرون، مؤسسة الرسالة بيروت، ط ١، ٢٠٠١م.
٧٣- المقدمات الممهدات: أبو الوليد محمد بن أحمد ابن رشد القرطبي، تحقيق: محمد حجّي، دار الغرب الإسلامي بيروت، ط ١، ١٩٨٨م.
٧٤- معجم الصّحابة: أبو القاسم عبد الله بن محمد البغوي، تحقيق: محمد الأمين بن محمد الجكني، مكتبة دار البيان الكويت، ط ١، ٢٠٠٠م.
٧٥- المعجم الكبير: أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، مكتبة ابن تيمية القاهرة، ١٩٩٤م.
٧٦- المعجم الوسيط: مجموعة مؤلفين، مكتبة الشروق الدولية القاهرة، ط٤، ٢٠٠٤م.
٧٧- مناقب آل أبي طالب: أبو جعفر محمد بن علي بن شهرآشوب المازندراني، دار الأضواء بيروت، ط٢، ١٩٩١م.
٧٨- النجوم الزواهر في معرفة الأواخر: أبو العباس شهاب الدين أحمد بن خليل ابن اللبودي، تحقيق: مأمون الصّاغرجي ومحمد أديب الجادر، مطبوعات مجمع اللغة العربية دمشق، د.ت.
٧٩- نفحة اليمن فيما يزول بذكره الشجن: أحمد بن محمد ابن علي بن إبراهيم الأنصاري الشرواني، مطبعة التقدم العلمية القاهرة، ط ١، ١٣٢٤هـ.
٨٠- النهاية في غريب الحديث والأثر: مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد ابن الأثير الجزري، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي ومحمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية بيروت، ١٩٧٩م.
٨١- نور اليقين في سيرة سيد المرسلين: محمد بن عفيفي الباجوري الخضري، دار الفيحاء دمشق، ط٢، ١٤٢٥هـ.
٨٢- نيل الابتهاج بتطريز الديباج: أحمد بابا التمبكتي، إشراف: عبد الحميد الهرّامة، منشورات كلّية الدعوة الإسلامية طرابلس، ط ١، ١٩٨٩م.
٨٣- وسيلة الإسلام بالنبيّ عليه الصلاة والسّلام: أبو العباس أحمد بن حسن ابن قنفذ القسنطيني، تعليق: سليمان الصّيد، دار الغرب الإسلامي بيروت، ط ١، ١٩٨٤م.
٨٤- الوفيات: أبو العباس أحمد بن حسن ابن قنفذ القسنطيني، تحقيق: عادل نويهض، دار الآفاق الجديدة بيروت، ط٤، ١٩٨٣م.
85- Revue Africaine: "Origine du mot CHACHIYYA" M.BEN CHENEB, Vol 51,1907.

شعر منصور بن باذان الأصفهاني
من شعراء القرنين الثَّاني والثَّالث الهجريين

د. عبد الرازق عبد الحميد حويزي
بجامعة الطائف

مقدمة

ضَياعُ التُّراثِ الشّعريِّ العَرَبِيِّ أمرٌ واقعٌ، لا يمكن تجاهُلُه، أدى إلى نَقْصٍ وَاضِحٍ في استكمالِ استِشْرافِ الجوانِبِ الفِكْرِيَةِ، واستِجْلاءِ الاتجاهَاتِ الفَنِّيَةِ، ونَزَعاتِ الشّعراءِ؛ لذا شمَّرَ المحَقِّقُونَ في العَصْرِ الحَدِيثِ عَن سَاعِدِ الجِدِ، وَهَبُّوا للتَّنْقِيبِ عن مخطُوطِ هَذا التُّراثِ، وإذا عَزَّ عَلَيهم أمْرُ الحُصُولِ عليه انبَرُوا في جمعِ مَا تَبَقَّى مِنْه، ونَشَرُوه إمَّا في دَواوِينَ مُفْرِدَةٍ، لِكُلِّ شاعرٍ دِيوان، وإمَّا في دَواوِينَ مجموعَةٍ لِعِدَّة شُعَراء تجمَعُهم قَبِيلَةٌ واحدَةٌ، أو عصْرٌ واحدٌ، أو بيئةٌ واحدةٌ، أو سِمَةٌ فَنِّيَةٌ وَاحِدَةٌ.

ولا يُنْكر أنّـه قَدْ أُثِـرتْ جُـهودٌ محمودةٌ مشكورةٌ، انتشلتْ غيرَ قَليلٍ من الشُّعراء مِن هُوَّة النِّسْيَانِ، ورَفَعتْهُم أمَامَ العِيَانِ، وقَرَّبتْ تراثَهم الشّعريَّ مِن أَقْلامِ الدَّارِسِينَ في كلِّ مَكانٍ، بيدَ أنَّ تُراثنا الشّعريَّ لا يَزالُ فيه العديدُ مِن الشُّعراء الذينَ ضَاعتْ أصولُ دَوَاوِينِهم المخطُوطَةِ، ولم يُجْمَعْ شِعرُهُمْ حتَّى الآن، ومِن هؤلاءِ الشُّعراء "مَنصور بن باذانَ الأَصْفهانيّ"، صاحبُ هذا المجموع الشّعريِّ، الذي عاشَ في القَرْنَيْنِ الثَّاني والثَّالث الهِجْرِيَّيْنِ، وهي فَتْرَةٌ تُعَدُّ مِن أزهَي فَتَرَاتِ الأَدَبِ العرَبيّ؛ لِذا كَانتْ هذِه المحاولةُ التي تُبْرِزُه كشَاعِرٍ، له قَدَمٌ راسخةٌ في الإبداعِ الشّعريِّ، وباعٌ طَويلٌ في شِعر الهجَاء، وهذا ممَّا يُهَيِّئُ الفُرْصَةَ لمحاولة تلمس العلائق بين هِجائهِ وهجاءِ "ابن الرُّومي ت ٢٨٣هـ" الشّاعر المشهور المعروفِ بهجائِهِ المُقْذِع.

وتُعَدُّ هذه المحَاوَلةُ الأُولـى مِن نَوْعِها في عَصْرِنَا الحديثِ في نِطَاقِ الاهتِمَامِ بِشِعْرِ هذا الشَّاعر جَمْعًا وتَحْقِيقًا وشَرْحًا ، وَرُبَّما يَكُونُ

هُنَاكَ مَن سَبَقَنِي إليها دُونَ عِلْمي، ولا أُنكِرُ أَنَّها لا تَخْرُجُ عَنْ مَثيلاتِها في إخْداقِ المخَاطِرِ بها، فَضْلاً عن عُرْضَتِها للاستِدْراكِ كُلَّما طُبِعَتْ مَصادِرُ تراثِيَّةٌ جديدةٌ.

والباحِثُ إذ يُقَدِّمُ هذه المحَاوَلةَ يَأْمَلُ أن يَكُونَ قَدْ طَبَّقَ المفْصِلَ، وأَصابَ المحَزَّ بما بذلَ مِن جُهدٍ، طَواهُ عِدَّةَ أَعْوامٍ تَطَلُّعًا إلى زِيادةِ الحصِيلَةِ الشِّعريَّةِ أكثرَ مِمَّا هِيَ عليه الآن، ولما رَأى أنَّ النَّهرَ قَدْ جفَّ نَبْعُه، فَأَصْبَحَ من العسِيرِ الحصُولُ على مَادَّةٍ شِعْرِيَّةٍ جَدِيدةٍ تَسْتَأْهِلُ الانتظارَ بَادرَ إلى تقريبِها مِن أَقْلامِ الأُخوةِ الدَّارسينَ الأفاضلِ دَاعِيًا الله - عَزَّ وَجَلَّ - أن تَنَالَ رِضاهم، وأن يَكُونَ لها أَثَرُهَا في الدِّراساتِ الأدبيَّة والنَّقدِيَّةِ.

رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ.

ابن باذان الأصفهاني

" ابن بـاذان " شاعرٌ من الشُّعراء الذين طواهم النِّسيانُ، وأتت على ديوانِ شعره عوادي الأيَّامِ، فلم يسلم من التَّحريف في المصادر التي لم تمنحْه العنايةَ التَّامة، إذ لم تترجم له ترجمةً واضحةً، تُفصح فيها عن هُويته ونسبِه، كما فعلت مع شعراءَ آخرين أقلّ منه موهبةً وإبداعًا، وكلُّ ما فيها لا يعدُو عن كونِه إشاراتٍ خاطفةً مبتسرةً هنا وهناك، لا تنقعُ وَمًأ، ولا تَبُلّ صَدى، فكانَ دورُ جمع هذه الشَّذرات الإخباريَّة، وتكوين منها الترجمة الآتية.

وأَطْـولُ ترجمةٍ أُثرت له وردتْ لدى "ابن المعتزّ ت ٢٩٦ هـ " في كتابه " طبقات الشُّعراء"، وهي لا تتضمَّن - على الرغم من طولها - أخبارًا كافيةً لِتسليطِ الأضـواءِ على شيءٍ من تفاصيلِ حياتِه، ولا عصره، فعِمادُها الاختيارات الشّعريَّة، ومهما يكن من أمرٍ فقد أُستعين بها، وبما ورد في ثناياها من شعرٍ قِيلَ في شَخصيات للتَّوصّلُ إلى عصرِ هذا الشَّاعر.

أما اسمُه فهو "منصور الأصبهانيّ"، وهكذا أورده" ابن المعتز"[١]، ولم يزد على هذا، وأوردتْ بعضُ المصادر اسمَه هكذا: " منصور ابن بـاذان"[٢] فقط دون زيادة، وأطول سِلسلة نسبٍ ذكرتها المصادرُ له هي: "منصور بن باذان الأصفهانيّ"[٣]، لذا عُرف في كثيرٍ من المصادر التي أوردتْ شعرَه " بالباذانيّ"[٤].

ولم تسلمْ كلمة " باذان " من التَّحريف، فقد وردتْ في أكثر المصادر على الوجه الصحيح هكذا: " باذان "[٥]، على حين وردتْ في بعضِها هكذا: " البازاني "[٦]، وَوَرَدتْ في بعضِها هكذا: "ماذام"[٧]، وورد أيضًا في بعضها هكذا: رادان[٨]، وورد في بعضها هكذا: " البادانيّ "[٩]، وورد في بعضها هكذا: " ابن بادان"[١٠].

أمَّا عن موطنه، وزمنه، وتاريخِ مولده وتاريخ وفاته فلم يذكر القدماءُ شيئًا عن كل هذا، بيدَ أنَّ شعرَه يُومئُ إلى زمنه من طرفٍ خفيّ، وعن بعض رحلاتِه، فمِن المرجح أنه من " أصفهان " بدليل نسبته إليها، وبدليل قول " حمزة الأصفهاني ": إنه من مشاهير شعرائها[١١]، وإدراج " الثَّعالبي " إياه في قائمة شعرائها المبدعين[١٢]، ويؤيِّدُ هذا شعرُه المتُبقِّي، ففيه هِجاءٌ للمغيرةِ بن الفيض[١٣]، وهو محدِّثٌ أصفهانيٌّ، وفي شعرِه مَا يدُلُّ على أنه رحلَ إلى "العراقِ"، فقد قال شعرًا في " أبي دُلَف العِجْليّ ت ٢٢٥ هـ "، أميرِ " الكَرخِ " في العراق، ويدلُّ شعرُه على أنَّه اجتمع بـ" محمد ابن وُهَيب الحِمْيَريّ ت ٢٢٥ هـ"[١٤]، وهو شاعرٌ

شعر منصور بن باذان الأصفهاني من شعراء القرنين الثاني والثالث الهجريين

من شعراء البصرة، أما زَمَنُه فقد ذهب العلامةُ " فؤاد سزكين " إلى أَنَّه كَانَ معاصرًا " لأبي نواس "، ومعروف أن " أبا نواس تُوُفِّيَ عام (١٩٨ هـ)، وفي شعر " الباذانيّ " هجاءٌ في " علي بن المغيرة الأثرم "، العالم اللُّغويّ المتَوَفَّى عام (٢٣٢ هـ) [١٥]، و" عِيسى بن هِشَامٍ النَّاشريّ " المتَوفَّى عام (٢٢٠ هـ)" [١٦]، وواضحٌ من خلالِ عَلاقَاتِهِ بمعاصريه أنَّ الأشخاصَ الذين اتَّصل بهم كانوا في العِقدين الثَّالث والرَّابع من القرن الثَّالث الهجري مما يقطَعُ بأنَّه وُلد في العقودِ الأخيرةِ في القرنِ الثَّاني، وتُوفي بعد الثُّلثِ الأَوَّلِ من هذا القرنِ.

إنَّ ذكْرَ " الباذانيّ " لهؤلاء الأشخاصِ سَاعد الباحثَ في التَّأَكُّدِ من عصره من ناحيةٍ، وأفصحَ عن عَلاقَاتِهِ ببعض معاصريهِ من ناحيةٍ أخرى، وكشف عن شَخْصِيَّتِه من ناحية ثالثةٍ، أمّا عن زَمَنِه فقد اتضَحَ مِمَّا سَلَفَ، وأما عن طبيعةِ عَلاقَاتِهِ ببعضِ مُعاصريه فالغالبُ عليها الطابعُ السّلبيّ؛ حيث يشملُها مَنزِعُ الاضطرابِ والتّوترِ، فقد أظهرَ ما بقي من شعرِه أَنَّه كَان هجَّاءً، وقد أفصحتْ عن ذلك بعضُ المصادر [١٧]، فلم يسلمْ من هجائِه كل من أخيه [١٨]، وأخته [١٩]. وللعلماءِ والمحدِّثينَ والفقهاءِ حَظٌّ وافرٌ من هجائِهِ، وهو يحرصُ كُلَّ الحرصِ على ذكر اسم المهجُو في شعره ليُسَجِّلَ ذِكْرَه في صَفحةٍ سوداء، وليعلمَ النَّاسُ فيمن قِيلَ هذا الهجاءُ، هذا فضلاً عن توظيفِ بعض الألفاظِ التي تخدشُ الحياء مِمَّا حدا بالباحثِ إلى إيثارِ حذفِها، ووضعِ بعضِ النِّقاط مكانها.

أمّا عن شخصيتِه فقد أظهرت أشعارُه أَنَّها متقلِّبةٌ، لا تعرفُ الاستقرارَ، متناقضةٌ سريعةُ التّقلب وفق نزعاتِها، وهذا يذكّرُنا بشخصيّة "بشار بن بُرد ت ١٦٧ هـ " ، وشخصيّة " ابن الرومي ت ٢٨٣ هـ " ، وقد حفظت المصادرُ مقطعاتٍ قالها " الباذانيّ " في مدحِ " أبي دلف العِجْلِيّ " [٢٠]، وأخرى قالها في هجائه [٢١].

وفي شعره - وهو على الرَّغم من هذا – أماراتُ الظّرفِ، وعلاماتُ الفكاهةِ، ولا يخلُو من سُخرية لاذعةٍ من انقلابِ الأوضاعِ، وارتكاس القيمِ، كما يبدُو من المقطّعة التي تألّم فيها من حجب " محمد بن وُهَيب الحميريّ "، وهو أديبٌ كبير، وشاعر مرموق [٢٢]، ومثلُ هذه السّمات جديرةٌ بإدراجِ " الباذانيّ " في قائمةِ الشُّعراء المتمرِّدين في العصر العباسيّ الأولِ، أمّا عن ظَرْفه فَيَدُلُّ عليه إعجابُ " أبي دُلَف العِجْلِيّ " الشّاعر والأمير ببعضِ شعرِه، فكان يقولُ بعدما سمع قوله في هجاء " عقبة بن مالك " [٢٣]:

يَـا خُطبـةً ضيَّعهـا مَـالِـكُ
أضيَـعُ منهَـا المنبرُ الـهَـالِـكُ
يَـا آلَ بَـكْـرٍ قَبِّلُـوا قَـاسِمًـا
صَـارَ عَلَـى شُرْطَتِـهِ مَـالِـكُ
عِـضَـادةُ المِنْبَـرِ فِـي كَـفِّـهِ
حِـمَـارٍ أسـودُ حَـالِـكُ

" ما رأيتُ أحدًا فوق منبر، وعضادةُ المنبر في كفّه إلاّ ذكرتُ قولَ منصور ابن باذان فكدتُ أضحك " [٢٤].

وهذا الظّرف شائعٌ حتى في شعرِه الذي قاله في أخيه، وفي أختِه، وهذا يقتضي إلقاء الضّوءِ على أخته، وعلى أخيه هذا، أو بالأحرى بيئته

الخاصّةِ من خلال النُّتفِ الإخباريّة القليلة، فقد دَلَّتِ المصادر ومعها شعرُه على أنه ذكر أخاه هذا كثيرًا في شعره، ، وصبَّ عليه سياطَ هجائه المتتابع، فقسا عليه، ولم يرحمه، هذا الأخ اسمه " خُشنام " – كان فقيهًا، وخطيبَ البلد في عصرِه(٢٥)، قال فيه "الباذانيّ"(٢٦):

١- أقولُ غداةَ العِيدِ والنَّاسُ شُهَّدٌ
وَمِنْبَرُنا العَالي البِنَاءِ رَفِيعُ

٢- لَعَمْرِي لَئِن أضْحَى رَفِيعًا
مَنْ يَرْتَقي أعْوَادَه لَوَضِيعُ

٣- أقولُ إذا ما قَامَ ينهقُ فوقَه:
أتبلغُ هَذا المرتَقى وَأضِيعُ ؟ !

٤- ومن عجبِ الدُّنيا صُعُودُك مِنبَرًا
وحَولَكَ ألفٌ سَامِعٌ ومُطِيعُ !

٥- وما كنتُ أخْشَى مثلَها اليومَ نَكْبَةً
أذِلُّ لهَا والمسلِمُون جميعُ !

وأمّا أختُه فاسمُها " سعاد "، تزوّجها " أبو دلف العِجْلِيّ " أميرَ " الكَرْخ "، القائد والشّاعر والأديبُ المعروف، والمضروبُ به المثلُ في الجُود والشّجاعة والمروءة، فكَرِه " منصور " هذا الزواج، وأدرك أنه سيُخرجها، فقال فيها شعرًا ليُطَلِّقَها(٢٧).

وشعرُه في الهجاء حافلٌ بالصُّور البديعة التي تَشيعُ فيها دلائلُ السّخرية والفكاهة، مما يَصحّ إسلاكُه في عِداد الظّرفاء، ويستحق أن يطلق عليه: " الثّائر المتمرّد الظّريف ".

منزلته الشعرية:

صدرتْ بعضُ الآراءِ التي تُفصحُ عن شهرة " الباذانيّ " في نظم الشّعر ، وتوضّحُ مكانتَه بين شعراءِ عصرِه، فقد عَدَّه " حمزة الأصفهاني " من مشاهير شعراءِ " أصفهان "، وصرّح بذلك " أبو منصور الثّعالبي ت ٤٢٩ هـ" في قوله عن " أصفهان " وشعرائِها بأنّها: "مخصوصةٌ من بين البلدان بإخراجِ فضلاء الأدباء، وفحولةِ الكتّاب والشّعراء، فلما أخرجت الصاحبَ أبا القاسم وكثيرًا من أصحابه وصنائعه، وصارتْ مَركزَ عِزِّه، ومجمعَ نُدمائِهِ، ومطرحَ زُوارِه، استحقَّت أن تُدعى مثابة الفضلِ، وموسمَ الأدب، وإذا تصفّحتُ كتابَ أصبهان لأبي عبد الله حمزة ابن الحسين الأصبهانيّ، وانتهيتُ إلى ما أوردَ فيه من ذكرِ شعرائها وشعراءِ الكَرْخِ المقطعة عنها، وسياقةِ عيون أشعارهم، وملحِ أخبارهم، كمنصور بن باذان... حكمتُ لها بوفور الحظّ من أعيانِ الفضْلِ، وأفرادِ الدَّهرِ "(٢٨).

ديوان شعره:

كان " للباذانيّ " ديوانُ شعر، رأى " حمزة الأصفهاني " نسخًا متعدّدةً عتيقةً منه، ونقلَ منه قطعة شعريّةً، وصرّح بقيامِ " أحمد بن عثمان البُرّي " بإدخالها في شعر " أبي نواس "(٢٩)، واختفى خبرُ الدّيوانِ بعد ذلك، وذكرَ العلامة " فؤاد سزكين " رؤية " حمزة الأصفهانيّ " له وبعض مصادر شعره دون تحديدٍ لمخطوطة الدّيوان، ويبدُو أنّها ضاعتْ، ولم يبق أمام الباحثين المعاصرين إلاَّ جمعُ ما تفرق في المصادر من شعر " الباذانيّ "، فكانت هذه المحاولةُ التي اتبعت في إخراجها منهجًا علميًّا، لا يخرج عمّا اتبعتُه في مثيلاتها(٣٠).

شعر منصور بن باذان الأصفهاني من شعراء القرنين الثاني والثالث الهجريين

[قافية الألف المقصورة]

(١)

قال " منصور بن باذان " في المغيرة بن الفيض *: [من السريع]

١ـ فَضِيحَةٌ جَاءَتْ عَلَى غَفْلَةٍ
يَبْلَى الجديدانِ ولا تَبْلَى

٢ـ مُغيرةُ بن الفيضِ في بيتِهِ
جَاريةٌ مِن غيرِه حُبْلَى

* ابن الفيض: هو المغيرة بن الفيض الثقفي، لم أقف له على ترجمة، ووقفت في طبقات المحدثين بأصبهان والواردين عليها ١٨٨/٢ على ما يفيد بأنه كان أحد علماء الحديث الشريف، والتفسير، والتاريخ، قدم عليه الحسن بن حابس الجصاص. ينظر تاريخ أصبهان ٣٠٦/١، وينظر في هجاء ابن الفيض المقطعات: (١٨، ٢٠، ٣٠)

التَّخريج: طبقات الشُّعراء ٣٤٨ ـ ٣٤٩.

[قافية الهمزة]

(٢)

وقال في قوم دعوه فسرقوا كساءه: [من الوافر]

١ـ ألا يَا قَومُ غَدَيْتُم ولكِن
أَحَلْتُم بالغَداءِ عَلَى الكِسَاءِ !

٢ ـ أَصَيَّرْتم كِسَائِي قَهْرَمَانًا
تكفَّلَ بالغَدَاءِ وبالعَشَاءِ ؟

٣ـ فَكيفَ سُلِبْتُ مِن بينِ النَّدَامَى
ألم يحضُرْ غَدَاءَكم سَوَائِي ؟

٤ـ فَرُدُّوا قَدْ نَصَحْتُ لكم ـ كِسَائِي
ولا تَلْجُوا إلى كَشْفِ الغِطَاءِ

٥ـ فإنِّي إنْ هَجَوتُكُمْ ببيتٍ
كَشَفْتُ السِّتْرَ عَن بَابِ النِّسَاءِ

الشَّرح: (٢) القَهْرَمَانُ: هُوَ المُسَيْطِرُ الحَفِيظُ على مَا تَحْتَ يَدَيْه... قَالَ سِيبَوَيْه: هُوَ فارسِيٌّ، والقَهْرَمَانُ لُغَةٌ فِيه، وَقَالَ ابنُ بَرِّيّ: القَهْرَمَانُ: من أُمَنَاءِ المَلِكِ وخَاصَّتِه ". تاج العروس ٣٢٢/٣٣.

التخريج: طبقات الشُّعراء ٣٥١.

(٣)

وقال في " أبي دُلَفَ العِجْلِيّ " * وكان نقش خاتمه الوفاء: [من مجزوء الكامل]

الغَدْرُ أكثرُ فِعْلِهِ
وكِتَابُ خَاتِمِهِ الوَفَاءُ !

* أبو دلف العِجْلِيّ: شاعر من شعراء العصر العباسي الأول، اسمه القاسم بن عيسى، أحد أجواد العرب، كان أميرًا على الكرخ، شجاعًا حازمًا فارسًا، قائدًا للمأمون والمعتصم، مدحه كثيرٌ من الشُّعراء رغبة في عطائه، طارت شهرته بكرمه وإبداعه الشّعري، توفي عام (٢٢٥ هـ)، له ديوان شعر منشور في الجزء الثّاني من كتاب شعراء عباسيون، جمعه د. يونس السامرائي، قوامه (٢٥١) بيتًا. يُرجع في أخبار حياته لكتاب الأستاذ هزاع الشّمّري باسم " أبو دلف العِجْلِيّ: مفخرة من مفاخر العرب "، ومقدمة ديوانه، وينظر في دراسة شعره ما كتبه الدكتور " محمود سهيل عبد الله " في مجلة آداب المستنصرية، ع٤٤، ٢٠٠٥م تحت عنوان: "أثر

شعر عنترة في شعر أبي دُلَف ".

التَّخريج: محاضرات الأدباء ٦٠٢/١، والدُّرّ الفريد ٢٢٥/٢.

[قافية الباء]

(٤)

وقال في قامة النرجس: [من الخفيف]

ورقٌ فَوْقَـهـا دَنـانـيـرُ صُـفـرٌ

قَـدْ عـلَـتْ مِـنْ زَبَـرْجَـدٍ أُنْـبُـوبَا

الشَّرح: الزَبَرْجَدُ والزَّبَرْدَجُ: جَوْهَرٌ معروف، وهو من أنواع الزُّمُرّد. تاج العروس ١٤٠/٨.

التَّخريج: محاضرات الأدباء ٤٧٧/٤، وحدائق الأنوار ١٨٥.

(٥)

وقال يمدح أبا دُلَف: [من الطويل]

١ ـ إذا حَدَّثَتْه النَّفسُ أمْضَى حَدِيثَها

وَهـانَ عليه مَـا يَـرَى فـي العَواقِبِ

٢ ـ فَمَا إنْ تَـرَاهُ الدَّهرَ إلاَّ معزَّزًا

بِنَفْسٍ أبَـتْ إلاَّ صِعَـابَ المطالِبِ

٣ ـ يعَافُ عن الكَسْبِ الَّذي لَيسَ دُونَه

حِـمـامُ المـنَـايَـا أو قِـراعُ الكتائِبِ

٤ ـ إذا فاجَأتْه الخيلُ لم يَنْتَظِرْ لَهَا

لَـحَـاقَ رِجـالٍ واجـتـمـاعَ مـقَـانِبِ

٥ ـ ولكنَّه يَرْمِي الصُّفوفَ بِنَخْوَةٍ

إذا جَشَأتْ نفسُ الجَبَانِ الموارِبِ

٦ ـ يكُونُ إذا قَالُوا: البِرازَ أمَامَهَا

ويُلْفَى إذا وَلَّـتْ حِمَى كُـلِّ هَـارِبِ

٧ ـ وَلَسْتَ تَـرَاه الدَّهرَ إلا مُغَامِسًا

بِخوضِ رِمَـاحٍ لاكتسَابِ الرَّغَائِبِ

٨ ـ فَـأَحْـرِ بـهـذَا أن يُـوفَّـى حِمَامَه

إذا كَـانَ يَستَدْعِيه مِـن كُـلِّ جَانِبِ

٩ ـ ومَن قَارَعَ الأبْطَالَ أوْشَكَ أنْ يَرى

مـنـيَّـتَـه بـيـنَ الـقَـنَـا والـقَـواضِـبِ

الرِّواية: (٢) ورد البيت الثَّاني في الدُّرّ الفريد برواية: " فتى لا تراه الدهر إلا مغرّرًا ".

(٣) وورد البيت الثَّالث في طبقات الشعراء برواية: "يعَافُ مِن الكَسْبِ".

(٤) وورد البيت الرَّابع في محاضرات الأدباء، والدُّرّ الفريد في الموضعين برواية:" لم ينتظر بها... المقانب".

(٥) وورد البيت الخامس في الدُّرّ الفريد في الموضعين برواية: " بنحره ".

الشَّرح: (٤) المَقانِبُ: جَماعةُ الفُرْسَانِ. تاج العروس ٨٣/٤.

(٥) النَّخْوة: الكِبرُ والعَظَمة. تاج العروس ٥١/٤٠، والموارِبُ: المخاتل المخادع. تاج العروس ٣٤١/٤.

(٧) المُغَامَسةُ: المُدَاخَلةُ في القِتَال. تاج العروس ٣١٤/١٦.

(٩) القَواضِبُ: السيوف القاطعة. تاج العروس ٥١/٤.

التَّخريج: طبقات الشُّعراء ٣٤٥ - ٣٤٦، ووردت الأبيات ١ ـ ٥ بتقديم الثَّاني على الأول في الدُّرّ الفريد ١٧٧/٤، والبيتان ٤، ٥ له فيه

أيضًا ١٤/٢، والبيت الرّابع له في محاضرات الأدباء ٢٥٩/٣ والبيت الأول بلا نسبة فيه ٥٠/١.

(٦)

وقال: [من الطويل]

كَأَنَّ صَبَايا الزَّعْفَرانِ إذا بَدَتْ
نِصَالُ سِهَامٍ أُفْرِدَتْ لا تُرَكَّبُ

الشَّرح: الصَّبَايا: جمع صَبِيٍّ، يُطلَقُ عَلَى الخدِّ والرَّأسِ والطَّرْفِ، وهو من العين ناظرها. ينظر تاج العروس ٤٠٩/٣٨، والنصال: جمع نصل: هو حَديدَةُ السَّيفِ، ما لَم يَكُنْ لهُ مَقْبِضٌ، ". تاج العروس ٤٩٤/٣٠.

التخريج: محاضرات الأدباء ٤٩٧/٤.

(٧)

وقال في وُهَيب الحميريّ *: [من الكامل]

١ـ أنَّى احتجَبتَ وذاكَ مِنْكَ عَجيبُ
أجهلتَ مَا يَأْتي وَأنْتَ أديبُ ؟

٢ ـ أوَ مَا علِمتَ بِأنَّ ذلكَ مُنْكَرٌ
مِن فِعلِ مَن قَرَضَ القريضَ عَجيبُ؟

٣ ـ مَن ذَا الَّذي يَأْتيكَ إلا مُكْرَهًا
وهو الخبيرُ بِأنَّه مَغْلُوبُ؟

٤ ـ فَدَعِ الحِجَابَ لِمَن يَليقُ ببابِهِ
فَمِنَ الكَبَائِرِ شَاعِرٌ مَحْجوبُ

* محمد بن وهيب الحميري، كنيته أبو جعفر، توفي نحو (٢٢٥ هـ)، شاعر من مشاهير شعراء البصرة في العصر العباسي، سكن بغداد، كان معجبًا بنفسه، مدح بعض خلفاء بني العباس منهم: المعتصم، والمأمون، له ديوان شعر منشور، جمعه وحققه يونس السامرائي، ونشره في الجزء الثّاني من كتابه شعراء عباسيون، وترجمته في مقدمته، وينظر فيه معجم الشُّعراء ٤٢٠، والوافي بالوفيات ١٧٩/٥، والأعلام ١٣٤/٧.

التَّخريج: طبقات الشُّعراء ٣٥٢.

(٨)

وقال في عقبة بن مالك *: [من المجتث]

١ـ أمَا وَزَمْرِ ابنِ شَيْبَهْ
وقُبْحِ لِحيةِ عُقْبَهْ

٢ ـ كأنَّمَا شَعْرُ قِرْدٍ
مُلَصَّقٌ حَوْلَ ذَنْبَهْ

٣ـ وَوَجْهُهُ حِينَ يَبْدُو
كَقُبْحِ أولِ شَرْبَهْ

٤ـ لَئِنْ أطَلْتَ حِجَابي
مَا أنتَ إلاَّ ابنُ قَحْبَهْ

٥ـ وكيفَ تَبْنِي المَعَالِي
يَا نَجْلَ كَلْبٍ لِكَلْبَهْ !

٦ـ وهَلْ يَكُونُ كَرِيمًا
يَا قَوْمِ حَمَّالُ قِرْبَهْ ؟ !

الشَّرح: (١) عُقْبَهْ: هو عقبة بن مالك، المقصود في المقطعتين: (٣٤، ٣٥)، ولم أتبين المقصود به وبابن شيبة المذكور في صدر البيت الأول.

التَّخريج: المحاسن والمساوئ ١٥٦/١، وفي هامشه: الذنبة بالتحريك، الذنب، وسكن للضرورة.

(٩)

وقال: [من السريع]

١- يَا ذا الَّذي قصَّرَ في مَجْدِهِ
وَزَادَ في عُدَّةِ حُجَّابِهِ

٢- أَقْسَمْتُ لا أَقْرَبُ بَابَ امرئٍ
يَحْجُبُني البَوَّابُ عَن بَابِهِ

٣- فَأَدْخَلَ اللهُ رُوَيْسَ امرئٍ
يَحْجُبُ مثلي في... بوّابِهِ

التَّخريج: المحاسن والمساوئ ١٥٦/١، وحذفت كلمة ذات دلالة مكشوفة من عجز البيت الأخير.

(١٠)

وقال: [من الطويل]

١- كفى حُزنًا أن النَّوى قَذَفَتْ بنا
بعيدًا وأن النَّأيَ أعيتْ مَطَالِبُهْ

٢- فَلَوْ أنَّنا إذ فَرَّقَ الدَّهرُ بَيْنَنا
عَسَى وَاجِدٌ مِنَّا تموَّلَ صَاحِبُهْ

٣- ولكنَّنا مِن دَهرِنا في مَؤُونَةٍ
يُكَالِبُنَا طَورًا وطَورًا نُكالِبُهْ

٤- وَمَنْ طَلَبَ الدُّنيا على مَا يُريده
أَصَابَ ثَرَاءً أَوْ أَرنَّتْ حَبَائِبُهْ

٥- فَدُونَكَ هَذا الصَّبرَ إني وَجَدْتُهُ
مُعِينًا عَلَى الأَمْرِ الَّذي عَزَّ جَانِبُهْ

٦- فَلا تَحْسِبِ المقْدُورَ فَاتَ وقوعُه
فَإِنَّ قَضَاءَ اللهِ لا بُدَّ طَالِبُهْ

الرِّواية: (١) ورد البيت الأول في المحاسن والأضداد، والمحاسن والمساوئ برواية: " وأن الرزق أعيت مذاهبه ".

(٢) وورد البيت الثَّاني في المحاسن والأضداد، والمحاسن والمساوئ برواية: " ولو أننا * غنى ".

الشَّرح: (٢) عسى: يَبِسَ واشْتَدَّ، وتَمَوَّلَ: كَثُرَ مالُه. تاج العروس ٤٢/٣٩، ٣٣٢/١٠.

(٤) أَرنَّتْ: أحدثت صوتًا. تاج العروس ١١٦/٣٥.

التَّخريج: طبقات الشُّعراء ٣٤٦، والأبيات ١ – ٣ بلا نسبة في سياق قصة وأنشدها ابن أبي طاهر في المحاسن والأضداد ٩٢، والمحاسن والمساوئ ٢٦٩/١.

[قافية التاء]

(١١)

وقال: [من السريع]

١- أردتُ أن أهجُوك حَتَّى إذا
عَلِمتُ مَن أَنْتَ تَقَزَّزْتُ

٢- وكيفَ أهجُوكَ ومَا مَرَّةً
ذُكِرْتَ لي إلاَّ تَبَزَّقْتُ

٣- فَذَاكَ أنجَاكَ وَلَو أنَّني
أردتُ أنْ أهجُوكَ أَحْسَنْتُ

٤- فكمْ فَتىً تَصْغُرُ عَن قَدْرِه
كَوَيتُ جَنبيْهِ فَأَنْضَجْتُ

الشَّرح: البُزاقُ: لُغةٌ في البُصاقِ. تاج العروس ٧٧/٢٥.

التَّخريج: أخبار أبي تمام ٤٨.

شعر منصور بن باذان الأصفهاني من شعراء القرنين الثاني والثالث الهجريين

[قافية الجيم]

(١٢)

وقال فيمن يكنى بـ" أبي جعفر ":

[من السريع]

١ـ قُـل لـلَّـذِي جَـاءَ مِـن الـحَـجِّ
يَـا أَحْـوَجَ الـنَّـاسِ إلـى الـعَـفْـجِ

٢ـ لم تُـهْـدِ لـي نَـعْـلاً ولا مُـقْـلَـةً
كـأنَّـمَـا جِـئْـتَ مِـنَ الـبُـرْجِ

٣ـ تِـهْـتَ بِـأَنْ جِـئْـتَ بـحَـجَّـامَـةٍ
ونَـعْـفَـةٍ مِـن نَـعَـفِ الـزُّنْـجِ

٤ـ لَـو بِـلْـتَ مُـلْـكًا نـالَـه طَـاهـر
لـكُـنْـتَ مَـقْـطُـوعَ الأَيْـرطَـنْـجِ

٥ـ كَـيـفَ انـكـبابٌ يَـا أَبَـا جَـعْـفَـرٍ
تُـقْـدِمُ الـلـبْـدَ مَـعَ الـسَّـرْجِ ؟!

٦ـ فَـلَـسْـتَ تُـلْـفَـى بَـعْـدَه مُـفْـلِـحًا
مَـا أطـلـعَ الـحُـجَّـاجُ مِـن فَـجِّ

الشَّرح: (١) العفْج: الأمعاء، أي أمعاء الأنعام. تاج العروس ١٠٥/٦.

(٢) المُقْلُ المَكّيُّ: ثَمَرُ شَجَرِ الدَّوْمِ، الشَّبيه بالنَّخْلَةِ في حالاتها، يُنضَجُ ويُؤْكَلُ، خَشِنٌ قابِضٌ بارِدٌ، مُقَوٍّ للمعِدَةِ ". تاج العروس ٤١٤/٣٠.

(٣) النَّعفةُ: الجِلْدَةُ التي تُعلَّقُ بآخِرَةِ الرَّحْلِ. تاج العروس ٤٢٧/٢٤.

(٤) كذا وردت كلمة القافية في البيت الرَّابع، ولعلها مكونة من كلمتين، الأخيرة منهما طنج، وهي بمعنى الصّنف، وقال المحقّق: كذا وردت الكلمة. قلت: ولم أجدها في معاجم اللغة، ولا في كتاب التكملة للمعاجم العربية من الألفاظ العباسية لإبراهيم السامرائي، ولا في كتاب الألفاظ الفارسية المعربة للسيد ادّي شير، وربما كانت الكلمة من هذيان الشّاعر لإكمال القافية، كما حدث مع بشار بن برد في بيته:

وَلَـهَـا خَـدٌّ أَسِـيـلٌ
مِـثْـلُ خَـدِّ الـشَّـيْـفَـرانـي

عندما سأله بعضهم عن معنى كلمة "الشيفران"، فقال لهم: هذه من غريب لغة الحمير، فإذا لقيتم حمارًا فسلوه. ينظر في هذا كتاب العقد الفريد ٤٤٢/٦.

(٥) اللبْدُ: ما تحت السرج. تاج العروس ١٢٨/٧.

التَّخريج: طبقات الشُّعراء ٣٥٤.

[قافية الحاء]

(١٣)

وقال: [من مجزوء الكامل]

الـصَّـخْـرُ هَـشٌّ عـنـدَ وَجْـ
ـهِـكَ [....] فـي الـوَقَـاحَـةْ

التَّخريج: محاضرات الأدباء٥٩٢/١، والتذكرة الحمدونية ٢٥٢/٢، وبلا نسبة في ربيع الأبرار ٣٥١/٤.

[قافية الدال]

(١٤)

وقال: [من الخفيف]

١ـ أنـا مُـسْـتَـيقِـنٌ رِضَـاكَ وَلَـكِن
لـيسَ يُخْفِيه مِـنْـكَ طَـرفٌ حَـقُـودُ

٢ـ حُدْتَ عَنّي وَصِرْتَ تَنْظُرُ شَزْرًا
نظرًا دونَه يكونُ الوَعيدُ

التَّخريج: طبقات الشُّعراء ٣٥٠، وقدم لها " ابن المعتز بقوله: ومما يستحسن له في آل سلم "، وواضح أن الشّعر في شخص واحد، وليس في قوم، وورد البيت الثّاني فيه محرفًا هكذا: " حُدْتَ حتى وصِرْتَ تَنْظُرُ شَرزًا "، والتصحيح من الموسوعة الشّعرية.

(١٥)

وقال: [من الوافر]

١ـ فمَا أنَا مِن مَدينةِ أهْلِ جَيٍّ
ولا مِن قَريةِ القَوْمِ اليَهُودِ

٢ـ ومَا أنَا عَن رجالِهِمْ بِراضٍ
ولا لِنسَائِهم بالمستَزيدِ

الرِّواية: (٢) ورد البيت الثّاني في معجم البلدان برواية: "بالمستريد".

الشَّرح: جَيّ: اسم مدينة بناحية أصبهان القديمة. معجم البلدان ٢٠٢/٢.

التَّخريج: البلدان لابن الفقيه ٥٣٥، ومعجم البلدان ٢٠٨/١.

(١٦)

وقال: [من السريع]

أقْرَرْتُ بالجُرْمِ على أنّني
لَسْتُ بمُخْليكَ مِنَ العَرْبَدَهْ

التَّخريج: محاضرات الأدباء ٤٧٤/١.

[قافية الراء

(١٧)

وقال: [من المتقارب]

١ـ وأسعَدَكَ اللهُ بالمهْرَجَانِ
إذا مَا انقضَى عَنكَ عَامًا يَكُرّ

٢ـ ولا زلتَ في عِيشَةٍ كالخَريفِ
فَإنَّ الخَريفَ جميعًا سَحَرْ

٣ـ تَرَى الماءَ فيهِ وذاكَ الهَوَا
ءَ يجلُوهمَا نَسْمُ ريحٍ عَطِرْ

٤ـ تَرَى الزَّعْفَرَانَ بأعْطَافِه
يَفُوحُ التُّرَابُ لَه المقْشَعِرْ

٥ـ وأتْرُجُّهُ عَاشِقٌ مُدنَفٌ
إذا مَا رَجَا طِيبَ وَصْلٍ هَجَرْ

٦ـ وَلَونُ سَفَرجِلِه حَائِلٌ
وأحسَبُهُ مِن صُدُودٍ حَذِرْ

٧ـ وتُفَّاحُهُ فَوقَ أغْصَانِهِ
خُدودٌ خَجِلْنَ لِوَحْيِ النَّظَرْ

٨ ـ ومَا كُنْتُ أحْسَبُ أنَّ الخُدود
تكونُ ثِمَارًا لِتِلْكَ الشَّجَرْ

الرِّواية: (١) ورد البيت الثّالث في من غاب عنه المطرب برواية: " صفا الماءُ فيه وطابَ الهواء ".

الشَّرح: (٥) الأتْرُجّ: شجر يعلو ناعم الأغصان والورق والثمر، وثمره كالليمون الكبار وهو ذهبي اللون ذكي الرائحة حامض الماء. المعجم الوسيط ٤، ومدنف: أي مشرف على الهلاك. تاج العروس ٣٠٩/٢٣.

(٦) السَّفرْجَلُ: ثَمرٌ مَعْرُوفٌ... كثِيرٌ في بِلادِ

شعر منصور بن باذان الأصفهاني من شعراء القرنين الثاني والثالث الهجريين

العرَبِ، قَابِضٌ، مُقَوٍّ مُدِرٌّ مُشَهٍّ لِلطَّعامِ والْبَاهِ، مُسَكِّنٌ لِلْعطَشِ، وإذا أُكِلَ على الطَّعامِ أطْلَقَ. تاج العروس ٢٠٣/٢٩.

(٧) لِوَحْي النَّظَر: أي لإشارة النظر وإيمائه. تاج العروس٤٠/١٧١.

التَّخريج: سرور النفس ٢٣٤ – ٢٣٥ ما عدا البيت الثَّالث، والبيت الثَّاني له في محاضرات الأدباء ٤/٤٦٥، والأبيات في من غاب عنه المطرب ٩٧ ما عدا البيت الأول وبزيادة البيت الرَّابع، والأبيات له في سلوة الحريف بمناظرة الربيع والخريف ١٢٥.

(١٨)

وقال في المغيرة بن الفيض: [من الكامل]

١ـ ثكلتك أمُّك لم تـذُدْ عَنْكَ الَّذي
سيِّرتُ فِيكَ مِن الهجاءِ السَّائرِ

٢ـ حَتَّى أتيتَ مُشَاتمًا لتكُفَّني
عَن شَتْمِ فَاجِرةٍ ونَغْلٍ فَاجِرِ

٣ـ زَعَمَ المغيرةُ أنَّه بيَ آمرٌ
إنْ كَانَ يَكْذِبُ... أُمّ الآمرِ

الشَّرح: (٢) نَغْلٌ: أي فاسد النسب. تاج العروس ٣١/١٦.

التَّخريج: طبقات الشُّعراء ٣٤٩، وحذفت كلمة ذات دلالة مكشوفة من عجز البيت الأخير.

(١٩)

وقال في " علي بن المهلب " *: [من المتقارب]

١ـ عَجِبتُ لجِسْمِك مَا أصْغرَهْ
ومِمَّا تلقَّمَ مَا أكبَرَهْ

٢ـ أراكَ تَطَفَّلُ طُولَ الحيَاة
ويَأمن خُبْزُكَ أن تَكْسِرَهْ

٣ـ وتُلفَى لعُودِكَ مُسْتَبْطِنًا
تُدِيرُ عَلى زِيرِهِ الحنْجَرهْ

٤ـ فَلَيْتَكَ وَرَّيْتَنِي بَعْضَه
وكَثَّرَ رَبِّي بِكَ المقْبَرهْ

٥ـ (بَكَيتَ) المزَعفرَ في خَدِّهِ
وَمِلْتَ إلى النَّارِ مَن زَعْفرَهْ

٦ـ فقد كان يحرِمُه نفسَهُ
وكُلُّ نَعيمٍ مَع المقتَرَهْ

٧ـ إذا ما بَدَا لَكَ فَوقَ الحِمَارِ
فقنبرةٌ فَوقَهَا قنبرَهْ

٨ـ تحَرَّم في بيتِكَ المشربَاتُ
وفي بيتِ غَيرِك مَا أكثرَهْ

٩ـ فطورًا تَجَرْجَرُها نُخبةً
وطَوْرًا تجَرْجَرُهَا تذكرَهْ

الشَّرح: (٣) الزِّير: الدَّقِيقُ من الأَوتارِ، أَو أَحدُّها، وأَحْكَمُها فَتْلاً. وزِيرُ المِزْهَرِ مُشْتَقٌّ منه. تاج العروس ١١/٤٦٨.

(٤) وَرَّيْتَنِي: أخفيته عني. تاج العروس ٤٠/١٩١.

(٥) المزعفر: لعله من الزَّعْفرَانُ: وهو صِّبغٌ، من الطِّيب. ومن خواصّه المُجَرَّبة ما ذكره الأَطِبّاءُ في كُتُبِهم أنه إذا كان في بَيْت لا يَدخُلُه سامُّ أَبْرَص، كما صَرَّح به المتكلّمون في

الخواصّ. تاج العروس ٤٢٨/١١.

(٧) القبرة أو القبرة: ضربٌ من الطير. الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية ٧٨٤/٢، وهو يشبه الحمرة. تاج العروس ٣٥٨/١٣.

(٨) المِشْرَبَةُ: الإِنَاءُ يُشْرَبُ فيه. تاج العروس ١١٨/٣.

(٩) النَّحْبُ: الشَّرْبَةُ العَظِيمَةُ. تاج العروس ٢٤٧/٤،

* ابن المهلب: كذا ورد الاسم خطأ في كتاب طبقات الشُّعراء لابن المعتزّ، والصواب "علي ابن المغيرة بن الأثرم".

وأقول: عليّ بن المهلّب الأثرم، لم أقف على ترجمة له بهذا الاسم فيما رجعت إليه من مصادر ، ووقفتُ على اسمه مقرونًا بعمر بن شَبَّه، وإسحاق بن إبراهيم الموْصِلي، وأبو عثمان بكر بن محمّد المازني، وأبو حَاتم السِّجِسْتاني، والتوّزي، وعَلِيّ بن محمّد النّوفلي ممن أخذوا عن أبي عبيدة مُعَمّر بن المثَنّى المتَوَفّى نحو (٢٠٩ هـ). ينظر تهذيب الكمال في أسماء الرجال ٣١٧/٢٨. واسمه الصحيح هو علي ابن المغيرة بن الأثرم، أبو الحسن، عالم لغوي، بغدادي، رحل إلى الشام، وعاد إلى بغداد، وتوفي بها عام (٢٣٢ هـ)، من مؤلفاته غريب الحديث، وكتاب النوادر. معجم المؤلفين ٢٤٤/٧، وما به من مصادر.

التَّخريج: طبقات الشُّعراء ٣٥٢ - ٣٥٣، وورد صدر البيت الخامس فيه هكذا: " وبَكَتْ المزعفر في خده "، وهو مضطرب، ولعل الصواب ما تم إثباته.

(٢٠)

وقال في المغيرة بن الفيض: [من المجتث]

١- يا ذا الّذي ذمّ دهرَهْ
مِن أجْلِ أنْ حطّ قَدْرَهْ

٢- لا تأسَفنّ لِشَيءٍ
ففي المُغيرة عِبْرَهْ

٣ - لو نِيلَ رزقٌ بعَقْلٍ
لم يُعْطِهِ اللهُ بَعْرَهْ

٤- أو لم يكنْ منه جُودٌ
كفتْه ما عاشَ كِسْرَهْ

الشّرح: (٣) البَعْرَة: رجيع ذَوَات الْخُفّ وَذَوَات الظِّلْف إِلَّا الْبَقر الأهلي. المعجم الوسيط ٦٣.

التخريج: طبقات الشُّعراء ٣٤٨، والأبيات ١ ـ ٣ له في الآمل والمأمول٢١.

(٢١)

وقال: [من الوافر]

يَداكَ يدٌ تَطولُ إلى المَخازِي
وعَن طَلَبِ العُلا أُخْرَى قَصِيره

الرِّواية: ورد البيت في الدُّرّ الفريد برواية: " خلقت قصيره ".

التَّخريج: محاضرات الأدباء ٦٤٢/١، والدُّرّ الفريد ٤٨٣/٥.

[قافية الزاي]

(٢٢)

وقال: [من الخفيف]

اصْـرِفِ الـكَـأْسَ عَـنْ دُنـاةٍ لِـئـامِ

هَمُّـهـم لـلـشَّـقَـاءِ جَـمْـعُ الـكُـنُـوزِ

التَّخريج: محاضرات الأدباء ٢/٦٢٤.

[قافية السين]

(٢٣)

وقال في أخيه " خشنام " *: [من السريع]

١ـ دَلَّـس لـي خـشـنـام بِـرْذَونـه

وكَـــانَ دَهْـــرًا طَـالـمـا دَلَّـسَـا

٢ـ كـانَ يُـنَـاوِي دَهْـرَه مُـوسِـرًا

فَـكَـيْـفَ بـالـيَـائِـسِ إذْ أَفْـلَـسَـا

٣ـ لما فَشَا فـي الـنَّـاسِ إفلاسُهُ

ولـم يَـجُـزْ تَـمـويـهُـهُ غَـطْـرَسَـا

٤ـ فَـلا تَـغُـرَّنْـكَ قَـعَـاقـيـعُـهُ

مَـا عِـنْـدَه شَـيءٌ وإن دَخْـمَـسَـا

٥ـ لـم يَـبْـقَ إلا شَـبَـحٌ مَـاثِـلٌ

يَـا ويـحَـه فـي الـفَـقْـرِ مَـا أفـرَسَـا

٦ـ قَرْطَس في الإفْـلاسِ مِن غَلْوَةٍ

ولـو رَمَـى مِـن فَـرْسَـخٍ قَـرْطَـسَـا

الشَّرح: (١) التدليس: الخداع والإخفاء. تاج العروس ١٦/٨٥، والبِرْذَونُ: دابَّةٌ خاصَّة لا تكونُ إلاَّ مِن الخَيْلِ، والمقْصودُ منها غيْر العِرابِ. تاج العروس ٣٤/٣٤٦.

(٤) دخمسا: أي لم يبين له الحقيقة، والدَّخْمَسَةُ: الخَبُّ الَّذي لا يُبَيِّنُ لكَ مَعْنَى ما يُرِيدُ. تاج العروس ١٦/٦١، والقَعْقَعَةُ: حِكَايَةُ حَرَكَةِ شَيءٍ يُسْمَعُ لَهُ صَوْتٌ، وقِيلَ هُوَ تَحْرِيكُ الشَّيءِ اليَابِسِ الصُّلْبِ مَعَ صَوْتٍ. تاج العروس ٢٢/٥٢، ويقصد الشَّاعر هنا ارتفاع صوت أخيه في إلقاء خطبه مع تحريكه عصاه

(٦) فرسخ: وحدة مقياس المسافات، تقدر والفَرْسَخُ بثلاثةُ أَميالٍ، تاج العروس ٣٠/٤٣٦، والغَلْوَةُ: الغايَةُ، وهي رَمْيَةُ سَهْمٍ أَبْعَد ما يقْدِرُ، يقالُ: هي قدرُ ثَلاثُمائَةِ ذِرَاعٍ إلى أَرْبَعمائَةِ ذِراعٍ. وقالَ ابنُ سِيدَه: الفَرْسَخُ التامُّ خَمْسٌ وعشْرُونَ غَلْوَةً. تاج العروس ٣٩/١٧٩، ويقال: رَمَى فقَرْطَسَ، إذا أَصابَ القِرْطَاسَ، أَي الغَرَضَ المَنْصوبَ ". تاج العروس ١٦/٣٦٧

* " خشنام ": هو أخو منصور الباذانيّ، كان من إئمة المساجد، خطيب بلده، من رجال الفقه والدين، وقد سخر منه منصور، وهجاه بمناقضة أفعاله أقواله. ينظر الشّعر المدرج تحت رقم (٢٧)، ورقم (٤٠).

التَّخريج: طبقات الشُّعراء ٣٤٧، وقد ورد فيه اسم خشنام في أكثر من موضع محرفًا هكذا: " ختنام ".

(٢٤)

وقال في " آل سلم ": [من البسيط]

ـ مَا سَرَّنـي ـ بولائي آلَ إدريـسِ-

أحسَابكم-يا بَني سَلم – بمنقُوسِ

وقـــوتُ يـــومٍ بـلا رغـمٍ وتَـعْـبيـسِ

٢ـ عِرْضٌ نقيٌ وجيبٌ غير ذي دَنسٍ

وقـــوتُ يـــومٍ بـلا رغـمٍ وتَـعْـبيـسِ

٣ـ أرضَى وأحمَدُ مِن عَارٍ أُسبّ به

وأن أعـيـشَ رَخـيًـا وافـرَ الكِيسِ

الشَّرح: (١) النقس: العيب والسخرية، والناقس: الحامض الفاسد. تاج العروس ١٦/٥٧٥.

(٢) الجيب: القلب والصدر. تاج العروس ٢/٢١٠.

التَّخريج: طبقات الشُّعراء ٣٤٩.

[قافية الشين

(٢٥)

وتَجَنَّبْتُ ذكر بيتين على قافية الشين (تجميش) في التذكرة السعدية ٤٢٥ لما بهما من ألفاظ خادشة للحياء.

[قافية الضاد

(٢٦)

وقال في عز القناعة: [من الطويل]

١ـ فَدهْري دؤوبٌ بين حِلٍّ ورحلةٍ
يطُوفُ بي مَا عِشْتُ أرضًا إلى أرضِ

٢ـ كأنّي بتعبيرِ البلادِ موكَّلٌ
لأبلغَ مِنها مبلغَ الطُّولِ والعَرْضِ

٣ـ فَإنْ يُقضَ لي يومًا رُجوعٌ فإنَّني
سَأكفرُ بالدِّيوانِ والقَرْضِ والفَرْضِ

٤ـ وأُبْعدُ نفسِي عَن أمُورٍ تشِينُها
وألزمُ بيتِي وافِرَ الدِّينِ والعِرضِ

٥ـ فإنْ دَامَ لي عِزُّ القَنَاعَةِ سَرَّنِي
وإلا فَبعضُ الشَّرِّ أهونُ مِن بَعْضِ

التَّخريج: طبقات الشُّعراء ٣٤٦ ـ ٣٤٧.

قافية العين

(٢٧)

وقال في أخيه " خشنام "، وكان خطيب البلد: [من الطويل]

١ـ أقولُ غَداةَ العِيدِ والنَّاس شُهَّدٌ
وَمِنْبَرُنا العَالي البِنَاءِ رَفيعُ

٢ـ لَعَمْرِي لَئِن أضْحَى رَفِيعًا فَإنَّه
بِمَنْ يُرْتَقَى أعْوَادُه لَوضِيعُ

٣ـ أقولُ إذا مَا قَامَ ينهقُ فوقَه:
أتبلغُ هَذَا المرتَقَى وَأضِيعُ ؟!

٤ـ ومن عجبِ الدُّنيا صُعُودُك مِنْبرًا
وحَولَكَ ألفُ سَامِعٍ ومُطِيعُ !

٥ـ وما كنتُ أخْشَى مثلَها اليومَ نَكْبَةً
أذِلُّ لهَا والمسلِمُون جميعُ !

(١) ورد البيت الأول في محاضرات الأدباء برواية: " والقوم شهد...عالي البناء....".

التَّخريج: طبقات الشُّعراء ٣٥٠، والبيت الأول والثَّاني له في محاضرات الأدباء١/٢٨٥، وهما له في الدُّرّ الفريد ٢/١٩٣، وأورد مؤلفه اسم أخيه هكذا: حشنام، ولعلَّه تصحيف.

(٢٨)

وقال: [من الهزج]

١ـ... ابنَ العَمِّ ذَا القُرْبي
وَجَارَ الجَنْبِ بالشُّفْعَهْ !

٢ـ... شَيخَ الثَّمانِين
ولا تَخْشَ بِه شُنْعَهْ !

٣ ـ ومَــنْ طَــأْطَــأَ فَــارْكَــبْــه
فــي لَــيْــلَــةِ الــجُــمْــعَــةْ !
٤ ـ ومَـــنْ لامَـــكَ فـــي هــذا
فَــقُــلْ: مَــنْ أَنْــتَ فــي الــرُّقْــعَــةْ ؟
٥ ـ تَــقَــارَعْــنَــا فَــمَــا نَــدْرِي
عَــلَــى مَــنْ تَــقَــعُ الــقُــرْعَــةْ
٦ ـ فَــقُــومَــنْ وَاسْــقِــنِــي الــخَــمْــرَ
عَــلَــى الإِعْــلانِ والــسُّــمْــعَــةْ !

الشرح: (٤) الرقعة: الخلاعة والحماقة. تاج العروس ١١٧/٢١.

التخريج: ديون أبي نواس ٨/١ ـ ٩ ، وأفصح حمزة الأصفهاني عن نحلها على أبي نواس؛ لأنها مثبتة في النسخ المخطوطة العتيقة لديوان منصور بن باذان. ومكان النقاط كلمتان دلالتهما مكشوفة

[قافية الفاء]

(٢٩)

وقال في " آل الفيض": [من السريع]

١ ـ لا تُــعْــجَــبُــوا جَــهْــلاً بأحسَابِكُم
فَــتُــوقِــعُــوا أنــفــسَــكُــم فــي الــحُــتُــوفْ
٢ ـ مَــتَــى غَــزونَــاكُــم فَــأَقْــلَــتُّــمُ
إلا بِــعَــفْــوٍ أو بِــقَــتْــلٍ عَــنِــيــفْ
٣ ـ فَــكَــمْ أقــمْــنَــا بــيــنــكُــم مــأْتَــمًــا
بِــطَــعْــنَــةٍ مِــنْ كَــفِّ قَــيْــلٍ شَــرِيــفْ
٤ ـ يَــلْــجَــأُ فــي الــرَّوعِ إلــى نَــفْــسِــهِ
مَا إن يعاف الموت بين الصُّفُوفْ
٥ ـ يَــصُــونُــهــا فــي الأمــنِ لــكِــنَّــهُ
يُــهِــيــنُــهــا تَــحْــتَ ظِــلالِ الــسُّــيــوفْ

الشَّرح: (٣) القَيل: الملك، أو ما دونه بمنزلة الوزير. تاج العروس ٢٩٦/٣٠، ولنشوان الحميري قصيدة، اسمها ملوك حمير، وأقيال اليمن.

التَّخريج: طبقات الشُّعراء ٣٤٧.

(٣٠)

وقال في عز القناعة: [من المنسرح]

١ ـ يا نفسُ لا تَجْزَعِي مِنَ التَّلفِ
فَــإنَّ فــي الــلــهِ أَعْــظَــمَ الــخَــلَــفِ
٢ ـ فإن تَجْتَزِي بالقَليلِ تَغْتَبِطِي
ويُــغْــنِــكَ الــلــهُ عَــن أبــي دُلَــفِ
٣ ـ إنِّــي إذا النَّفْسُ رَاودتْ طَمَعًا
يَــقْــصُــرُ عَــن نَــيْــلِــهِ ذوو الشَّرفِ
٤ ـ وَحَــاوَلَــتْ خُــطَّــةً تُقصَر بي
كَــبَــحْــتُــهــا بــالــحَــيــاءِ والأَنَـــفِ
٥ ـ حَــتَّــى أَتَــاتــي الَّــذي أُؤَمِّــلُــهُ
بــالــرِّفْــقِ مِــنْ حِيلَتِي ومِــن لَطَفي

الرِّواية:(٢) ورد صدر البيت الثَّاني في ديوان بكر بن النطاح برواية:" فإن تقنعي باليسير تَغْتَبِطِي".

التَّخريج: طبقات الشُّعراء ٣٤٤ ـ ٣٤٥، والبيتان ١، ٢ لبكر بن النطاح في ديوانه ٢٥٣ ـ ٢٥٤، وينظر ما به من مصادر.

(٣١)

وقال في المغيرة بن الفيض: [من الكامل]

١- وجْـهُ المـغيرةِ كُـلُّـهُ أنْـفُ
مُـوفٍ عـليـهِ كـأنَّـهُ سَـقْـفُ

٢- رَجـلٌ كـوَجْـهِ البَغْلِ طَلْعَتُه
مَـا ينقضِي مِن قُبحِهِ الوَصْفُ

٣- مِـنْ حَـيْـثُ مَـا تأتيه تُبصرُهُ
مِـن أَجْـلِ ذاكَ أمـامُـهُ خـلْـفُ

٤- حِـصْـنٌ لـه مِـن كُـلِّ نَـائبـةٍ
وَعـلَـى بَـنيـهِ بَـعْـدَه وَقْـفُ

٥- جَـفَّتِ المـدائحُ عَـن خَلائِقِهِ
وَلَـقَـدْ يَـليـقُ بـوَجْـهِـهِ الـقَـذْفُ

الـرِّوايـة: (٥) ورد البيت الخامس في محاضرات الأدباء برواية: " نبت المدائح عن طبائِعِهِ".

التَّخريج: طبقات الشُّعراء ٣٤٨ – ٣٤٩، والبيت الأخير له في محاضرات الأدباء ٣٩/٢.

[قافية القاف

(٣٢)

وقال: [من المتقارب]

١- لـئنْ كُـنْـتُ عِـنـدكَ لا قَـدْرَ لِي
فَـعِـنـدَ عِـيـالِكَ فِـي المـخـنـقَـهْ

٢- وإن كُـنْـتُ عِـندكَ ذا تُـهْـمَـةٍ
فَـإنِّـي لِـعِـرْسِـكَ عَـيـنُ الـثِّـقَـهْ

التَّخريج: محاضرات الأدباء ٤٧٠/٣.

[قافية الكاف

(٣٣)

وقال: [من المجتث]

١- يَـا لـيتَ حـافـرَ نَـعْـلِـي
مِـن بَـعْـضِ جِـلْـدَةِ وَجْـهِـكْ

٢- أَهْـجُـو بـبَـعْـضِـكَ بَـعْـضًـا
مَـنْ ذَا يَـقُـومُ لِـكُـلِّـكْ

التَّخريج: التشبيهات ٣١٢.

(٣٤)

وقال: [من مجزوء الكامل]

١- زُفَّـتْ إلـيـكَ صَـدِيـقَـةٌ
لِـفـتـىً فَـصِـرْتَ لـه شَـرِيـكَـا

٢- فَـعَـلَـيـكَ كُـلُّ مَـؤونـةٍ
وَعـلَـى شَـرِيـكِـكَ أنْ...

التخريج: محاضرات الأدباء ٤٦٤/٣، وحرف الاسم فيه إلى: "منصور بن بازان"، وقال المحقق في الهامش في بعض النُّسخ للخوارزمي، قلت: هي للخوارزميّ في ديوانه ٣٧٠ عن هذا المصدر. وهي لشِعر الباذانيّ أقرب. وقد حذفتُ آخر كلمة من البيت الثَّاني لدلالتها المكشوفة.

(٣٥)

وقال في "عقبة بن مالك": [من الطويل]

١- له وَجهُ خنزيرٍ وَخيشومُ بَغْلَةٍ
وصُـدْرةُ مَـلَّاحٍ وتَـقْطيعُ حَـائِكِ

٢ - شكَا فَسْوَهُ جِنُّ البلادِ وإنسُها
وقدْ خِفْتُ أن يُؤذِي خِيَارَ الملائِكِ

شعر منصور بن باذان الأصفهاني من شعراء القرنين الثاني والثالث الهجريين

٣ـ فلو كانَ في أهلِ الجَحِيمِ لَوَلْوَلُوا

إلى ربِّهمْ مِن قَسْوةِ المتدارِكِ

٤ـ وقَالُوا: العَذابُ الضِّعفُ أهونُ عِندَنا

وكلُّهُمُ مُستَصرِخٌ نحْو مَالِكِ

الشَّرح: (١) الصُّدْرَة: ثوب يغطى به الصدر. المعجم الوسيط ٥٠٩- ٥١٠.

(٣) ولولوا: أي صرخوا مستغيثين. تاج العروس ١٠١/٣١.

(٤) مالك: خازن النار. تفسير البغوي المسمى بمعالم التنزيل في تفسير القرآن ٢٢٢/٧. وواضح تأثُّر الشّاعر في بيتيه الأخيرين بالآيات الكريمات الآتية من القرآن الكريم:

﴿ رَبَّنَا ءَاتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا ﴿٦٨﴾ ﴾. الأحزاب، الآية (٦٨).

﴿ وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُم مَّاكِثُونَ ﴿٧٧﴾ ﴾. الزُّخْرُف، الآية (٧٧).

﴿ وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ﴿٣٧﴾ ﴾. فاطر، الآية (٣٧).

التَّخريج: طبقات الشُّعراء ٣٥٣.

(٣٦)

وقال في عقبة بن مالك: [من السريع]

١ـ يا خُطبةً ضيَّعها مالِكٌ

أضيَعُ منها المنبرُ الهالِكُ

٢ـ يا آلَ بَكرٍ قَبِّلوا قاسِمًا

صارَ على شُرطَتِهِ مالكُ

٣ـ عِضادةُ المِنبَرِ في كَفِّهِ

...حمارٍ أسودَ حالِكُ

الشَّرح: (٣) العضادة: الركيزة أو الدعامة. معجم اللغة العربية المعاصر ١٥١٢، ولعل المقصود بقاسم في البيت الثّاني: أبو دلف العِجْليّ، فاسمه القاسم بن عيسى، الذي قال معجبًا بهذه الأبيات: " ما رأيت أحداً فوق منبر، وعضادة المنبر في كفه إلا ذكرت قول منصور بن باذان فكدت أضحك ". طبقات الشُّعراء.

التَّخريج: طبقات الشُّعراء ٣٥٤.

[قافية اللام]

(٣٧)

وقال في الحكمة: [من المتقارب]

١ـ فَعِشْ ما تعيشُ عزيزَ البقاءِ

فذلكَ خيرٌ وإنْ قيلَ قَلْ

٢ـ فطُولُ الحياةِ على ذِلَّةٍ

لَعَمْرُكَ عِندي بَقاءُ السَّفَلْ

٣ـ وَقَلَّ مساءٍ لهُ هِمَّةٌ

مِن النَّاسِ إلاَّ قَصِيرَ الأجَلْ

التَّخريج: محاضرات الأدباء ٢٧٢/٣ ـ ٢٧٣، والدُّرّ الفريد ١٩٧/٤، والبيت الثّاني له فيه ١٩٦/٤، والبيت الثّالث له فيه ٢٠٥/٤.

(٣٨)

وقال: [من مجزوء الرمل]

١ـ وعَناقيدَ تراها

إذْ تمايلْنَ مَميلا

٢ـ رُكِّبَتْ فِيهَا لآلٍ

لَمْ تُثَقَّبْ فَتَجُولا

٣ـ كَالثُّرَيَّا قَدْ أَرَادَتْ

عِنْدَ إِسْفَارٍ أُفُولا

الرِّواية: (٢) ورد البيت الثَّاني في نهاية الأرب برواية: " فتزولا ".

التخريج: المحب والمحبوب والمشموم والمشروب ١٣٢/٤، والبيتان ١، ٢ له في نهاية الأرب ١٥١/١١.

(٣٩)

وقال: [من مجزوء الكامل]

١ـ لو كنتُ أُحسِنُ أن أقُولا

لشَفَيتُ مِن نَفْسِي غَلِيلا

٢ـ لكِنْ لِسَانِي صَارِمٌ

مُلِئَتْ مَضارِبُه فُلُولا

الرِّواية: (١) ورد البيت الأول في المنتحل برواية: " عليلا "، وورد في محاضرات الأدباء برواية: " أجسر أن أقولا... الغليلا ".

الشَّرح: (٢) مضرب السيف: حدُّه، والفلول: كسور في حد السيف. تاج العروس ١٩٠/٣٠.

التَّخريج: المنتخل ٧١٠/٢، والمنتحل ١١٢، ومحاضرات الأدباء ٤٨/٢.

(٤٠)

وقال في أخيه "خشنام": [من السريع]

١ـ قُلتُ لِخُشْنَامَ على بخلِهِ

يا بأبي يا ذا القُرونِ الطِّوالِ

٢ـ لو تملكُ الأرضَ بأقْطَارِها

لكنتَ كَشْخَانًا عَلَى كُلِّ حَالِ

٣ـ فهِمَّةُ الأَنْذالِ في بُخْلِهِ

وهمُّ مَن في البيتِ جَمْشُ الرِّجَالِ

الشَّرح: (١) الكشخان: الدَّيُّوثُ، وهو دخيلٌ في كلامِ العرب. تاج العروس ٣٢٩/٧.

(٣) الجمْش: المُغَازَلَةُ والمُلاعَبَةُ، والكلام الخفي. تاج العروس ١١٢/١٧.

التَّخريج: طبقات الشُّعراء ٣٥٠.

(٤١)

وقال: [من السريع]

١ـ أَأَتْرُكُ الخَمرَ لأنْ حُرِّمَتْ

وَأَسْأَلُ الأَنْذَالَ شُرْبَ الحَلالِ

٢ـ آلَيتُ لا أتركُهَا طَائِعًا

قَد آذَنَتْ تَوبَتُنَا بارتِحَالِ

التَّخريج: طبقات الشُّعراء ٣٥١.

(٤٢)

وقال في "ابن أبي نوفل": [من المتقارب]

١ـ خِوانُكَ يا ابنَ أبي نَوفَلٍ

كَمَا زَعمُوا فَلْكَةُ المِغزَلِ

٢ـ وكُبْرَى قِصَاعِكَ مَخْرُوطَةٌ

ـ من البُخل ـ مِن أَصْغَرِ الخَرْدَلِ

الشَّرح: (١) الخِوانُ: ما يُؤكَلُ عليه الطَّعامُ، مُعرَّبٌ. تاج العروس ٥٠١/٣٤، وفَلْكَةُ المِغْزَلِ: قطعة مستديرة من الخشب، تجعل في أعلى المغزل، وتثبت الصنارة من فوقها، وعود

المغزل من تحتها. معجم اللغة العربية المعاصرة ١٧٤٢، والمغزل: آلة يغزل بها الصوف والقطن ونحوهما يدويًّا أو آليًّا. السابق ١٦١٦.

التَّخريج: طبقات الشُّعراء ٣٤٤.

(٤٣)

وقال: [من مخلع البسيط]

١ـ غَيَّرَكَ الدَّهرُ بعدَ وُدٍّ
مـا أقبحَ الغَدْرَ يـا غَـزَالُ

٢ـ دَاريتُ فيكَ العَدُوَّ دَهْرًا
حَتَّى إذَا أمْكَنَ الوِصَالُ

٣ـ وَصَارَ مَا أرْتَجِي حَلالاً
وَطَابَ فيه لَنَا المَقَالُ

٤ـ أعْرَضْتَ عَنِّي فَلَيسَ وُدٌّ
ولا حَرَامٌ ولا حَلالُ

التَّخريج: طبقات الشُّعراء ٣٥١ ـ ٣٥٢.

(٤٤)

وقال: [من مجزوء الرمل]

١ـ قد عَلِمْنَا أنَّ في دا
رِكَ ما يَكْفِي قَبيلَهْ

٢ـ وَرَأيْنَا عَرْضَ بُسْتَا
نِكَ والفُرْشَ النَّبِيلَهْ

٣ـ غَيرَ أنَّ الجِنَّ لا تَقْـ
ـدِرُ في خُبْزِكَ حِيلَهْ

التَّخريج: محاضرات الأدباء ٢/٦٠٣، وفي محاضرات الأدباء ٤/٥٣٩، أبيات لعمرو الخاركيّ تشبهها، هي:

١ـ قَدْ رأيْنَا حُسْنَ سَابا
طِكَ والدَّارَ الجَليلَهْ

٢ـ وعَلِمْنَا أنَّ فِيهَا
كُلَّ مَا يَكْفِي قَبيلَهْ

٣ـ غَيرَ أنَّ الجِنَّ لا تحـ
ـسِنُ في خُبْزِكَ حِيلَهْ

[قافية الميم]

(٤٥)

وقال: [من مجزوء الكامل]

١ـ قَالُوا: يسُودُ فقلتُ: لا
هَمُّ الفَتَى جَمْعُ الدَّرَاهِمْ

٢ـ إن كُنْتَ تطمعُ أن تَسُو
دَ ولا تُنيلَ فَأَنْتَ ظَالِمْ

٣ـ يَبْغِي العَلاءَ ومَالُهُ
أبَدًا مِنَ الآفَاتِ سَالِمْ

٤ـ وقِصَاعُهُ مَجْلُوَّةٌ
قد عُلِّقَتْ مِنْهَا التَّمَائِمْ

التَّخريج: البصائر والذخائر ٤/ ٢١٨.

(٤٦)

وقال في رجل رماه بأنه كان حجّامًا: [من المنسرح]

١ـ يا ذا الَّذي صَارَ يعملُ القَلَمَا
قَدْ كُنْتَ دَهْرًا تُقَعْقِعُ الجَلَمَا

٢ـ عِشْتَ زمانًا وأنتَ تُعْمِلُه
أحذَقَ مَن يمشِي وَمَن حَجَمَا

٣ـ فَإن تَكُنْ بالقَرِيضِ مشتغلاً
فـربَّ يَـوْمٍ سَفَكْتَ فيه دَمَا

٤ـ كَمْ مِن كَريمٍ سَفَعتَ نُقْرته
فَطَأْطَأَ الرَّأسَ منك ما انتقما

٥ـ وكَمْ رِقَابٍ جرحتَ خَاضِعَة
وإن يَرُمْهَا سِواكَ كُنَّ حِمَى

٦ـ بسَيف شَيخٍ قَدْ كَان فَارسَه
ومَنْ حَكَى شَيْخَه فَمَا ظَلَمَا

٧ـ حَتَّى إذا هـزَّه ليُعْمِلَهُ
شَفَى بِذَاكَ الصُّدَاعَ والألَمَا

٨ـ فَإن يكنْ بالجِبَالِ مُنْكَتِمًا
فإنه بالعراقِ ما انكَتَمَا

الرُّواية: (٥) ورد البيت الخامس في محاضرات الأدباء ١٩٢/٢ برواية:

كَمْ من رقاب جَرَحْتَ طَائِعَة
مِن غَيرِ كَفَّيْكَ لا تُرامُ حِمَى

التَّخريج: طبقات الشُّعراء ٣٥٠ - ٣٥١، ، والخامس في محاضرات الأدباء ١٩٢/٢، وكذا ورد البيت الثاني.

(٤٧)

وقال: [من الوافر]

١ـ وورد الزَّعفران أرادَ يَحكِي
صَبَايَا قَدْ بَكَرْن عَلَى احتِشَامِ

٢ - طوالع مِن خِلالِ الأرضِ حُمًا
كَمَا طَلَعَ النصلُ من السُّهَامِ

٣ـ حَبَالى بالثُّلاثِ وهُنَّ أيمٌ
ولم تُنكحْ بحلٍّ أوْ حَرَامِ

٤ـ كَتَخْطِيفِ المطرَّزِ في كِمامٍ
بلامٍ ثُمَّ لامٍ ثُمَّ لامِ

الرُّواية: (٤) ورد البيت الرَّابع في محاضرات الأدباء برواية: " كتخطيط... الكمام "، وورد في حدائق الأنوار برواية: " كتخطيط ".

الشَّرح: (٢) حُمًّا: أي دانيةٌ. تاج العروس ٩/٣٢.

(٣) من اللازم أن يقول: " هن أيامى، أو أيايم، أو أيمات، أو أيم، ولكنه عوض عن ذلك بالمصدر لضرورة الشّعر ، والمفرد من هذه الجموع: أيِّم وهو يطلق على الرجال والنساء. والأيامى هم الذين لا أزواج لهم من الرجال والنساء ". هامش المحب والمحبوب.

التَّخريج: المحب والمحبوب والمشموم والمشروب ١٣٧/٣ ـ ١٣٨، وحدائق الأنوار وبدائع الأشعار ٢٦٥ - ٢٦٦، والبيت الرَّابع بلا نسبة في محاضرات الأدباء ٤٩٨/٤.

(٤٨)

وقال: [من مجزوء الرمل]

١ـ أنَا مَحلُولُ الحَرَامِ
مثلَ عِيسَى بن هِشَامِ *

٢ـ وعَليَّ الهَدْيُ والمشـ
ـيُ إلى البيتِ الحَرامِ

٣ـ إن رَأى عِيسَى لعبد الـ
ـقَيس وَجْهًا في المنَامِ

شعر منصور بن باذان الأصفهاني من شعراء القرنين الثاني والثالث الهجريين

* عِيسَى بن هِشَامٍ: هو عيسى النَّاشريّ، الأسديّ، أبو الفضل، محدِّث كثير الرِّواية، تُوُفِّي نحو (٢٢٠ هـ)، له كتاب النوادر. معجم المؤلِّفين ٣٥/٨.

التَّخريج: طبقات الشُّعراء ٣٥٢.

(٤٩)

وقال: [من الطويل]

١ - ألا فَاسْقِنِي صَهْبَاءَ من حَلَبِ الكَرْمِ
ولا تَسْقِنِي خَمْرًا بِعِلْمِكَ أو عِلْمِي

٢ - أليسَ لَهَا أسماءُ شَتَّى كَثيرةٌ
فَهَاتِ اسقِنِيهَا وابن عن ذلك الاسمِ

الرِّواية: (١) ورد البيت الأول في الكناية التعريض برواية: "الصهباء".

(٢) وورد البيت الثَّاني فيه برواية: "ألبست... وأكن عن".

التَّخريج: محاضرات الأدباء٢/٦٢٣، وبلا نسبة في الكناية والتعريض ١٤٧.

[قافية النون]

(٥٠)

وقال: [من الرمل]

١ - لِيَ عِرْسٌ حُرَّةٌ مَمْلوكَةٌ
حِزْتُهَا من غيرِ مَهْرٍ وَثَمَنْ

٢ - ثَيِّبٌ بِكْرٌ وَمَا إن حَبِلَتْ
ولها خَمسُ بَنَاتٍ في قَرَنْ

٣ - إن أصِلْهَا وصلتْ طائعةً
وإذا ما بِنْتُ عنها لم تَبِنْ

٤ - ضيقُها والرُّحْبُ من مَنْكَحِها
أُخْرِياتِ الدَّهرِ في كَفِّ الخَتَنْ

٥ - وإذا بِيضُ الغَواني نَعْمَةٌ
مِسْنَ في الأَذيالِ ماستْ في رَدَنْ

٦ - ليس فيها ما يُرى من حُرَّةٍ
من جَمالٍ غير لِينٍ وعُكَنْ

٧ - وهي في كَدٍّ وكَدْحٍ دَائبٍ
لا تشكَّي من عَناءٍ وَعَنَنْ

٨ - وترى الرُّشْدَ ولا عَيْنَ لها
وَكَذا تسمَعُ من غير أُذُنْ

٩ - حيثُ ما جُلْتُ بها واقعتُها
في خَلاءٍ ومُقَامٍ وَظَعَنْ

١٠ - ثم لا تلحقني غَيْرتُها
إن... ما بين بُصرى وَعَدَنْ

١١ - يا لَها من كَنَّةٍ يُقْنِعها
كُلُّ مَا يأتي به هذا الزَّمَنْ

الشَّرح: (٢) في قَرَنْ: أي أمر هؤلاء البنات الخمس مجتمع في عنقها. ينظر تاج العروس ٤٥٠/٣٥.

(٤) الخَتَنْ: الصهر. تاج العروس ٣٦٧/١٢.

(٥) الرَّدَنْ: الحرير. تاج العروس ٨٣/٣٥.

(٦) العُكَنْ: ما تثنى من لحم البطن. تاج العروس ٤٠٨/٣٥.

(٧) العَنَنْ: الاعْتِراضُ. تاج العروس ٤١٢/٣٥.

(٩) بُصرى: موضع بالعراق من قُرى بغداد، قرب عكبراء. معجم البلدان ٤٤١/١.

(١٠) والكَنَّةُ: امرأة الابن أو الأخ والجمع: الكنائِنُ والكَنّات. العين ٢٨١/٥، وربما أخطأ الشّاعر إذا كان مراده مطلق المرأة، ومن المؤكد أنه أراد بالكنة: المستترة عن أعين الناس.

التَّخريج: ديوان أبي نواس ٩٩/٢.

(٥١)

وقال: [من الكامل]

وإذا تَنَفَّسَتِ الرِّيَاضُ حَسِبْتَها
مِسْكًا تنفَّسَ عن جُيُوبِ غَوانِي

التَّخريج: محاضرات الأدباء٤/ ٤٦٩.

(٥٢)

وقال: [من السريع]

١- يا مَنْ رَمَاهُ طَائِرِ البَينِ
سهم الرَّزَايَا عَنْ يَدِ الحَينِ

٢- أوقَدَ في قَلْبِكَ نَارَ الهوى
تَفْرِيقُ إِلْفَينِ محبَّينِ

٣- كم كم لهذا القَلْبِ مِن لَوعَةٍ
في الصَّدِّ والهِجْرَانِ والبَينِ

٤- وكم تُقاسِي النَّفسُ من حَسْرَةٍ
لَدَى افْتِرَاقٍ بينَ خِلَّينِ

٥- وَددتُ لو وَكَّلَنِي خَالِقِي
بِكُلِّ بَيْنٍ بَيْنَ إِلْفَينِ

٦- وَإِنَّنِي مُلِّكْتُ مِن بعدِ ذا
مهنَّدًا عضبَ الغِرَارَين

٧- لأصرِمِ الهجرانَ مِن أَصْلِهِ
وأَقْطَعُ البَينَ بِنِصْفَينِ

الشرح: (١) طَائِرِ البَينِ: أي غراب البين. وهو مما يتشاءم به. المعجم الوسيط ٦٤٧، و الحَين: الهلاك. تاج العروس ٤٧٣/٣٤.

(٦) المُهَنَّد، السيف المصنوع من حَدِيد الهِنْدِ. تاج العروس ٣٥٠/٩، والعضب: السيف القاطع. تاج العروس ٣٩٠/٣، والغِرار: حَدُّ الرُّمْحِ والسَّهمِ والسَّيفِ. تاج العروس ٢٢٤/١٣.

(٧) أصرم: أقطع. تاج العروس ٤٩٧/٣٢

التَّخريج: ديوان أبي نواس ٧٧/١، وورد البيت الأول فيه هكذا: " ظاهر البين ".

(٥٣)

وقال: [من الكامل]

وردٌ يُعَظَّمُ والتُّرابُ مَحَلُّهُ
وَتَرى الكريمَ يعزُّ حينَ يَهُونُ

الرّواية: ورد عجز البيت في حدائق الأنوار وبدائع الأشعار برواية:

وكذا الكريمَ يعزُّ حيث يَهُونُ

التَّخريج: محاضرات الأدباء ٤٩٧/٤، وبلا نسبة في حدائق الأنوار وبدائع الأشعار ٢٦٨.

(٥٤)

وقال: [من المجتث]

١- وليس يَخْفَى عليكُمْ
مِنَ المَنَازِلِ طِينَةْ

٢- ولو رَأَيْتُم دُخَانًا
في البحرِ صِرْتُمْ سَفِينَةْ

شعر منصور بن باذان الأصفهاني من شعراء القرنين الثاني والثالث الهجريين

التَّخريج: البصائر والذخائر ٤١/٩.

(٥٥)

وقال يهجو رجلاً من كُتَّابِ " أصبهان " وقد مات خَتَنٌ له: [من المديد]

١ـ كـاتـبٌ يَـبـكِـي عَـلـى خَتَنِـه
دَمْـعُـه جَـارٍ عَـلـى ذَقَـنِـهْ

٢ـ يَـعْـلَـمُ الـقِـرْطَـاسُ فـي يَـدِه
أنَّـــه قَـــدْ شَـــذَّ عَــنْ وَطَـنِـهْ

٣ـ لـيسَ يَـــدْرِي فـي كِـتَـابَـتِـهِ
مَـا قَـبِـيحُ الأَمْــرِ مِــن حَـسَـنِـهْ

الشـرح: الـخَـتَن: الصـهر. تـاج العروس ٤٩٧/٣٤.

التَّخريج: أدب الكتاب ١٧٢، قال الصُّولي: أنشدنا هذا الشِّعر لعبد الصَّمد بن المعذّل. قلت: لم أجد الأبيات في ديوانه.

[قافية الواو]

(٥٦)

وقال وقد تزوج "أبو دلف" "سعادَ بنت باذان " أختَ "منصور"، فبلغ ذلك " منصورًا " فكرهه، وعلم أنه سيخرجها عن قريب فقال عمدًا ليطلقها "أبو دلف": [من المتقارب]

١ـ ولا تـفـخَـرنَّ علينـا سعـادُ
بــأنَّ الأمــيــرَ صَــبــا صَــبْــوَهْ

٢ـ فــسـوفَ تُــرَدِّيــنَ منكوسةً
إلـى الـبـيـتِ أو قـد تَــرَى نَــزوهْ

٣ـ فـنـعـمَ الــعـــروسُ ولـكـنَّـهـا
تَــبُــلُّ الــفِــراشَ مــن الــشَّــهــوهْ

التَّخريج: طبقات الشُّعراء ٣٤٤.

[قافية الياء]

(٥٧)

وقال: [من الطويل]

١ـألا سَقِّني الصَّهباءَ إن كنتَ سَاقيا
ورَوِّحِ من الرَّاحِ الرؤوسِ الصَّوادِيا

٢ـ رؤوسًا تَراهَا في الرَّجاء مَصُونَةً
وعند التحامِ الحَربِ تلقى الدَّوَاهِيا

٣ـ فطورًا ترى فيها أكُفًا نَواعمًا
وطـورًا تَـرَى فيها الرِّمَاحَ المذارِيا

الشَّرح: (١) الصَّوادِيا: أي العطشى. تاج العروس ٤١٤/٣٨.

(٣) المذارِي: حديد تحك به الرؤوسُ. العين ٦١/٨.

التَّخريج: طبقات الشُّعراء ٣٤٤.

القسم الثاني

الشعر المنحول إلى أبي نواس وهو لمنصور بن باذان

[قافية الباء]

(١)

وقال أبو نواس: [من الكامل]

١ـ خُبزُ الخَصيبِ مُعَلَّقٌ بالكوكَبِ
يُـحمى بِـكُـلِّ مُـثَـقَّـفٍ وَمُـشَـطَّـبِ

٢ـ جَعَلَ الطَّعامَ عَلى بنيه مُحَرَّماً
لـؤمًـا وَحَـلَّـلَـهُ لِـمَـن لَـم يَـسغَـبِ

٣- فَــإِذا هُمْ رَأوا الرَّغيفَ تَطَرَّبوا
طَــرَبَ الصِّيامِ إلــى أَذانِ المَغرِبِ

الرواية: (٢) ورد البيت الثاني في الحماسة المغربية برواية: " على الجِياعِ ".

التخريج: قال حمزة الأصفهاني في ديوان أبي نواس ١٤٨/٢ وقد أورد صدر البيت الأول: إنها لمنصور من المنحول إلى أبي نواس في ديوانه ١٤٨/٢ ، وهي لأبي نواس في الحماسة المغربية ١٣٨٧/٢، والبيتان ١ ٢ في ديوان أبي نواس ١٥٢/٢.

(٢)

وقال: [من الكامل]

١- نَــفَسُ الخَصيبِ جَميعُهُ كِذبُ
وَحَــديــثُــهُ لِجَــليــسِــهِ كَــرْبُ

٢- تَبكي الثِّيابُ عَلَيهِ مُعولَةً
أَن قَــد يَــجُــرُّ ذُيــولَــهــا كَــلْبُ

التخريج: قال حمزة الأصفهاني في ديوان أبي نواس ١٤٩/٢، وأورد صدر البيت الأول: إنها لمنصور نحلت إلى أبي نواس، وهي لأبي نواس ديوانه ١٥٢/٢.

[قافية التاء]

(٣)

وأنشد الأصمعي: [من الوافر]

١- أمــا والــلــه لــو يــلــقــاكِ...
قُبيلَ الــصُّبحِ فــي ظــلــماءِ بيتِ

٢- لــمـا فَــارَقْــتِــنِــي حَــتَّــى كَــأنّــي
أرى... مِــعْــصَــارَ زَيــتِ

٣- إذن لعلمتِ أن الــسُّــحــقَ زُورٌ
وأنَّ الــحــقَّ فــي رَهْــزِ الــكُــمَــيــتِ

التخريج: قال حمزة الأصفهاني في ديوان أبي نواس ١٤٩/٢ وأورد صدر البيت الأول: إنها لمنصور من المنحول على أبي نواس ، وهي في ديوان أبي نواس ٨٩/٢، وأنشد الأصمعي البيتين ١ ، ٣ في التذكرة الحمدونية ٣٨٤/٩، وينظر ما بهامشه من مصادر، وهما في الوافي بالوفيات ١٢٨/١٩ (طبعة أحمد الأرناؤوط). ومكان النقط كلمتان محذوفتان لدلالتيهما المكشوفة.

[قافية الراء]

(٤)

وقال: [من مجزوء الرمل]

١- لــــي... لــيــس يــرضــى
بــالــــذي تــــرضـــــى...

٢- لــيــس يــرضــى لــيَ عقلي
هــــو أمــــيــــرٌ ووزيــــرُ

٣- كــلّــمــا رامَ نــكــاحــاً
درتُ مـــن حـــيـــث يـــدورُ

٤- فتعالــى الــلّــه مــا فــي الأر
ضِ قـــاضٍ أو أمـــيـــرُ

٥- أنــا مــن خــمــســيــن عــامــاً
فــي يــديَ أيــري أســيــرُ

التخريج: في ديوان أبي نواس ٢٨/٥ ، وهي لابن باذان كما قال حمزة الأصفهاني في هذا الديوان. ومكان النقط كلمتان محذوفتان لدلالتيهما المكشوفة.

القسم الثالث

ما نسب إليه وإلى غيره من الشعراء

[قافية الباء]

(١)

ونسب إليه وإلى غيره، والراجح أن الشِّعر له: [من الطويل]

أبا دُلَفٍ يا أكذَبَ النَّاسِ كُلِّهِمْ
سوايَ فَإنِّي في مَديحِكَ أكْذَبُ

الشَّرح: سواي: أي معي.

التَّخريج: الإعجاز والإيجاز ٢٦٢، ومحاضرات الأدباء ٤٣/٢، وهو للحسن بن رجاء في العقد الفريد ٢٨٥/١، وهو لبكر ابن النَّطاح في ديوانه ٢١٩، وذكر تدافعه مع منصور بن باذان، وعلي بن جبلة، وينظر ما به من مصادر، قلت: هو لعلي بن جبلة العكوك في ديوانه ٤٦ ومعه بيت آخر، وانظر ما به من مصادر ص ١٢٤، وأشار محمَّد يحيى زين الدِّين في مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق مج ٤٩، ص ٤٣٩ إلى تدافعه، وإلى اختلاط شعر ابن باذان بشعر العكوك ص ٤٣٦، وينظر رقم (٩) من هذا القسم.

(٢)

ونسب إليه وإلى غيره: [من مجزوء الكامل]

١ـ ما للنِّساءِ وللعما
لَةِ والخَطابةِ والكِتابَهْ؟

٢ـ هذا لَنا، وَلَهُنَّ
مِنَّا أنْ يَبِتْنَ على جَنابَهْ!

التَّخريج: محاضرات الأدباء ٣٧٨/١، والشعر لابن بسام البغدادي في ديوانه ٣٠ (طبعة السوداني)، وص ٤٠١/٢ (طبعة السامرائي ضمن كتاب شعراء عباسيون).

[قافية الدال]

(٣)

ونسب إليه وإلى غيره: [من المنسرح]

١ـ ليتَكَ أدْبَتَني بواحِدةٍ
أوَّلُها آخِرٌ لَدَى العددِ

٢ـ تحلِفُ ألاَّ تبرِّني أبدًا
فإنَّ فيها بَرْدًا على كَبِدِي

٣ـ اشْفِ فؤادي مِنِّي فإنَّ به
عَلَيَّ قَرْحًا نَكَأْتُهُ بيدِي

٤ـ أبْعَدَني الله حَيْثُ تحمِلُني
نفْسِي عَلَى مِثْلِ ذا مِن الأوَدِ

٥ـ عَهْدِي بنفسِي وَلَيسَ يَبعثُها
هَذا الَّذِي قَدْ نَعَتُّ مِن أحَدِ

٦ـ فَكَيفَ أخْطَأتُ لا أصبتُ ولا
نهضتُ من عثرةٍ إلى سَدَدِ

٧ـ إنْ كانَ رِزْقِي إليكَ فارمِ به
في ناظِرَيْ حَيَّةٍ على الرَّصَدِ

٨ـ أصبحتُ فيما رضيتُ منكَ به
أُدْعَى أبا الكلبِ لا أبَا الأسَدِ

الرِّواية: (١) ورد البيت الأول في ديوان المعاني برواية: " أدنيتني * تقفعني منك آخر الأبد ".

(٢) وورد البيت الثّاني في ديوان المعاني برواية: " تحلف لي لا ".

(٧) وورد البيت السابع فيه برواية: " على رصد ".

الشّرح: (٣) نَكَأَ القُرْحةَ: أي قَشَرها بعدما كانتْ تَبْرَأ. العين ٤١٢/٥.

(٤) الأَوَد: الاعوجاج. تاج العروس ٣٩٤/٧.

(٧) الرَّصَد: أرض يُرْجَى لها حَيَا الرَّبيع. تاج العروس ١٠١/٨.

التّخريج: طبقات الشُّعراء ٣٤٧ – ٣٤٨، وفيه: " وقد رويت هذه الأبيات لأبي الأسدي، وهي لمنصور أثبت "، ولأبي الأسد النينوري في ديوان المعاني ١١٧٧/٢ (ط. شعلان)، وهي لأبي الأسود التميمي في التذكرة الحمدونية ٨١/٥، وفيه تخريج لبعض أبياتها على البصائر والذخائر ٨٧/٦ مع الإشارة إلى الاختلاف في رواية بعض الألفاظ، وفي التذكرة الحمدونية وديوان المعاني زيادة في بعض الأبيات، فقد وردت الأبيات ١ – ٣، ٧، وبعدها:

لو كنت حرًا كما زعمت
كددتني بالمطال لم أعد

عدت إلى مثل هذه فعد
لكنني عدت ثم عدت فإن

وبعدها البيت السادس، وبعده البيتان الآتيان:

الآن أيقنت من فعالك بي
أني عبد لأعبد قفد

وصرت من قبح ما ابتليت به
أكنى أبا الكلب لا أبا الأسد

على حين وردت الأبيات ١ – ٣، ٧، ٦، وبعده في ديوان المعاني البيتان الأولان، والأبيات بالرِّواية الآتية في ديوان الحماني بن نباتة ٧٠:

١- لَيتكَ إذْ نُبتَني بواحدةٍ
تُقْنِعُني منكَ آخرَ الأبدِ

٢- تَحْلِفُ ألاّ تَبرَّني أبداً
فإنَّ فيها بَرْداً على كَبِدي

٣- إشفِ فُؤادي مِنّي فإنَّ به
مِنّيَ جُرْحاً نكأتَهُ بِيَدي

٤- إنْ كانَ رِزقي إليكَ فارْمِ به
في ناظِرَيْ حَيَّةٍ على رَصَدِ

٥- قد عِشْتُ دَهراً وما أقدِرُ أنْ
أرضى بما قد رَضيتُ من أحدِ

٦- فكيف أخطأتُ لا أصبتُ ولا
نَهضْتُ من عَثرةٍ إلى سَدَدِ

٧- لو كنتُ حُرّاً كما زعمتُ وقد
كَدَدْتني بالمِطالِ لم أعُدِ

٨ - صَبَرْتُ لمّا أسأتَ بي، فإذا
عُدْتُ إلى مثلها فَعُدْ وَعِدِ

٩- فإنّني أهلُ ذاكَ في طَمَعي
وفي خَطائي سَبيلَ مُعْتَمِدِ

١٠- أبْعَدني اللهُ حينَ يَحمِلُني
حرصي على مثل ذا من الأوَدِ

١١- الآن أيقنتُ بعد فِعْلِكَ
أنّي عبدُ لأعْبُدٍ قُفُدِ

١٢- فصِرْتُ من سُوءِ ما رُمِيتُ به

أكنى أبا الكَلْبِ لا أبا الأسدِ

وفي ديوان الحماني بن نباتة تخريج على المصادر السابقة وغيرها.

[قافية القاف]

(٤)

ونسب إليه وإلى غيره: [من الطويل]

١- كَمُهْدِيةِ الرُّمَّانِ من كَسْبِ...

جَرَتْ مَثَلاً قد قيل للمُتَصَدِّقِ

٢- يقولُ لها أهلُ الصَّلاحِ نَصِيحَةً:

لكِ الوَيلُ لا تَزْنِي ولا تَتَصَدَّقِي

الرِّواية: (١) ورد البيت الأول في ديوان الإمام علي – كرم الله وجهه - وديوان إسماعيل بن عمار برواية: " كصاحبة الرمان لما تصدقت... للخائف المتصدق "، وورد في ديوان إسماعيل ابن عمار برواية: " جرت مثلا للخائن"

التَّخريج: ديوان أبي نواس ٤٥/٢ – ٤٦، وهما لإسماعيل بن عمار في ديوان الإمام علي ابن أبي طالب – كرم الله وجهه – ص ١٣٧، وخرَّجها محقِّقه على الأغاني، وقال:إنها تنسب للإمام علي في هامشه، وهما لإسماعيل بن عمار في ديوانه ١٦٩ المنشور في مجلة جامعة الملك سعود، مج ٣، الآداب ١، ١٩٩١م، وينظر ما بهامش الديوان من مصادر.

(٥)

ونسب إليه وإلى غيره: [من مجزوء الكامل]

١- يا ذا الذي جَعَلَ الطَّلا

قَ سِلاحَهُ عِنْدَ الحَقِيقَهْ

٢- لا تَحْلِفَنْ بِطَلاقِ مَن

أمْسَتْ حَوافِرُهُ رَقِيقَهْ

٣- هَيْهَاتَ قَدْ عَلِمَ الأَنَا

مُ بِأَنَّهَا صَارَتْ صَدِيقَهْ

الرِّواية: (٢) ورد البيت الثَّاني في ديوان مطيع بن إياس برواية: " أمست حوافرها ".

التَّخريج: محاضرات الأدباء ٢٤٣/٢ – ٢٤٤، والبيتان ٢، ٣ لمطيع بن إياس في ديوانه ٦٢ ضمن شعراء عباسيون لغرنباوم.

[قافية اللام]

(٦)

ونسب إليه وإلى غيره: [من الطويل]

١- أبا دُلَفٍ مَا الحبسُ عندي بِعَيْنِهِ

سِوَى رَجُلٍ يَرجُو نَداكَ ونَائلَهْ

٢- رأيتُك لا تهدي من الكُفْرِ ضَلَّةً

وشحًّا على الشيءِ الذي أنتَ آكِلُهْ

٣- وأنتَ كطبلٍ فَارِغِ الصَّوْتِ فَارِغٍ

خلاءٍ من الخَيراتِ قَفْرٍ مَداخلُهْ

٤- ومن أعجبِ الأشياءِ تَسليمُ إمرَةٍ

عليك على طَنْزٍ وإنَّكَ قابلُهْ

الشَّرح: (٤) الطَّنْز: السُّخرية. تاج العروس ١٩٨/١٥ ، وشرحها الثَّعالبي فقال: " أبا دلف ما الفقير بعينه إلا من يرجو نداك. وما الخائب بحقه وصدقه سوى من ستظل بذراك. وما أنت إلا الطبل يروع صوته وهو خال من العوائد. ويروق صيته. وهو صفر من الفوائد ومن عجب تسليم الناس بالإمرة عليك طنزًا. وقبولك إياها

مجازًا ونبزًا ". نثر النظم وحل العقد ١٨٢- ١٨٣.

التَّخريج: طبقات الشُّعراء ٣٤٥، ونثر النظم وحل العقد ١٨٢- ١٨٣. وهي له أو لبكر بن النطاح يهجو أبا دلف في التشبيهات ٣٩٠ بالرِّواية الآتية:

أبا دلفٍ إن الفقيرَ بعينهِ
لمن يَرتجي جَدوى نَداك ويأمُلُهْ

أرى لك بابًا مغلقًا مُتَمنِّعًا
إذا فتحُوهُ عنكَ فالبؤسُ داخلُهْ

وإنكَ لا تَخزَى من اللؤمِ للذي
تشحُّ على الشَّيءِ الذي أنتَ آكلُهْ

كأنكَ طبلٌ رائعُ الصوتِ معجِبٌ
خلاءٌ من الخيراتِ قَفرٌ مداخلُهْ

وأعجبُ شيءٍ فيك تسليمُ مَرأةٍ
عليكَ على ظَني وإنَّكَ قابلُهْ

ونسبها الثَّعالبي لمنصور بالرِّواية الآتية:

أبا دلفٍ ما الفقرُ عِندي بعينه
سوى رَجُلٍ يَرْجُو نَدَاك ويَأْمُلُهْ

كأنَّك طَبلٌ رائعُ الصَّوت أَجْوف
خلاءٌ من الخيراتِ قفرٌ مَداخِلُهْ

وأعجبُ ممَّا فيكَ تَسْليمُ أَمره
عليكَ على ظَنٍّ وأنَّك قابلُهْ

والأبيات لبكر بن النطاح في ديوانه ٢٥٩ ضمن كتاب شعراء مقلُّون باختلاف في رواية بعض الألفاظ ، وينظر ما به من كصادر.

[قافية الميم]

(٧)

ونسب إليه وإلى غيره: [من البسيط]

ما قال لا قَطّ من جُودٍ أبُو دُلَفٍ
إلا التَّشَهُّدَ لكن قَوْلُهُ نَعَمُ

التَّخريج: نثر النظم وحل العقد ٣٢، وهو لعلي بن جبلة في ديوانه ١٠٦، وقد أشار إلى ذلك محمد يحيى زين الدين في مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق مج ٤٩، ص ٤٤١ ، وهذا البيت بعده ثلاثة أبيات بلا نسبة في التحف والأنوار المنتخب من البلاغات والأشعار ١٦٢، والأبيات هي:

قرأَ عَليه كِتابًا منه كَاتِبُه
إلى أخٍ خَائفٍ مِنه له ذِمَمُ

حَتَّى إذَا مَا قَرأَ لا فِي صَحِيفَتِهِ
قَالَ: استَمِع ثُمَّ لا يذهبْ بِك الصَّمَمُ

لا تَكْتُبَنَّ بلا عَنِّي إلى أحدٍ
شُقَّ الكِتابَ ومُر فَلْيَكسَرِ القَلَمُ

وهي غرر الخصائص الواضحة ودرر النقائص الفاضحة باختلاف في رواية بعض الألفاظ ، واستعنت ببعضها هنا منه، وبزيادة البيت الآتي في أولها:

لكنْ أُخَبِّرُكُمُ عنه بِنَدِرَةٍ
لم يأتِها قَبْلَه عربٌ ولا عَجَمُ

ولا توجد هذه الأبيات في ديوان العكوك.

(٨)

ونُسب إليه وإلى غيره والصَّواب أنَّها له:

[من البسيط]

١ـ لا تُكثري اللَّومَ فيما ليس ينفعني

إليكِ عَنّي جَرَى المقدورُ بالقَلَمِ

٢ـ سَأُتلفُ المالَ في عُسْرٍ وفي يُسْرٍ

إنَّ الجوادَ الذي يُعطِي على العَدَمِ

٣ـ كم قد قضيتُ حُقوقًا كان أَهْمَلَها

غيري وقد أخذَ الإفلاسُ بالكَظَمِ

الرِّواية: (١) ورد البيت الأول في الوافي بالوفيات برواية: " لا تعذليني فيما... المقدار".

(٣) وورد البيت الثَّالث فيه برواية: " قضيت أمورًا ".

الشَّرح: (٣) والكَظَمُ، مُحرَّكَةً: الحَلْقُ أو الفَمُ أو مَخْرَجُ النَّفَسِ ". تاج العروس ٣٦٣/٣٣.

التَّخريج: طبقات الشُّعراء ٣٥٢، وهي لمحمد بن البعيث باختلاف في التَّرتيب في الوافي بالوفيات ١٨٤/٢ (ط. أحمد الأرناؤوط وغيره)، دار إحياء التُّراث العربيّ، بيروت، ط١، ٢٠٠٠م.

(٩)

ونسب إليه إلى غيره، والراجح أن الشعر له:
[من الطويل]

فَسِرْ في بلادِ الله والتَمِسِ الغِنَى

فما الكَرَجُ الدُّنيا ولا النَّاسُ قاسمُ

الرِّواية: ورد في المنتخل، والمنتحل برواية: " فما الكرج الدنيا وما "، وورد في الدُّرّ الفريد برواية: " فلا الكرج الدنيا ولا "، وورد في ديوان بكر بن النطاح ٢٦٢ برواية:" فما الكرج الدنيا ولا...".

التَّخريج: ثمار القلوب ٧٠/١، والإعجاز والإيجاز ٢٣٢ (ط. إبراهيم صالح)، والمنتحل ٩٨، والمنتخل ٣٧٨/١ (لمنصور فقط)، والدُّرّ الفريد ١٩٢/٤، وعجزه لبكر بن النطاح في ديوانه٢٦٢، وذكر محققه تدافعه مع منصور، وينظر مصادر أخرى هناك، وقال الثَّعالبي في الإعجاز والإيجاز ٢٦٢ (ط. إسكندر آصاف) هكذا:

فسِرْ في بلادِ اللهِ والتمسِ الغِنَى

فما للورَى في الأرضِ إلا التَّطَلُّبُ

وقال محمد يحيى زين الدين في مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق مج ٤٩، ص ٤٣٨: إنه متدافع مع العكوك، ورجّح نسبته إلى ابن باذان، وخرجه للعكوك وقال: ويروى معه بيت آخر، هو:

إذا كانتِ الأرزاقُ في كَفِّ قَاسِمٍ

فلا كانتِ الدُّنيا ولا كانَ قَاسِمُ

وكذلك أشار الأستاذ إبراهيم صالح في هامش كتاب الإعجاز والإيجاز، ورجّح رواية طبعة إسكندر آصاف في الإعجاز والإيجاز، وقال: لعلَّ البيت والبيت المدّرج تحت رقم (١) من هذا القسم من قصيدة واحدة. وأرجح هذا لاتحاد الوزن والقافية البائية المضمومة على رواية الإعجاز والإيجاز.

فهرس

القوافي والأوزان وعدد الأبيات

في كل مقطعة وقصيدة

قافية الألف المقصورة

م	كلمة القافية	البحر	عدد الأبيات
١	تبلى	السريع	٢

قافية الهمزة

م	كلمة القافية	البحر	عدد الأبيات
٢	الكساءِ	الوافر	٥
٣	الوفاء	مجزوء الكامل	١

قافية الباء

م	كلمة القافية	البحر	عدد الأبيات
٤	أنبوبا	الخفيف	١
٥	العواقب	الطويل	٩
٦	تركّب	الطويل	١
٧	أديبُ	الكامل	٤
٨	عقبه	المجتث	٦
٩	حجابه	السريع	٣
١٠	مطالبُه	الطويل	٦

قافية التاء

م	كلمة القافية	البحر	عدد الأبيات
١١	تفرزت	السريع	٤

قافية الجيم

م	كلمة القافية	البحر	عدد الأبيات
١٢	العفج	السريع	٦

قافية الحاء

م	كلمة القافية	البحر	عدد الأبيات
١٣	الوقاحة	مجزوء الكامل	١

قافية الدال

م	كلمة القافية	البحر	عدد الأبيات
١٤	حقودُ	الخفيف	٢
١٥	اليهودُ	الوافر	٢
١٦	العربدة	السريع	١

قافية الراء

م	كلمة القافية	البحر	عدد الأبيات
١٧	يكرّ	المتقارب	٨
١٨	السّتر	الكامل	٣
١٩	أكبرة	المتقارب	٩
٢٠	قدره	المجتث	٤
٢١	قصيره	الوافر	١

قافية الزاي

م	كلمة القافية	البحر	عدد الأبيات
٢٢	الكنوز	الخفيف	١

قافية السين

م	كلمة القافية	البحر	عدد الأبيات
٢٣	دلّسا	السريع	٦
٢٤	بمنقوس	البسيط	٣

قافية الشين

م	كلمة القافية	البحر	عدد الأبيات
٢٥	تجميش	البسيط	٢

قافية الضاد

م	كلمة القافية	البحر	عدد الأبيات
٢٦	أرض	الطويل	٥

قافية العين

م	كلمة القافية	البحر	عدد الأبيات
٢٧	رفيع	الطويل	٥
٢٨	بالشُّقَّعة	الهزج	٦

قافية الفاء

م	كلمة القافية	البحر	عدد الأبيات
٢٩	الحتوفْ	السريع	٥
٣٠	الخلفْ	المنسرح	٥
٣١	سقفْ	الكامل	٥

قافية القاف

م	كلمة القافية	البحر	عدد الأبيات
٣٢	المخنقة	المتقارب	٢

قافية الكاف

م	كلمة القافية	البحر	عدد الأبيات
٣٣	وجهك	المجتث	٢
٣٤	شريكا	مجزوء الكامل	٢
٣٥	حائكِ	الطويل	٤
٣٦	الهالكْ	السريع	٣

قافية اللام

م	كلمة القافية	البحر	عدد الأبيات
٣٧	قلْ	المتقارب	٣
٣٨	مميلا	مجزوء الرجز	٣
٣٩	غليلا	مجزوء الكامل	٢
٤٠	الطوالِ	السريع	٣
٤١	الحلالِ	السريع	٢
٤٢	المغزلِ	المتقارب	٢
٤٣	غزالُ	مخلع البسيط	٤
٤٤	قبيله	مجزوء الرمل	٣

قافية الميم

م	كلمة القافية	البحر	عدد الأبيات
٤٥	الدراهم	مجزوء الكامل	٤
٤٦	الجلما	المنسرح	٨
٤٧	احتشام	الوافر	٤
٤٨	هشام	مجزوء الرمل	٣
٤٩	علمي	الطويل	٢

قافية النون

م	كلمة القافية	البحر	عدد الأبيات
٥٠	وثمنْ	الرمل	١١
٥١	غواني	الكامل	١
٥٢	الخين	السريع	٧
٥٣	يهونُ	الكامل	١
٥٤	طينه	المجتث	٢
٥٥	ذقنه	المديد	٣

قافية الواو

م	كلمة القافية	البحر	عدد الأبيات
٥٦	صبوة	المتقارب	٣

قافية الياء

م	كلمة القافية	البحر	عدد الأبيات
٥٧	الصواديا	الطويل	٣

القسم الثاني
قوافي الشعر المنحول إلى أبي نواس
وهو لمنصور بن باذان

م	كلمة القافية	البحر	عدد الأبيات
١	ومشطب	الكامل	٣
٢	كربُ	الكامل	٢
٣	بيتِ	الوافر	٢
٤	أير	الرمل	٥

القسم الثالث
قوافي ما نسب إليه وإلى غيره

م	كلمة القافية	البحر	عدد الأبيات
١	أكذب	الطويل	١
٢	والكتابه	مجزوء الكامل	٢
٣	العدد	المنسرح	٨
٤	للمتصدق	الطويل	٢
٥	الحقيقه	مجزوء الكامل	٣
٦	ونائله	الطويل	٤
٧	نعمْ	البسيط	١
٨	بالقلم	البسيط	٣
٩	قاسم	الطويل	١

الحواشي

١- طبقات الشعراء ٣٤٤.

٢- التشبيهات لابن أبي عون ٣١٢، والمحاسن والمساوئ ١٥٦/١، ونثر النظم ١٧، ومحاضرات الأدباء ٢٨٥/١، ٣٨٧، ٤٧٤، ٥٩٢، ٣٩/٢، ٤٣، ٤٨، ١٩٢، ٢٤٣، ٢٥٩/٣، ٢٧٢، ٤٦٤، ٤٧٠، ٦٠٣، ٦٢٣، ٦٢٤، وثمار القلوب ٧٠/١، والبصائر والذخائر ٢١٨/٤، ٤١/٩، ووفيات الأعيان ٧٦/٤، والدر الفريد ١٩٢/٤.

٣- التشبيهات لابن أبي عون ٣١٢، وتاريخ التراث العربي فؤاد سزكين، مج ٢، ج ٤، ص ٢٤١.

٤- ينظر على سبيل المثال: التذكرة السعدية ٤٢٥، والمحب والمحبوب ١٣٢/٤، وقد علق على النسبة إلى البلاذني "الدكتور "إحسان عباس"، فقال: إنها "نسبة لم يوردها السمعاني، أو ابن الأثير، وأقرب الصور إليها: الباذني، وإليها ينسب أبو عبد الله الباذني النيسابوري شاعر ضرير مجود كان يمدح البلعمي وغيره". هامش سرور النفس ٢٣٤، ذكرت هذا لأنه قد يتطرق إلى الذهن أن الصواب: البلاذني، ولكن الصواب: الباذاني على ما أجمعت عليه أكثر المصادر، وليس من الضروري أن يعزى منصور إلى هذه النسبة (البلاذني) بعد نسبة أخيه إلى الباذاني.
٣٧٢/٢ تقديم وتعليق: عبد الله عمر البارودي، دار الجنان، بيروت، ط ١، ١٩٨٨م.

٥- طبقات الشعراء لابن المعتز ٣٤٤، وديوان أبي نواس ٨/١، ونثر النظم وحل العقد ٣٢، ١٨٢، ومعجم البلدان ٢٠٨، والدر الفريد ١٩٣/٢، ومحاضرات الأدباء ٦٠٢/١، ٦٤٢، ٤٦٥/٤، ٤٦٩، ٤٧٧، ٤٩٧، ٤٩٨، وأدب الكتاب ١٧٢، ومعجم الشعراء العباسيين ٥٣٤.

٦- من غاب عنه المطرب ٩٧.

٧- أخبار أبي تمام ٤٨، وصحح التحريف الأستاذ إبراهيم صالح في هامش ثمار القلوب ٧٠/١.

٨- ينظر هامش البصائر والذخائر ٢١٨/٤.

٩- المحب والمحبوب والمشموم والمشروب ١٣٧/٣.

١٠- محاضرات الأدباء ٣٧٨/١.

١١- ديوان أبي نواس ٨/١، وينظر تاريخ التراث العربي مج ٢، ج ٤، ص ٢٤١.

١٢- ينظر كتاب يتيمة الدهر ٢٩٩/٣.

١٣- تنظر المقطعات: (١، ١٨، ٢٠، ٣١).
ينظر الشعر المدرج تحت رقم (٣)، ورقم (٥).

١٤- تنظر المقطعة رقم (٧).

١٥- تنظر القصيدة رقم (١٩).

١٦- تنظر المقطعة رقم (٤٨).

١٧- ينظر مثلا كتاب طبقات الشعراء ٣٥٤؛ حيث قال ابن المعتز: "وكان منصور من المجيدين لا سيما للهجو، فإنه كان أهجى الناس".

١٨- تنظر المقطعات (٢٣، ٢٧، ٤٠).

١٩- تنظر المقطعة رقم (٥٦).

٢٠- تنظر المقطعة رقم (٥).

٢١- تنظر التتفة رقم (٣).

٢٢- تنظر المقطعة رقم (٧).

٢٣- تنظر المقطعة رقم (٣٦).

٢٤- طبقات الشعراء ٣٥٤.

٢٥- طبقات الشعراء ٣٤٧، ٣٥٠.

٢٦- المقطعة رقم (٢٧).

٢٧- ينظر كتاب طبقات الشعراء ٣٤٤.

٢٨- يتيمة الدهر ٢٩٩/٣- ٣٠٠.

٢٩- ديوان أبي نواس ٨/١ ، والمقطعة هي رقم (٢٨) هنا.

٣٠- ذكرته في تتمة ديوان العماد الأصفهاني (ت ٥٩٧ هـ) ، واتبعته في بعض الدواوين التي أخرجتها ، منها: ديوان أبي محمد الخازن (ت ٤١٠هـ) ، وديوان ابن هندو (ت ٤٢٣ هـ) ، وديوان مجير الصقلي (ت قبل ٤٥٠ هـ) ، وديوان ابن الشبل البغدادي (ت ٤٧٣ هـ) ، وديوان العاصمي البوشنجي (ت ٥٢٠ هـ) ، وديوان ابن مسهر الموصلي (ت٥٤٣ أو٥٤٦هـ)، وديوان علي بن عرام الأسواني (ت٥٨٠ هـ) ، وديوان ابن شمس الخلافة (ت ٦٢٢ هـ) ، وديوان ابن الحلاوي الموصلي (ت ٦٥٦ هـ) ، وديوان ابن الظهير الإربلي (ت ٦٧٧ هـ) ، وغيرها.

المصــادر والمراجع

١- **الأمل والمأمول**: المنسوب للجاحظ (ت ٢٥٥ هـ)، تحقيق: رمضان ششن، دار الكتاب الجديد، ط٢، ١٩٨٣م.

٢- **أخبار أبي تمام**: لأبي بكر الصولي (ت٣٣٥هـ): تحقيق خليل عساكر، وغيره، الهيئة العامة لقصور الثقافة، مصر، ٢٠٠٨م.

٣- **أدب الكُتّاب**: لأبي بكر الصولي (ت٣٣٥هـ): تحقيق: محمد بهجة الأثري، دار الكتب العلمية، بيروت.

٤- **الإعجاز والإيجاز**: لأبي منصور الثّعالبي (ت٤٢٩هـ)، بعناية: إسكندر آصاف، دار صعب بيروت، د. ت.
تحقيق: إبراهيم صالح، دار البشائر، دمشق، ٢٠٠١م.

٥- **الأنساب**: للسمعاني (ت ٥٦٢ هـ)، تقديم وتعليق: عبد الله عمر البارودي، دار الجنان، بيروت، ط ١، ١٩٨٨م.

٦- **البصائر والذخائر**: لأبي حيان التوحيدي، تحقيق: وداد القاضي، دار صادر، بيروت، ط١، ١٩٨٨م.

٧- **البلدان**: لأحمد بن محمد الهمذاني، المعروف بابن الفقيه (ت نحو ٣٤٠ هـ)، تحقيق: يوسف الهادي، عالم الكتب، بيروت، ط١، ١٩٩٦م.

٨- **تاريخ أصبهان**: لأبي نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني (ت٤٣٠هـ): تحقيق: سيد كسروي حسن، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٩٠م.

٩- **تاريخ التراث العربي**: لفؤاد سزكين، ترجمة: عرفة مصطفى، جامعة الإمام محمد ابن سعود الإسلامية، ١٩٩١م.

١٠- **التحف والأنوار المنتخب من البلاغات والأشعار**: للثعالبي، تحقيق: يحيى الجبوري، دار مجدلاوي، الأردن، ط١، ٢٠٠٨م.

١١- **التذكرة الحمدونية**: لابن حمدون(ت٥٦٢هـ)، تحقيق: إحسان عباس، معهد الإنماء العربي، بيروت، ط١، ١٩٨٣م.

١٢- **التذكرة السعدية في الأشعار العربية**: لمحمد بن عبد الرحمن العبيدي (ق٨هـ)، تحقيق: عبد الله الجبوري، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ٢٠٠١م.

١٣- **التشبيهات**: لابن أبي عون (ت ٣٢٢هـ) بعناية: محمد عبد المعيد خان، جامعة كمبردج، ١٩٥٠م.

١٤- تفسير البغوي المسمى بمعالم التنزيل في تفسير القرآن: للحسين بن مسعود البغوي (ت٥١٠هـ)، تحقيق: محمد عبد الله النمر، عثمان جمعة ضميرية، سليمان مسلم الحرش، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط٤، ١٩٩٧ م

١٥- **تهذيب الكمال في أسماء الرجال**: لجمال الدين أبي يوسف المزي (ت ٧٤٢ هـ)، تحقيق: بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة، ط٤، ١٩٨٥م.

١٦- **ثمار القلوب في المضاف والمنسوب**: لأبي منصور الثّعالبي (ت ٤٢٩ هـ)، تحقيق: إبراهيم صالح، دار البشائر، دمشق، ط١، ١٩٩٤م.

١٧- **حدائق الأنوار وبدائع الأشعار**: جنيد بن محمود (ت ق٨ هـ)، تحقيق: هلال ناجي، دار الغرب الإسلامي، ط١، ١٩٩٥م.

١٨- **الحماسة المغربية**: لأحمد بن عبد السلام الجراوي، تحقيق: محمد رضوان الداية، دار الفكر، بيروت، سوريا، ط١، ١٩٩١م.

١٩- **ديوان إسماعيل بن عمار الأسدي**، جمع وتحقيق: وفاء السنديوني، مجلة جامعة الملك سعود، مج ٣،

الآداب ١، ١٩٩١م.

٢٠- **ديوان بكر بن النطاح**، ضمن شعراء مقلون، جمع وتحقيق: حاتم الضامن، عالم الكتب، بيروت، ط١ ١٩٨٧م.

٢١- **ديوان الحماني بن نباتة**: جمع وتحقيق: عبد العزيز إبراهيم، مجلة التراث العربي، دمشق، ع ٩٩-١٠٠، ٢٠٠٥م.

٢٢- **ديوان عبد الصمد بن المعذل** (ت ٢٤٠ هـ)، تحقيق: زهير غازي زاهد، بغداد، ١٩٧٠م.

٢٣- **ديوان علي بن جبلة العكوك**: جمع وتحقيق: حسين عطوان، دار المعارف، مصر، ط٣، ١٩٨٢م.

٢٤- **ديوان الإمام علي بن أبي طالب**، كرم الله وجهه، تحقيق: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٥م.

٢٥- **ديوان المعاني**: لأبي هلال العسكري (ت٣٩٥هـ)، تحقيق: النبوي شعلان، مؤسسة الطباء، القاهرة، ط١، ٢٠٠٥م.

٢٦- **ديوان أبي نواس**، الحسن بن هانئ الحكمي، تحقيق: إيفالد فاغنر، وغريغور شولر، سلسلة النشرات الإسلامية، بيروت، ٢٠٠٣م.

٢٧- **ربيع الأبرار ونصوص الأخبار**: لجار الله الزمخشري (ت٥٣٨هـ)، تحقيق: سليم النعيمي، بغداد، د. ت.

٢٨- **سرور النفس بمدارك الحواس الخمس**: للتيفاشي (ت٦٥١هـ)، تحقيق: إحسان عباس، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط١، ١٩٨٠م.

٢٩- **سلوة الحريف بمناظرة الربيع والخريف**: المنسوب خطأ للجاحظ (ت ٢٥٠ هـ)، طبع مع كتاب الشهاب في الشيب والشباب، بمطبعة الجوائب، الأستانة، ١٣٠٢ هـ.

٣٠- **الصّحاح تاج اللُّغة وصحاح العربية**: لإسماعيل ابن حمّاد الجَوْهَرِيّ (ت ٣٩٣هـ)، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطّار، دار العلم للملايين، بيروت، ط٤، ١٩٨٧م.

٣١- **طبقات الشُّعراء**: لعبد الله بن المعتزّ (ت٢٩٦هـ): تحقيق عبد الستار أحمد فرّاج، دار المعارف، القاهرة، ط٤، ١٩٨١م.

٣٢- **طبقات المحدِّثين بأصبهان والواردين عليها**: لعبد الله بن محمّد بن جعفر الأصبهاني (ت ٣٦٩هـ)، تحقيق: عبد الغفور عبد الحق حسين البلوشي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢، ١٩٩٢م.

٣٣- **العقد الفريد**: لابن عبد ربه الأندلسيّ (ت ٣٢٨هـ)، تحقيق: أحمد أمين وآخرين، لجنة التّأليف والتّرجمة والنّشر، ١٩٧٣م.

٣٤- **العين**: للخليل بن أحمد الفَرَاهيدي (ت ١٧٠ هـ)، تحقيق مَهدي المخزوميّ، وإبراهيم السّامرّائيّ، دار ومكتبة الهلال، بيروت.

٣٥- **الكناية والتّعريض**: للثّعالبي، تحقيق: عائشة فريد، دار قباء للطّباعة، القاهرة، ١٩٩٨م

٣٦- **المحاسن والمساوئ**: لإبراهيم بن محمد البيهقي (ت بعد ٣٢٠ هـ)، تحقيق: محمد أبي الفضل إبراهيم، دار المعارف، ١٩٩١م.

٣٧- **محاضرات الأدباء ومحاورات الشُّعراء والبلغاء**: للراغب الأصفهاني(ت٥٠٢هـ)، تحقيق: رياض مراد، دار صادر، بيروت، ط١، ٢٠٠٤م

٣٨- **المحب والمحبوب والمشموم والمشروب**: للسري الرّفاء (ت ٣٦٢هـ)، تحقيق: ماجد الذهبي وآخر، دمشق، ١٩٨٦م.

٣٩- **معجم البلدان**: لياقوت الحموي (ت٦٢٦هـ)، دار الفكر، بيروت.

٤٠- **معجم السفر**: أبو طاهر السلفي (ت٥٧٦ هـ)، تحقيق: عبد الله عمر البارودي، المكتبة التجارية، مكة المكرمة.

٤١- **معجم الشّعراء**: لمحمد بن عمران المرزباني (ت ٣٨٤ هـ)، تصحيح وتعليق: الدكتور ف. كرنكو، مكتبة القدسي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ١٩٨٢م.

٤٢- **معجم الشُّعراء العباسيين**: عفيف عبد الرحمن، دار صادر، بيروت، ط١، ٢٠٠٠م.

٤٣- **معجم المؤلفين**: لعمر رضا كحالة (ت ١٤٠٨هـ)، مكتبة المثنى، بيروت، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٤٤- **المعجم الوسيط**: مجمع اللغة العربية بمصر، دار

الشروق العربية، القاهرة، ط٤، ٢٠٠٤م.
٤٥- **من غاب عنه المطرب**: للثعالبي، تحقيق: يونس السامرائي، عالم الكتب، بيروت، ط١، ١٩٨٧م.
٤٦- **المنتحل**: لأبي منصور الثّعالبي (ت٤٢٩هـ)، صححه: أحمد أبو علي، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة.
٤٧- **المنتخل**: المنسوب لأبي الفضل الميكالي (ت ٤٣٦هـ) خطأً، وهو للثعالبي، تحقيق: يحيى الجبوري، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط١، ٢٠٠٠م.
٤٨- **الموسوعة الشّعرية** (CD)، المجمع الثقافي، أبو ظبي، ٢٠٠٣م.
٤٩- **نثر النظم وحل العقد**: لأبي منصور الثّعالبي، دار الرائد، بيروت، ١٩٨٣م.
٥٠- **الوافي بالوفيات**: لصلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي (ت٧٦٤هـ)، تحقيق لفيف من المحققين، دار نشر فرانز شتاينر، فيسبادن، نشر على سنوات متعددة، وطبعة أخرى أشير إليها في موضعها، وهي بعناية أحمد الأرناؤوط، وغيره، دار إحياء التُّراث العربيّ، بيروت، ط١، ٢٠٠٠م.
٥١- **وفيات الأعيان**: لابن خلكان (ت ٦٨١هـ)، تحقيق: إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، ١٩٦٤م.
٥٢- **يتيمة الدهر**: لأبي منصور الثّعالبي (ت ٤٢٩ هـ)، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة التجارية، ط٢، ١٩٥٦م.



مُكَارية القاهرة في عصر سلاطين المماليك

د. محمد فوزي مصري رحيل[1]
جامعة عين شمس – مصر

شهدت مدينة القاهرة في العصر المملوكي (٦٤٨-٩٢٣هـ /١٢٥٠-١٥١٧م) - وبخاصة الأول منه - ازدهارًا كبيرًا وقفت خلفه عوامل كثيرة، أهمها أنها غدت أكبر مدن العالم الإسلامي من ناحية، ومقر السلطنة المملوكية والخلافة العباسية[2] من ناحية ثانية، ناهيك عن الرواج التجاري، وكذلك نمو كثير من الحرف[3] الملبية لحاجيات سكان القاهرة والوافدين عليها ليلاً نهارًا، ونظرًا لاتساع نطاق الحرف وكثرة من عملوا بها فقد نظموا لأنفسهم ما عرف بطوائف الحرف، إلا أنه بجوار الحرف المشهورة، نمت حرف هامشية لم تلق الكثير من عناية المؤرخين، ومنها حرفة المكارية.

وتستمد هذه الدراسة جدواها وأهميتها من مقولة - ربما تكون حقيقة - أن التاريخ تصنعه الشعوب ويسرقه الحكام؛ حيث إن الحكام يتصدرون المشهد وتخطف أضواؤهم أقلام المؤرخين، فيشغلون بهم، ويتركون أصحاب الفعل الحقيقي. ويعد الاهتمام بدراسة المكارية - كواحدة من الجماعات المهمشة - ضربًا من ضروب إعادة الحق إلى أهله، كما أنه يوفر أيضًا الوسيلة لاستعادة تاريخ الجماعات الاجتماعية التي ربما ساد الظن بين المؤرخين أنه قد فقد، أو التي كانت لا تدرك أن تاريخها موجود، كما أنه يلعب دورًا مهمًا بتذكيرنا بأن هويتنا لم تتشكل فقط على أيدي الملوك والحكام[4].

الدراسات السابقة

وفيما يتعلق بالدراسات السابقة حول موضوع المكارية لم أقف على دراسة شاملة متكاملة - باللغة العربية أو اللغات الأجنبية، حتى لحظة كتابة هذه السطور - عن هذه الطائفة، غير أنها ذكرت عرضًا في بعض الدراسات المتعلقة بالمجتمع المصري في عصر سلاطين المماليك[5].

صعوبات الدراسة

ويواجه الباحث الذي يتعرض لموضوع مثل المُكَارية أو غيرهم من الجماعات المهمشة عدة صعوبات: أهمها ندرة ما دون عن تاريخ الجماعات المهمشة سواء من قبل المؤرخين، أو من قبل هذه الجماعات نفسها، إما بسبب عجزهم عن فعل ذلك بسبب تدني ثقافتهم، أو إحساسهم أن ما يقومون به من أدوار لا يستحق التسجيل. ونظرًا لذلك تطلب الأمر توسيع دائرة البحث عنهم في شتى أنواع المصادر مثل كتب: الفقه، والحسبة، والرحلات، والأدب الشعبي، والأحلام والرُؤى، والأمثال الشعبية، وكتب التاريخ العام؛ سعيًا لرسم صورة أقرب لواقع المكارية في عصر سلاطين المماليك، وإبرازًا لدور هذه الجماعة التي عانت من التهميش: قديمًا بسبب ضعف وضعها الاقتصادي وتراجعها لقاع السلم الاجتماعي، وافتقارها إلى التنظيم. وحديثًا بسبب ندرة المعلومات عنها.

المُكارية لغة واصطلاحًا:

المكارية لغة مصدرها كرا: الكِرْوَةُ والكِراء : أَجر المستأْجَر، والمُكارِي والكَرِيُّ : الذي يُكْرِي دابته، والجمع أَكْرِياء؛ لا يكسر على غير ذلك[٦]. أما في المصطلح فقد عرف الرحالة الألماني فون هارف[٧] المُكَارية Makari بأنهم من يؤجرون الدواب للناس بأجر، وبالمعنى نفسه فهم الحسن الوزان[٨] أنهم جماعة تعيش من مهنة تأجير الدواب للناس لقضاء حاجياتهم ومطالبهم.

شرعية عمل المكارية:

عمل المُكَارية من الناحية الشرعية جائز عند الفقهاء؛ لأنه باب من أبواب الإجارة الجائزة؛ لأنه مستوف لشروط الإجارة من حيث التعاقد، ويتم مشافهة بين صاحب الدابة وطالب استئجارها، إلا إذا كان لمسافة بعيدة فيتم كتابة عقد يشهد عليه شهود[٩]. أما الشرط الثاني فهو تحديد الأجر، والشرط الثالث: هو أنه منفعة مباحة معلومة[١٠].

الحيوانات المستخدمة في عمل المكارية:

استخدم المُكَارية في عملهم ثلاثة أنواع من الدواب لحمل الركاب مقابل أجر، وهي: الحمير والبغال والخيول غير الأصيلة.

الحمير[١١]: اشتهرت الحمير كوسيلة نقل في مصر منذ أقدم العصور وتداول ذكرها الرحالة، ومدحها عبد اللطيف البغدادي[١٢] الذي زار مصر في مطلع القرن السابع الهجرى[١٣]، ومن قبله ناصر خسرو[١٤] الذي ذكر أن " في كل حي على رأس الشوارع، حمر كثيرة عليها برادع مزينة، يركبها من يريد نظير أجر زهيد"، وعن ذلك يقول الرحالة بروكيير: "وكل الناس يركبون فوق الحمير والبغال ولا يسمح لأحد بركوب الخيل غير المماليك"[١٥]. وهذه العبارة توضح أهمية حرفة المكارية في عصر سلاطين المماليك، وطالما أنه كان من الناس فقط هم من يملكون حميرًا أو بغالاً، إلا أن الأكثرية لم تكن تملكها، ونظرًا لذلك كانت تستأجر دواب المكارية بحكم أن الحمير والبغال كانت بمثابة وسيلة المواصلات الرئيسة داخل المدن المصرية، وربما كان الوسيلة الوحيدة التي يستخدمها الناس في تنقلاتهم داخل المدن أو خارجها"[١٦]، حتى استخدمها أكابر القوم في كل الظروف حتى الصعود إلى السلطان، ومن ذلك أن الشيخ شمس الدين محمد الحنفي الرومي

(ت٨٥٥هـ / ١٤٥١م) لم يقتن دابة ليركبها، بل كان كلما أراد أن يطلع القلعة ركب حمارًا مَكريًا، وطلع إلى القلعة، واجتمع بالسلطان، ثم نزل وعاد على الحمار المذكور إلى داره[١٧].

ويعجب ابن سعيد المغربي ت (٦٨٥هـ / ١٢٨٦م) من ركوب أعيان مصر الحمير وهو ما يتنافى مع ما جرت به العادة في المغرب فيقول :"أنفت من ركوب الحمار جريًا على عادة ما خلفته في بلاد المغرب، فأعلمني مرافقي أنه غير معيب على أعيان مصر. وعاينت الفقهاء وأصحاب البزة والشارة الظاهرة يركبونها"[١٨]، وقد مدحها الرحالة بيرو طافور[١٩] حين زار مصر في القرن الخامس عشر الميلادي قائلاً: "أما الحمير فأكثر المطايا لطفًا وأحسنها منظرًا وأسرعها في المشي"[٢٠].

أما عن مصادر توريد الحمير، فيقول القلقشندي (ت ٨٢١هـ / ١١٦٠م): "الحمير منها النفيس الغالي الثمن، وخيرها حمر الديار المصرية، وأحسنها ما أتى به من صعيدها، وهي تنتهي في الأثمان إلى ما يقارب أثمان أواسط الخيل، وربما يميز العالي القدر منها المنحط القدر من الخيل، والأحسن فيها ما كان غليظ القوائم، تام الخلق، جيد النفس. ولا عيب في ركوب الحمار ولا هيصه، فقد ثبت أن النبي - صلى الله عليه وسلم - ركب الحمار، ولا عبرة برفع من ترفع عن ركوبه بعد أن ركبه النبي - صلى الله عليه وسلم-"[٢١]، وقد مدح الإصطخرى الحمير الواردة من مصر العليا قائلاً: "ولهم حمير يقال لها السملاقية بأرض الصعيد زعموا أن أحد أبويها من الوحشي والآخر من الأهلي"[٢٢]، ويوافقه أبو بكر ابن البيطار، والملك الأشرف الغساني في أن أجود الحمير المصرية المنتجة في الصعيد ويليها اليمنية ثم المغربية[٢٣].

البغل[٢٤]:

وإلى جانب الحمير استخدمت البغال للكراء، لكنها كانت أقل بكثير من الحمير، وقد مدحها ابن فضل الله العمرى (ت٩٤٩هـ/١٥٤٢م) وأطنب[٢٥]، وكان للبغال شروط تشترط حسب الرغبة في التوظيف سواء كانت للركوب أو لحمل الأثقال، وعن ذلك يقول الملك الأشرف الغسانى[٢٦]: والبغل المخصص للركوب يجب أن "يكون صحيح الخزائن صحيح الصدر خارجه صحيح النفخات في اليدين والرجلين، معتدل القامة مكتنزها، صغير الرأس قصير الرقبة معقود الناحية منتصب الزور خميصي البطن أو متوسطها سالم الغرة في الوجه. وما كان منها مخصصًا لحمل الأثقال ما اشتدت قوائمها، وعظمت جثتها، ورحب صدرها، وغلظت رقبتها وهامتها، وصفت عيناها، واحمر جفنها، واشتدت أنفاسها، ونفيت من جميع العيوب". ويقرر البدر البيطار أن أجود البغال ما نتج بأرمينية وبعدها المغربية[٢٧].

وقد ذكر فون هارف إن البغال كانت تملأ شوارع القاهرة[٢٨]، أما الأب سريانو فقد أعجب بالبغال، وذكر أنها كانت مزينة بالحرير والسروج الجميلة وكل بغل له صاحبه ومساعده[٢٩]. وقد استخدم الرحالة الألماني برنارد برندنباخ عام (٨٨٨هـ / ١٤٨٣م) البغال بجانب الحمير للتنزه في جنبات القاهرة[٣٠].

الأكاديش:

وبدرجة أقل بكثير من الحمير والبغال

استخدم المكارية في بعض الأحيان الخيل غير الأصيلة (الأكاديش) في نقل الركاب، وقد شاهد فون هارف الخيول المعدة للتأجير في شوارع القاهرة[٣١]؛ لكن كانت هذه الخيول تنتزع منهم في فترات الأزمات والفتن، مثلما حدث عام (٧٩١هـ / ١٣٨٩م) حين صدرت مراسيم سلطانية بمنع المكارية من استخدام الأكاديش في نقل الركاب، ومنع العلماء من ركوب الخيل والأكاديش حتى يغلق باب استخدامها[٣٢]، ويفسح المجال لاستخدامها في الأغراض العسكرية. لكن بعد انقضاء الأزمة كانت تستخدم الأكاديش للظهور من جديد في يد المكارية.

التدريب والتجهيز والرعاية

وكان المكارية يهتمون كثيرًا بتجهيز حميرهم وتزيينها؛ لأنها قامت بدور سيارات الأجرة في عصرنا[٣٣]، وحرصًا من المكارية على تحسين مهنتهم قاموا بتدريب دوابهم تدريبًا كافيًا، حتى تكون جاهزة للخدمة في أي وقت، أكد ذلك الحسن الوزان[٣٤] حين وصف حمير مكارية القاهرة بأنها: "حيوانات كبيرة مدربة لها مظهر الرهاويين، وتكون مزدانة ببراذع جميلة"، وهو ما جذب انتباه الرحالة طافور الذي ذكر أنها مزينة بالبراذع واللجم[٣٥]. كما أعجب الرحالة اليهودي ميشولم بن مناحم الفولتيري[٣٦] بالحمير المصرية وزينتها فيقول: "وحميرهم جيدة وسمينة، وتحمل براذع مزخرفة، وقد رأيت برذعة تزيد قيمتها عن ٢٠٠٠٠ دوكة[٣٧] صنعت من قطع الحجارة الكريمة والماس، ولها أهداب مذهبة فوق مقدمة الحمار". غير أنه لم يوضح إذا كانت للخاصة أم للمكارية، وأرجح أن البرذعة المذكورة هي لأحد الأكابر لكن ذلك لا يمنع تشبه المكارية بهذا الضرب من الزينة، وتخصيصه للأكابر والأغنياء مع رفع الأجرة عن السعر العادي.

ومن أشكال الزينة التي حلى بها المكارية حميرهم الجلاجل، وقد اتخذ السبكي[٣٨] موقفًا سلبيًا من هذه الجلاجل، فقد رأى أنها من المكروهات بدليل قول الرسول (صلى الله عليه وسلم): "لا تصاحب الملائكة رفقة فيها كلب أو جرس"[٣٩]، وقال - صلى الله عليه وسلم -:"الجرس مزامير الشيطان"[٤٠]. وبالرغم من شيوع هذه الفتوى إلا أن المكارية لم تلتفت إليها؛ لأن السبكي لم يستبن أسباب تعليق الجلاجل برقاب الحمير، وأهمها: تنبيه الناس في الشوارع باقتراب الدابة فيفسحون لها حتى لا يتعرضوا للعطب بسبب أو لآخر. وهو ما شدد عليه الشيزري بضرورة أن: "يأمرهم المحتسب أن يشدوا في أعناق دوابهم الأجراس وصفاقات الحديد والنحاس؛ لتعلو جلبة الدابة إذا عبرت سوق أو محلة فيحترس منها الضرير والصبيان والإنسان الغافل[٤١].

وبصرف النظر عن الرأي الشرعي في الجلاجل التي تعلق برقاب الدواب فلم يكن للمكارية - وهم من قاع المجتمع المصري- أن يتأثروا به كثيرًا، بسبب تدني الثقافة الدينية لديهم، وهو ما أفسح المجال على مصراعيه للمعتقدات الشعبية، ومنها أن الدابة التي تحمل حملاً بشريًا كان أو من الأحمال المادية بأنواعها "تبدو أحيانًا غير مبالية بثقل الحمل، خفيفة في حركتها كما لو كان الدافع أو المعين لها بعض الأرواح . وفي أحيان أخرى تتعثر لحمل أقل ثقل وتجمح في السير, وكأن "عُكوسًا" تؤثر فيها؛

فلعل هذه الأسباب مجتمعة تحمل الرجل العامي على تزويدها ببعض الأجراس المثلثة الشكل أو المخروطية التي تعتد بمثابة دروع وقائية تحمي الدابة من الأرواح الشريرة والشياطين كأن الشكل الهرمي أصبح حرزًا أو رصدًا يحمي الدابة".

كما اهتم المكارية بزينة دوابهم[٤٢] والعناية بها، فكان كثير منهم يخضبون حميرهم بالحناء[٤٣]، كما كانوا يصنعون لها نعالاً من الحديد مختلفة الأشكال، منها ما يخص الأكاديش من الخيل، ومنها ما يخص البغال أو الحمير[٤٤].

سعر تقديم الخدمة

من الصعب التعرف على أسعار تقديم الخدمة، وبخاصة أن المصادر لم تسعفنا بتلك البيانات؛ لكننا سوف نحاول حل هذا اللغز من خلال البيانات المتاحة قبل العصر المملوكي وأثناءه وبعده. ففي العصر الفاطمي ذكر ناصر خسرو أن أسعار استخدام حمير المكارية كانت زهيدة[٤٥]، غير أنه خلال الأزمات كان الأمر مختلفًا، ودليل ذلك نستقيه من أزمة حريق الفسطاط سنة (٥٦٤هـ/١١٦٨م) خوفًا من اجتياح عموري ملك الصليبيين للمدينة قرر شاور وزير الخلافة الفاطمية حرق المدينة ونقل سكانها للقاهرة؛ فهرع الناس للنجاة بأنفسهم وأبنائهم؛ وهو ما تطلب استخدام عدد كبير من الدواب، ومن هنا غالى المكارية في الأجر، حتى وصل حسب كلام المقريزي لبضعة عشر دينارًا[٤٦]. أما في العصر المملوكي فهناك مؤشرات متباينة خلاله حول أرباح المكارية وبخاصة إذا صادف المكارية ونقلوا أحد الكرام أو الزهاد، ومن ذلك أن أحد المكارية صادف الصوفي الشهير عمر بن الفارض (ت ٦٣٢هـ/١٢٣٥م)، وكان "سخيًا جوادًا توجه يومًا إلى جامع عمرو فلقيه بعض المكارية فقال اركب معي على الفتوح، فمر بعض الأمراء فأعطاه مائة دينار فدفعها للمكاري" طبعًا هذا ليس سعر الخدمة؛ لكن رزق ساقه الله للمكاري بيد ابن الفارض[٤٧]. ويبدو أن بعض المكارية، آنذاك؛ لم يكونوا يهتمون سوى بزيادة ربحهم، دون مراعاة المشاعر العامة (على نحو ما يفعل سائقو سيارات الأجرة في مصر اليوم)، إذ تذكر بعض المصادر أن كثيرًا من المكارية لا يعجبه أن يكاري إلا الفاجرات من النساء والمغاني منهن؛ لمغالاتهن في الكراء، يعطين من الأجرة فوق ما يعطيه غيرهم فتغره الدنيا"[٤٨].

ومن الواضح أن أسعار تقديم الخدمة كانت متفاوتة حسب طول المسافة وعدد المستخدمين للحمار الواحد، وكذلك حالة الحمار، فقد روي أن الشيخ محمد بن إسحق البلبيسي كان إذا اكترى حمارًا من مكاري يختار دابة ضعيفة، ويقول:" هذا ربما لا يقصده الناس كثيرًا فأنا أريد بره، والغرض يحصل"[٤٩]، ومن هذه العبارة يتضح إعراض الناس عن كراء الدواب الضعيفة، ومن هنا أقبل الشيخ على ذلك كنوع من البر، والتصدق على صاحب الدابة، بجانب عدم الإسراف والتواضع. وقد ذكر جوزيف بتس الرحالة الذى زار مصر خلال العصر العثماني أن أجرة الحمار كانت قليلة جدًا؛ حيث كان يمكن للمرء أن يكتري دابة لمسافة الميل ولا يدفع أكثر من بارة واحدة[٥٠].

وقد تركت أسعار خدمة المكارية أثرها على

مُكارية القاهرة في عصر سلاطين المماليك

الأمثال الشعبية، ففي فترات الأزمات والمواسم تقل الركائب فيقول الناس: "إذا عز المركوب فارض بحكم المكاري"، بسبب تحكم المكارية في الناس، وفرض السعر الذي يرتضونه لخدمتهم، وهنا يصيح الناس: "أهي ليلة يا مكاري". أما في فترات الهدوء واستقرار الأحوال فتكثر الدواب فيقول الناس: "إذا تزاحمت الحمارة بفايدة الزبلين" أو:"اتقاتلوا المكارية من حظ الركاب"[٥١].

نخلص مما سبق إلى أن سعر خدمة النقل بالدواب التي قام بها المكارية كانت في متناول جميع سكان القاهرة باختلاف طبقاتهم، غير أنه في أوقات الأزمات والمناسبات مثل الأعياد القومية والدينية كان الإقبال على هذه الدواب يتزايد، ومن ثم تميل الأسعار للصعود، حتى تنقضي الأزمة أو المناسبة، وبعدها تعود الأسعار للمعدل الطبيعي لتكون في متناول الجميع، وعلى هذا فمثل المكارية مثل العديد من الحرف الدونية من أمثال السقائين- التي لم يكن لأهلها دخل ثابت[٥٢]. كما أن المكارية يصنفون حسب السلم الاجتماعي الذي وضعه المقريزي بناء على مصادر الدخل في المرتبة السادسة من أقسام الناس، وهم أرباب الحرف[٥٣]؛ أي الصنف قبل الأخير، ومن ثم كانوا للفقر أقرب من الغنى.

الأعداد

هناك من سعى لتحديد عدد العاملين بهذه الحرفة مثل ابن بطوطة الذي ذكر أن القاهرة كان بها ثلاثون ألف مُكَاري[٥٤].

وهناك من أهمل قضية العدد مثل: ابن سعيد المغربي الذي قال:"رأيت عند باب زويلة[٥٥] من الحمير المعدة للركوب من يسير إلى الفسطاط جملة عظيمة لا عهد لي بمثلها في بلد"[٥٦]، وأيضًا الرحالة فون هارف الذي قال إن الحمير والبغال والجمال تملأ شوارع القاهرة دون تحديد عدد[٥٧] أما الحسن الوزان فقد اكتفى بوصفهم بالجماعة دون تحديد العدد أيضًا[٥٨].

وهناك من حدد عدد الحيوانات المستخدمة في الخدمة، وهو ناصر خسرو وكان ذلك في أواسط العصر الفاطمي بأنه كان هناك خمسون ألف دابة معدة لنقل الركاب[٥٩]. وقدر الحاج سوريانو عدد البغال بالقاهرة بأربعين ألف مجهزة على نحو جيد لنقل الركاب[٦٠]، أما أوليا جلبي فقد قال إنه كان بالقاهرة: "أربعون ألف حمار"[٦١]

نخلص من ذلك إلى أن الأرقام المذكورة لا يعتمد عليها بشكل دقيق في ظل عدم وجود وسيلة فعلية لإحصاء العاملين بالحرفة، وعدد الدواب على نحو جيد؛ لكن يمكن من خلال هذه الأرقام أن نخرج بعدد من الدلالات منها: أن طائفة المكارية كانت كثيرة العدد منتشرة في مختلف بقاع العاصمة المصرية على نحو متوازن. وأن هذه الجماعة كانت تمتلك عددًا كبيرًا من الدواب المعدة لنقل البضائع والركاب بشكل يفي بالغرض، ولا يحدث أزمة في الظروف العادية.

نقاط الارتكاز

أما عن نقاط ارتكاز المكارية أو بالمعنى المعاصر مواقف المكارية، فقد ذكرت المصادر عددًا منها:

١- موقف قرب باب زويلة وقد ذهب إليه ابن سعيد المغربي حينما أراد أن يزور الفسطاط[٦٢].

٢- موقف بجوار خزانة البنود على يمنة السالك منها إلى رحبة الأيدمري[٦٣].

٣- موقف بالخشابين القديمة قرب الفسطاط[٦٤].

٤- موقف كوم الريش، وقد أدركه المقريزي[٦٥].

٥- موقف بزاوية أبي السعود داخل باب القنطرة[٦٦].

٦- موقف عند ميناء بولاق ومنه اكترى الرحالة طافور دابة للتوغل في القاهرة، وقد أعجبته وأثنى عليها وبخاصة رشاقتها وخفتها[٦٧] وكذلك جوزيف بتس[٦٨].

٧- موقف درب الحجارين[٦٩].

٨- موقف درب السلسلة[٧٠].

٩- موقف قرب الجامع الأزهر الشريف[٧١].

١٠- موقف داخل باب القنطرة[٧٢].

١١- موقف خارج باب القوس[٧٣].

وهذا لا يعنى أن مواقف المكارية كانت حكرًا على ما ذكر؛ لكننا نجزم بأن مختلف بقاع العاصمة المصرية كان فيها مرتكز للمكارية خارج أبواب الحارات وعلى أبواب القاهرة ومختلف الأسواق في القاهرة والفسطاط.

طريقة تقديم الخدمة.

أوجبت كتب الفقه على المكاري تيسير الأمر لمن يكتري دابته؛ حتى يتمكن من ركوبها ومعاونته في رفع أثقاله إذا كان معه أي منها وبخاصة إذا كان المكتري امرأة[٧٤] ومن خلال رواية ابن سعيد حول تجربته عن استخدام المكارية يتضح لنا الكثير من طريقة هذه الطائفة في إنجاز عملهم لنقل أكبر عدد من الركاب، ومن ثم تحقيق أكبر قدر من الربح، وعن هذه التجربة يقول ابن سعيد:"وعندما استويت راكبًا أشار المكاري على الحمار فطار بي، وأثار من الغبار الأسود ما أعمى عيني، ودنس ثيابي، وعاينت ما كرهته ولقلة معرفتي بركوب الحمار، وشدة عدوه على قانون لم أعهده، وقلة رفق المكاري وقعت في تلك الظلمة المثارة من ذلك العجاج فقلت :

لقيت بمصر أشد البوار ... ركوب الحمار وكحل الغبار

أناديه مهلًا فلا يرعوي ... إلى أن سجدت سجود العثار

وقد مد فوقي رواق الثرى، وألحد فيه ضياء النهار، فدفعت إلى المكاري أجرته، وقلت له: إحسانك إلي أن تتركني أمشي على رجلي"[٧٥].

ويتضح من خلال هذه الرواية حرص المكارية على الإسراع بإنجاز نقل الركاب؛ لتحقيق أكبر قدر من الربح، ومن هنا كان المكاري يستحث الدابة على الإسراع سواء صوتًا أو ضربًا، ومن الرواية ربما أدرك المكاري أن المستأجر غريب عن البلد، ومن ثم أراد استغفاله، وعدم الرفق به، وبخاصة أنه لا ينتظر أن يذهب للشكوى من سوء فعاله أو أن يتربص به إذا أساء إليه، ومن ثم أمر حماره بالإسراع دون مراعاة قلة خبرة هذا الزائر بركوب الحمير، وأرجح إصرار ابن سعيد على دفع القليل من المال بمحض إرادته، أو بنصيحة من رفاقه المصريين الذين ربما نصحوه بذلك، ومن ثم لم يدفع للمكارى ما يرضيه، وهو ما ترتب عليه معاناة هذا الزائر،

فآثر السلامة، ودفع الأجرة، وأكمل الطريق ماشيًا. ومن الرواية يتضح أن أهل البلد كانوا على دراية بطريقة ركوب حمير المكارية، والتمكن منها، وهي مسرعة حسب إشارة ابن سعيد بأنه قانون لم يعهده.

وأحيانًا تسبب سوء تقديم الخدمة، لتعرض المستخدم للإصابة التي قد تصل لحد العاهة المستديمة، ومن ذلك أن السيدة خديجة ابنة عبد الكريم اللخمى المتوفاة تقريبًا عام (٨٥٣هـ/ ١٤٤٩م) سقطت من المكاري وكسرت رجلها وصارت تخنع بها حتى ماتت رحمها الله(٧٦).

كما قدم لنا جوزيف بتس صورة حية عن طريقة عمل المكارية إذ يقول:"ويقود صاحب الحمار حماره، ويصيح الحمارة في كل مكان طالبين من المارة إفساح الطريق خوفًا من وقوع حوادث تصادم عند المواجهة المفاجئة بين الحمير والمارة أو عند الاستدارة؛ لهذا فطوال النهار يسمع المرء جلبة شديدة، بسبب هؤلاء الحمارة الذين يصيحون باستمرار: وشك: ظهرك: يمينك: شمالك"(٧٧).

ويبدو أن طريقة تقديم الخدمة في أغلبها كانت جيدة، ومن هنا فقد راجت هذه الحرفة في ظل حرية النساء المصريات في الخروج في رواج هذه الحرفة، وعن ذلك يقول الحسن الوزان: "وتتمتع النسوة بحرية كبيرة وبالكثير من الاستقلال. وهكذا فعندما يذهب الزوج إلى دكانه، تلبس الزوجة ثيابها وتتعطر، ثم تستأجر حمارًا وتذهب لتتنزه في المدينة ولزيارة أهلها وأصدقائها"(٧٨). بجانب شيوع الكسل بين قطاع عريض من سكان القاهرة(٧٩). وأخيرًا حرارة الجو المرتفعة وبخاصة في الصيف؛ حيث كانت تدفع الناس لاكتراء الدواب لإنجاز أعمالهم - هروبًا من شدة الحر- كما لاحظ جون هارف(٨٠). كما لا نغفل دور طبوغرافية المدينة ذات الشوارع الضيقة في رواج حرفة المكارية.

جماعة المكارية

عرفت القاهرة في عصر سلاطين المماليك ظاهرة وجود طوائف أرباب الحرف؛ حيث انتظم أصحاب كل حرفة تحت رئاسة شيخ، وكانت أهم وظائف الشيخ رعاية شئون أصحاب الحرفة ووضع وصيانة أصول هذا العمل، ويكون همزة وصل بين الدولة والطائفة أو الجماعة(٨١).

وبالرغم من صمت المصادر عن فكرة التنظيم الطائفي للمكارية، إلا أن ذلك لا يمنع وجود هذا التنظيم الذي كان من سمات العصر، ووجد في كثير من الحرف في ذلك الوقت(٨٢) ناهيك عن أهمية حرفة المكارية وكثرة العاملين بها. وقد تحدث عن ذلك الحسن الوزان(٨٣) في سياق حديثة عن احتراف تأجير الحمير "في القاهرة توجد جماعة من الناس تعيش من مهنة تأجير الحمير .... ويؤجرونها مع أحد غلمانهم كسائق ومع الركابين". ومن هذه العبارة يتضح أنه كان هناك جماعة أو طائفة احترفت تأجير الحمير للراغبين في الانتقال من مكان إلى آخر، وأن هذه الجماعة كان لها أكابر، وكل كبير لديه عدد من الحمير المجهزة لنقل الركاب وفي صحبة كل حمار غلام يسوق الحمار بمن استأجره.

وقد برزت طائفة المكارية بشكل واضح في العصر العثماني، وعرفوا بالحمارة، وربما أتت التسمية من انحسار استخدام البغال والأكاديش

في الإجارة، وكثيرًا ما تردد اسم شيخ الحمارة في العصور التالية في دوائر الحكم والإدارة، حتى بدأت هذه الحرفة في التلاشي في نهايات القرن التاسع عشر وبدايات القرن العشرين(٨٤).

الحرف المعاونة

كان من الطبيعي أن تعتمد المكارية على عدد من الخدمات المعاونة؛ لتيسير تقديم الخدمة، ومن هذه الخدمات سوق يمكن للمكارية شراء احتياجاتهم منه من الدواب باختلاف أنواعها (حمير – بغل - أكاديش)، وقد وجد سوق لهذه الدواب في ميدان الرميلة أسفل القلعة(٨٥)، وفي هذه الأسواق وجد سماسرة الدواب الذين خضعوا للمحتسب، ووضعت كتب الحسبة أصول عملهم ومنها: ألا يبيعوا دابة حتى يعرفوا البائع أو من يعرفه مع تدوين اسمه في دفتر حتى يمكن إعادتها إليه إذا ما ظهر بها عيب مخفي، أو كانت مسروقة، كما وجب على السمسار إظهار عيب الدابة للمشتري حتى لا يشتريها غافلاً عن عيبها(٨٦). كما وجد سوق لبيع اللجم الخاصة بالدواب عرف بسوق اللجميين، والتي تتوافر بها أيضًا السروج مختلفة الأشكال، وكان هذا السوق بجوار سوق المهمازيين قرب المارستان المنصوري(٨٧). كما كان هناك سوق لبيع الحلفاء والدريس عند باب النصر(٨٨). كما كان هناك سوق للتبن قرب باب اللوق؛ حيث ترد الجمال محملة بالتبن بكميات تكفي احتياجات دواب القاهرة(٨٩). وإن تأثرت سلبًا في بعض الفترات، فبسبب غلاء الأسعار بصفة عامة، ففي أزمة (٨٠٦هـ/١٤٠٣م) وصل سعر حمل التبن ٥٠ درهمًا(٩٠)، ثم إلى ٦٠ درهمًا؛ وهذا شيء كثير في ذلك العصر، وذلك في جمادى الأولى(٩١)، ثم قفز إلي ثمانين درهمًا(٩٢)، ثم تسعين درهمًا في شعبان من نفس العام(٩٣)، ووصل في رمضان إلى مائة درهم وأكثر(٩٤).

كما كان هناك حرفة جز شعر الحمير، وعن هؤلاء الجزازين يقول أوليا جلبي: "وجزازو الحمير ليست لهم حوانيت، ولكن لهم أماكن معينة يقفون فيها، وعددهم مائتا رجل، وجميع حمير القاهرة وجمالها تجز مرة كل شهر، وهؤلاء يجزونها بمهارة كأنها حلقت بالموس لا يبقى فيها أثر للشعر"(٩٥).

كما كان هناك البيطريون الذين اهتموا بصحة هذه الدواب، ومن الجدير بالذكر أن البيطرة بلغت مكانة متقدمة في ذلك العصر، وخير دليل على ذلك المؤلفات التي صنفت في مجال البيطرة في عصر المماليك التي اهتمت ببيطرة الخيل والبغال والحمير بشكل مفصل، ومن أشهرها كامل الصناعتين الذي لم يترك صغيرة أو كبيرة في دواب الحمل إلا ووصفها تشريحًا وتدريبًا وأمراضًا وعلاجًا(٩٦). كما اهتمت كتب الحسبة بأمر البيطرة، وعَدَّها ابن الأخوة من الصنائع الشريفة، كما شدد على البيطري الذي من اختصاصاته اختيار الحذاء المناسب للدابة أن يختارها بشكل مناسب للحافر مع تثبيتها بمسامير صغار، وليس بمسامير كبار حتى لا تؤذي الدابة(٩٧).

مشكلات المكارية مع السلطة الحاكمة

عانت المكارية كثيرًا من السياسات الحكومية التي كانت تتعارض أحيانًا مع مصالحهم، ومنها منع طوائف بعينها من استخدام حمير المكارية، ومن تلك القرارات ما يتعلق بالحد من تصرفات

النساء غير اللائقة، وبخاصة في المناسبات العامة أو المبالغة في الزينة، وهو ما كان يراه الفقهاء مخالفًا للشرع؛ ومن ثم يلجأون إلى الحكام فتصدر مراسيم بمنع النساء من الخروج في أوقات معينة، ومنعهن من استخدام حمير المكارية مثلما وقع عام (٧٥٠هـ/١٣٤٩م) عقابًا لهن على ارتداء قمصان مبالغ في ثمنها[٩٨]، وعام (٧٩٣هـ/ ١٣٩١م)؛ وذلك للحد من مخالفات الخروج على الشرع الشريف[٩٩].

وأيضًا استخدم بعض المكارية في بعض الأحيان الخيل غير الأصيلة (الأكاديش) في نقل الركاب والبضائع؛ لكن في فترات الأزمات والفتن كانت هذه الخيول تنتزع منهم مثلما حدث عام (٧٩١هـ / ١٣٨٩م)؛ حيث صدر مرسوم سلطاني بمنع المكارية من استخدام الأكاديش في الحمل أو نقل الركاب، ومنع العلماء من ركوب الخيل والأكاديش حتى يغلق باب استخدامها[١٠٠]. وتكرر الأمر مرارًا، فحينما أمر السلطان الغوري المماليك بالتجهز للخروج للتصدي للسلطان العثماني سليم الأول أكثر المماليك من انتزاع البغال والأكاديش من الناس عنوة بصرف النظر عن مراتبهم ومكانتهم، فأهانوا جميع المصريين ومنهم بالطبع المكارية[١٠١].

أما عن الأعباء المالية التي فرضت على المكارية من جانب الحكومة، فمن المعروف أن الإدارة المملوكية فرضت مجموعة من الضرائب على مختلف أنشطة الدولة، أطلق عليها مجازًا لقب مكوس، وقد وصفها الدكتور عبد المنعم ماجد[١٠٢]، بقوله: "وهذه الضريبة في عهد المماليك امتدت إلى أمور لم تكن موجودة قبلهم، وشملت كل شيء إلا الهواء الذي أخلى سبله وحده وبقي حرًا"[١٠٣] ومن ثم لم يكن المكارية بمنجاة من الأعباء المالية. وقد ذكر فون هارف أن هناك ضريبة على الدواب لكن لم يذكر أي تفاصيل عنها[١٠٤]. وجاء عند ابن اياس أنه كان هناك مشاهرة مفروضة على السوقة وبالطبع المكارية من هؤلاء السوقة[١٠٥]. ولم يسعفنا بتحديد الجبايات المفروضة على المكارية سوى المقريزي الذي ذكر أنه في عصر الناصر محمد ابن قلاوون أبطل ما عرف بمقرر الحوائص والبغال[١٠٦]، والمقصود هنا بالحوائص حمير المكارية، وقد فرض عليها ٣٠٠ درهم كل عام وعلى البغل ٥٠٠ درهم[١٠٧]، وهذا يعني أن هذه المقررات المالية كانت موجودة قبل عصر الناصر، لكن مع استقرار أحوال البلاد المالية وامتلاء الخزائن بالأموال تقرب إلى الله والأهالي بإلغائها. وأغلب الظن أنها أعيدت في فترات تالية؛ بسبب التدهور الاقتصادي الرهيب الذي عانت مصر منه في عصر المماليك البرجية[١٠٨].

ومما زاد من الأعباء المالية على المكارية بجانب المكوس ما عرف بمكس الحلفاء والدريس، وتُعدّ الحلفاء والدريس من أهم الأعلاف بالنسبة للحيوانات؛ وبسبب هذه الأهمية فقد فرض عليها المماليك ضريبة؛ حيث كانت هناك سويقة للدريس بباب النصر أحد أبواب القاهرة، وقد أبطل السلطان برقوق (٧٨٤-٨٠١هـ / ١٣٨٢-١٣٩٩م) هذا المكس وعد من محاسنه[١٠٩]. وفرض كذلك على التبن، وهو أعواد القمح المدروسة، وكان من أهم أطعمة الدواب، مقرر مالي[١١٠] استمر حتى أبطله الناصر محمد ابن قلاوون عام (٧١٥هـ/١٣١٥م)[١١١].

أماكن الإقامة

أما عن مناطق إقامة المكارية، فقد سكنوا حول القاهرة في مساكن بالغة التواضع، كانت عبارة عن أحواش، وكل حوش له سور، وبه عدد كبير من القباب المبنية بطوب اللبن كان يسكنها المكارية وغير المكارية، ممن يعملون بأعمال دونية، وعن الحوش تقول الدكتورة نيللي حنا: "بأنه سكن أفقر سكان المدينة من العمال والصناع اليدويين، وبينهم الوافدون حديثًا من الريف والمكارية، والسقاؤون والحمالين وخدم المنازل، وكانت هذه البنى فقيرة في بنيانها غالبًا من الطوب اللبن، وتتكون من فناء في المركز بنيت حوله أكواخ بدائية معظمها عند مستوى الأرض، وكان بعض هذه الأكواخ يبنى بأدوار علوية يصل إليها سكانها عن طريق سلم، ويشتمل الفناء على منطقة للأكل الجماعي ومرحاض، وقد اختلف عدد الوحدات بكل حوش اختلافًا كبيرًا من حوش إلى آخر[١١٢]، ويبدو أن قطاعًا عريضًا منهم كانوا حديثي سكن القاهرة مهاجرين من الريف فقراء معدمين، ومن ثم لا يمكنهم سكنى الدور مثل طوائف أو جماعات أخرى. وكان متوسط إيجار القبة درهمين كل شهر. ومن الأحواش المشهورة حوش الأحمدية بالقرب من سويقة العرب شمال باب النصر الذي كان به نحو ٢٠٠ قبة تغل ٤٠٠ درهم كل شهر[١١٣]. وبرغم رضى المكارية بهذه الحياة البائسة إلا أنها لم تكن متوافرة على الدوام؛ حيث تأثرت هذه الأماكن بأوضاع البلد الاقتصادية؛ حيث يعلق المقريزي على غلاء سنة (٧٧٧هـ/ ١٣٨٥م) قائلاً: "لما كان الغلاء في زمن الملك الأشرف شعبان بن حسين، خرب كثير مما كان بالقرب من الريدانية، واختلت أحوال هذه الجهة، إلى أن كانت المحن من سنة (٨٠٦ هـ/ ١٤٠٣م) فتلاشت وهدمت دورها، وبيعت أنقاضها، وفيها بقية آيلة للدثور"[١١٤].

ومن الجدير بالذكر أنه لم يتبق بالقاهرة من معالم تحمل اسم المكارية إلا زقاق المكارية الواقع في الدرب الأحمر قرب مسجد السلطان حسن بحي القلعة[١١٥]. وأرجح أن هذا المكان كان تجمعًا لسكن المكارية في العصر المملوكي؛ حيث إن هذا الاسم قد اندثر في العصر العثماني وحل محله اسم الحمارة.

الأمراض الاجتماعية

ابتلي أهل مصر إبان العصر المملوكي بعدد من الأمراض الاجتماعية، ومن بينها الشذوذ الجنسي، وقد تفشت بسبب كثرة الغلمان الأعاجم، وشاعت بشكل واضح في عصر الظاهر برقوق، واتهم عدد من أمرائه بعمل هذه الفاحشة[١١٦]. لكن المصادر الفلكلورية تذكر هذه البلية، وتفشيها بين أفراد العامة صراحة[١١٧]. ويعضد هذه الرواية ما رواه ابن تغري بردي من تغزل عدد من أعيان المعاصرين له في الملاح من المكارية. ومن أقوالهم:

علقته مكاريًا شرد عن عيني الكرى

قد أشبه البدر فلا يمل من طول السرى

وأيضًا:

أفدي مكاريًا تراه إذا سعى

كالبرق ينتهب العيون

وأخيرًا:

ويخطف أخذ الكرا مني وأحرمني الكرى

بيني وبينك يا مكاري الموقف[118]

كذلك كانت هناك فرصة كبيرة للوقوع في الزنا في ظل صحبة المكارية للنساء البغايا لأماكن معزولة لممارسة نشاطهن المنافي لصحيح الدين وثوابت المجتمع، وعن ذلك يقول السبكي[119]: "ومما تعم به البلوى مكاري يكاري امرأة جميلة إلى مكان معين، ويمشي معها، وفي الطريق مواضع خالية من الناس كما بين البساتين فإن في معاطفها أماكن لو شاء الفاسق؛ لفعل فيها ما شاء من الفجور".

كذلك كانت ظاهرة أكل الحشيش وإدمان تعاطيه شائعة بشكل كبير في عصر المماليك، ومن أشهر أماكن تعاطيه كانت أرض الطبالة أو الفجالة حاليًا، وقد ندد المقريزي بانتشار تعاطي الحشيش بسبب كثرة مضاره، وأكد انتشاره الواسع في الطبقات الشعبية والمتصوفة، وأكد أن متعاطيها هم أراذل الناس[120]، ولم يسلم منها المكارية بل وحمير المكارية[121].

وشاع اختلاط النساء بالرجال في الأعياد والمناسبات على شاطئ النيل والمتنزهات، وكان المكارية يقومون بدور كبير في نقل الناس إلى هذه الأماكن، ومن ثم حاولت الحكومة المملوكية أحيانًا الحد من هذه المخالفات بتهديد المكارية بأشد العقوبات، ومن ذلك أن الأمير كمشبغا نائب السلطنة نادى في تاسع عشرين شهر رمضان عام (٧٩٣هـ/١٣٩١م) بمنع النساء في يوم العيد من الخروج إلى الترب، ومن خرجت وسطت[122] هي والمكاري، وتسبب ذلك في الحد من المنكرات في هذا العيد[123].

تقنين أوضاع المكارية

حرصت الدولة على تقنين أوضاع المكارية، ومن ثم أخضعتهم للمحتسب بحكم عملهم في الأسواق، ومناطق تجمعات الجماهير، ومن هنا شدد الشيزري[124] وابن الأخوة[125] على ضرورة عدم تحميل الدابة فوق ما تحتمل، بجانب عدم ضرب الدواب للإسراع، وهي تحمل الأحمال الثقيلة، هذا فضلاً عن عدم الإفراط في ضرب الدابة لأي سبب، وعدم ترك الدواب في الساحات واقفة، وهي تحمل الأثقال "لأنها إذا وقفت والأحمال عليها أضرتها، وكان ذلك تعذيبًا لها وقد نهى النبي -صلى الله عليه وسلم- عن تعذيب الحيوان"، ناهيك عن حث المكارية على عدم الإهمال في علف الدابة "فيكون موفرًا عليها بحيث يحصل به الشبع ولا يكون مبخوسًا ولا نزرًا". بجانب وضع الأجراس في رقابها لتنبيه الناس.

أما الفقهاء فلم يقصروا في الجانب التشريعي؛ لضبط أمور هذه الحرفة، فنجد العدوي في حاشيته على شرح الطالب الرباني يحدد ثلاثة شروط لإيجار الدواب كما ذكر من قبل[126]، ويوافقه الزركشي بضرورة تحديد مدة الكراء، وزاد بضرورة رؤية صاحب الدابة للأشياء المحمولة، حتى تنتفي الجهالة وبخاصة أحمال الجمال التي تتميز بثقلها وتنوعها مثل قدور الطعام الكبار[127].

وقد ألزم السبكي المكاري بتعويض ما تتلفه الدابة من أمتعة الناس بالليل أو النهار إذا كان مسئولاً عن ذلك، مثل: حمله حملاً تسبب في سقوط حائط حينها يكون الضمان على المكاري؛

لأنـه احتك بالسور، ولـم يقد دابته في وسط الطريق؛ لكن إذا كان التلف بسبب خارج عن إرادة المكاريين وقدرتهم، مثلما إذا بالت الدابة، ونتج عن هذا البول ضرر فلا ضمان على مالك الدابة؛ لأنه أمر لا ولاية له عليه، كما نبه على ضرورة رفق مؤجر الدابة بها، فلا يسرع بشكل يصيب الآخرين بالضرر الذي سوف يتحمله حال ذلك؛ لأنه المتسبب[١٢٨]. أما ابن الأخوة فقد شدد على ضرورة ملاحظة المحتسب أحمال دواب المكارية، وبخاصة أعدال التبن وأحمال الحطب والشوك والحلفاء التي يمكن أن تمزق ملابس المارة؛ ومن ثم أكد على ضرورة حزمها على نحو جيد لا يتضرر منه رواد الأسواق والشوارع الضيقة[١٢٩].

كما قضى الفقهاء أنه في حالة إجارة الدابة لغرض الحمل يقوم المكاري بإنزال حمل الدابة عند نهاية الطريق المتفق عليه، ولا يلزم برفعه إلى سطح دار المستأجر للدابة، إلا أن يكونا قد اتفقا على ذلك[١٣٠]. ورأوا حرمان صاحب الدابة من حقه في الأجر إذا ما حدث ما تسبب في إعادة الحمل إلى مكان الاتفاق بسبب خوف من الطريق أو أمر عرض للمكارى لكن لا تفرض عليه غرامة[١٣١].

كما قضى الفقهاء بنصف المتفق عليه بين المكاري والمستأجر، إذا ذهب المكاري لحمل شيء من مكان ما وتوصيله لمكان آخر، مثل اتفاق رجل مع المكاري لحمل دقيق من الطاحون فذهب للطاحون ووجد الدقيق غير جاهز للحمل فعاد من حيث أتى، هنا يتحمل المستأجر نصف الاتفاق، أما إذا تم النقل فيدفع المتفق عليه كله[١٣٢].

كما يلتزم المكاري بتوفير الدابة المتفق عليها مع المستأجر، فإذا اتفقا على استئجار حمار فيكون حمارًا، وإذا اتفقا على كراء بغل فيكون بغلاً، ولا يحق للمكارى تغيير الدابة[١٣٣].

كما أوجب الفقهاء ضرورة التزام المستأجر بدفع ثمن الخدمة من نوع العملة نفسها المتفق عليها، كأن تكون دراهم أو دنانير مصرية، أو عملة من عملات أوربا إذا كان المستكري أجنبيًا، ويحمل عملات غير مصرية[١٣٤].

وحكم برهان الدين الحنفي ووافقه الزركشي الحنبلي بإلزام المستأجر بدفع مبلغ إضافي لصاحب الدابة، إذا ما تجاوز المسافة المتفق عليها مع المكاري عند الكراء بما يتناسب مع المسافة الزائدة وعن ذلك يقول:"ومن اكترى دابة إلى موضع فجاوزه، فعليه الأجرة المذكورة وأجرة المثل لما جاوز. كما إذا اكترى إلى بلبيس مثلاً، فجاوزه إلى الصالحية، فإنه عليه الأجرة المسماة في العقد؛ لاستيفاء المعقود عليه متميزًا عن غيره، وأجرة المثل للزائد؛ لأنه متعد في ذلك، فهو كالغاصب"[١٣٥]. وإذا تعرضت الدابة للتلف في مسافة المجاوزة فعلى المستأجر التعويض؛ إذ يقول الزركشي:"إذا تلفت في مدة المجاوزة؛ لأنه متعد، فضمنها كالغاصب، هذا إذا لم تكن يد صاحبها عليها، أو كانت يده عليها واستكرهه على ذلك، أما لو كانت يد صاحبها عليها، ولم يرض بذلك فظاهر كلام الخرقي أن يضمنها أيضًا"[١٣٦].

كما ألزم الفقهاء من اكترى دابة لحمل وزن بعينه، ثم زاد عليه أن يدفع أجرًا زائدًا على المتفق عليه بما يتناسب مع الحمل، وعن ذلك قال

الزركشي:"مثل أن يكتريها لحمل مائة رطل، فيحمل مائة وعشرة ونحو ذلك؛ لأنه استوفى المعقود وزاد عليه، فيلزمه المسمى، وأجرة المثل للزائد، وضمان الدابة إن تلفت لتعديه، أو ضمان النصف[١٣٧].

المكارية والتصوف

أما عن علاقة المكارية بالتصوف، فمن المعروف أن التصوف كان من أهم سمات المجتمع المملوكي، ومن ثم انخرطت فيه قطاعات عريضة من المجتمع المصري خلال هذا العصر ومن بينهم المكارية، الذين بلغ بعضهم درجة وصلت للحدس الصوفي، ومن دلائل ذلك ما روي عن الشيخ محمد بن إسحق البلبيسي، وكان شديد الاعتقاد في الفقراء، وكان يمشي إليهم ويتبرك بدعائهم وجرى له مع شخص مكاري ركب معه من القاهرة إلى مصر قبل أن يلي قضاء الإسكندرية مكاشفة ذلك أنه لما ركب الدابة خطر في خاطره بغلة وجارية تركية مليحة، فإذا بالمكاري قال له يا فقيه شوشت علينا أو ما هذا معناه بغلة وجارية بغلة وجارية يحصل لك ذلك، فلما ولي قضاء الإسكندرية ركب البغلة وملك الجارية تركية مليحة[١٣٨]. ولم يكن من العسير تقبل هذا الأمر وبخاصة أنها حدثت مع فقيه يؤمن تمامًا بإمكان إجراء المعجزات على يد البسطاء، ويعلم جيدًا بحديث النبي - صلى الله عليه وسلم-:" وكم من أشعث أغبر ذي طمرين لا يؤبه له لو أقسم على الله لأبره"[١٣٩].

المكارية في تفسير الأحلام

وبسبب الدور الفاعل للمكارية في المجتمع خلال هذه الفترة، ومخالطتهم للناس ليل نهار، فقد ظهروا للناس في أحلامهم، كما حلموا هم بالكثير؛ ومن هنا تبارى مفسرو الأحلام في تفسير الرؤى المرتبطة بالمكارية، ومنها أن ظهور المكاري للإنسان في المنام يدل على الشفاء من الأمراض، واكتساب الذنوب وحمل الأثقال[١٤٠]، وربما دلّت رؤيته على احتمال الأذى وإيجاد الراحة[١٤١]، ومنهم من يفسر المكاري بأنه والي الأمور ومقدم الجيش والمتكلّف لأمور الناس كصاحب الشرطة والساعي"[١٤٢]، ومن "رأى من المكارية أرض الحارة في المنام فإنها تدل على الأسفار ". ومن رأى منهم أرض حارة ممهدة بلا عقبات كانت بشرى بالربح وتسهيل الأمور[١٤٣]. كما أن تمريخ المكاري في المنام معناه الراحة وتجديد الرزق وزيادة القوة[١٤٤]، ومن رأى منهم الثلج في المنام فمعناه الكساد ووقف الحال[١٤٥] وتعذر الربح[١٤٦]، ومن رأى سارميزي أو الكستبان أو المسدى أو المنشار في المنام فهو دال على المكاري[١٤٧]، ومن رأى مكاريًا راكبًا فرسًا دل على اتساع حاله ورواج حرفته[١٤٨]. كما أن رؤية الزرزور في المنام يفسر بعدة أمور منها أنه هو المكاري[١٤٩].

النتائج

نخلص بعد هذه الدراسة للمكارية وأحوالهم في القاهرة في عصر سلاطين المماليك إلى أن:

- حرفة المكارية كانت من أهم الحرف التي عرفت في القاهرة في عصر سلاطين المماليك؛ حيث كانت عماد حركة النقل الخفيف خلال هذه الفترة.
- هذه الحرفة كانت من الحرف الجائزة من الناحية الشرعية بخلاف حرف كانت منافية

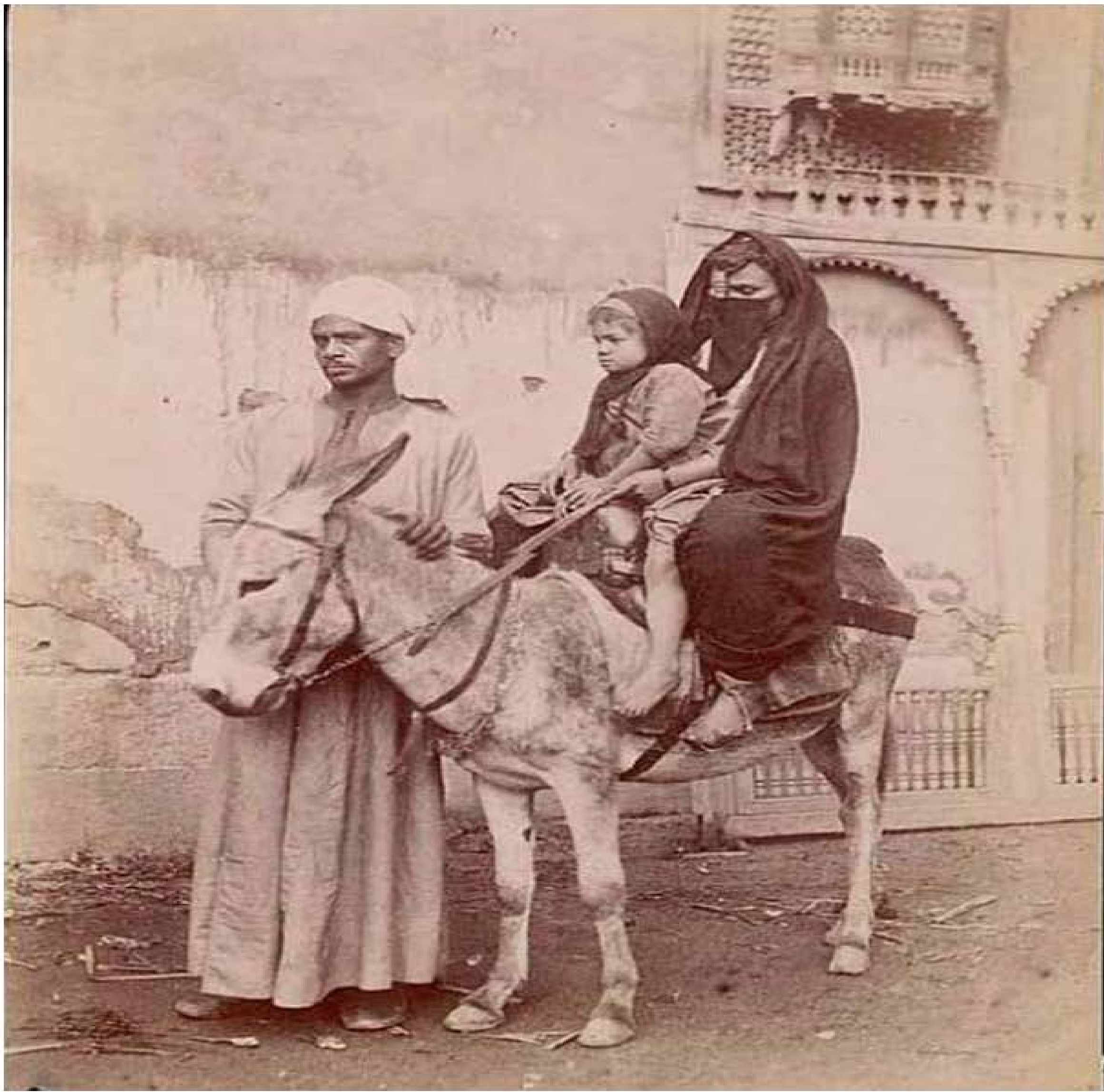
للشرع شاعت وانتشرت في هذا العصر مثل حرفة البغاء.

- تنوعت الحيوانات التي استعملها المكارية في عملهم بين الحمير والبغال والخيول غير الأصيلة، وقد سعى المكارية للحصول على أجود أنواعها من مواطنها المختلفة.
- حرص المكارية أشد الحرص على تدريب وتجهيز الدواب التي استخدموها ضمانًا لسرعة وجودة أداء الخدمة بما يساعد على اتساع الرزق.
- أسعار الخدمة كانت قليلة، وفي متناول عامة القاهرة قبل خاصتهم غير أن هذه الأسعار كانت تتأثر بحالة الأسواق والمواسم والأزمات صعودًا وهبوطًا حسب الإقبال على طلب الخدمة.
- أعداد الدواب كانت كبيرة بدرجة وفت بالغرض، وساعدت على الوفاء باحتياجات أهل القاهرة في النقل الخفيف.
- اتسعت الرقعة الجغرافية لنقاط الارتكاز بما يخدم مختلف أنحاء العاصمة المصرية خلال فترة الدراسة.
- حرص المكارية على تقديم الخدمة في الغالب بشكل جيد على زيادة الرزق، وإن أهمل بعض القائمين بالحرفة شأن كل الحرف منهم المحسن والمسيء.
- انتظم العاملون بحرفة المكارية في تنظيم طائفي رتب أحوالهم، ونسق علاقتهم بالسلطات الحاكمة لكن لم يكن بالشكل الناضج الذي عرف عند حرف أخرى معاصرة، وقد ترك ذلك أثره في ضعف صوتهم في المطالبة بحقوقهم مما جعلهم طوال فترة الدراسة على هامش المجتمع المصري.
- حرفة المكارية قد استفادت من عدد من الحرف التي عرفت في ذلك العصر مما عاونهم في تقديم خدمتهم لمجتمع القاهرة خلال فترة الدراسة.
- تعرضت حرفة المكارية للعديد من المشاكل مع الحكومة المملوكية بسبب التعدي المستمر على محترفي الحرفة وبخاصة في فترات الاستعداد للحروب؛ حيث كانت تنتزع منهم دوابهم وبخاصة الأكاديش؛ لاستخدامها في المجهود الحربي دون مقابل.
- عانى المكارية من تعدد أشكال الفروض المالية غير أن المصادر لم تساعدنا على استبيان تفاصيلها لكنها كان موجودة.
- عاش المكارية بسبب ضعف إمكانات المكارية الاقتصادية على هوامش القاهرة في منازل بالغة البؤس في بيوت صغيرة أو أكواخ داخل أحواش زهيدة الأجرة.
- تأثر المكارية بالعديد من الأمراض الاجتماعية التي تفشت في العصر المملوكي مثل الشذوذ الجنسي، وأكل الحشيش المخدر.
- اهتم الفقهاء بتقنين أوضاع حرفة المكارية في شتى النواحي، وبخاصة جانب الجرائم والعقوبات، وذلك بسبب أهميتها في تيسير أحوال الناس.
- مثل كل قطاعات المجتمع المملوكي تأثر المكارية بالتصوف الذي كان من أهم سمات

العصر، وانخرط بعضهم فيه، وعرفت كراماتهم.

- بسبب أهمية حرفة المكارية في مجتمع القاهرة المملوكية اهتم مفسرو الاحلام بتأويل رؤية المكاري ودوابه في المنام.

- هكذا اتضحت لنا أوضاع المكارية في القاهرة إبان عصر سلاطين المماليك، وهو ما يؤكد أن هو أمر ممكن، وليس ضربًا من ضروب الخيال والاستحالة، غير أنه يتطلب صبرًا من الباحث في تتبع آثار الجماعات المهمشة المسكوت عن تاريخها، وذلك في مختلف المصادر الخاصة بالعصر المدروس كما بدا من البحث، وهو ما يمكن من الولوج إلى منعطفات تاريخية غير مطروقة تستحق البحث بالفعل، وفوق كل ذلك تعيد التاريخ لأصحابه الحقيقيين.



مكاري



توزيع تجمعات المكارية داخل القاهرة الأصلية

والخريطة من أندريه ريمون، القاهرة، تاريخ حاضرة ص ٣٥ بتصرف.



توزيع ترجيحي لتجمعات المكارية في القاهرة المملوكية

والخريطة من أندريه ريمون القاهرة تاريخ حاضرة، ص ١١٣ بتصرف.

الحواشي

١ - دكتوراه التاريخ الإسلامي – كلية الآداب – جامعة عين شمس.

٢ - حول إحياء الخلافة العباسية في مصر انظر: ابن عبد الظاهر (محي الدين، ت ٦٩٢هـ/١٢٩٢م)، الروض الزاهر في سيرة الملك الظاهر، تحقيق عبد العزيز الخويطر، الرياض، د.ت، ٩٩-١١٢؛ شافع بن علي الكاتب (ت ٧٣٠هـ/١٣٣٠م)، كتاب حسن المناقب السرية المنتزعة من السيرة الظاهرية، تحقيق عبد العزيز الخويطر، الرياض، ١٩٧٦م، ص ٣٧-٥٥.

٣ - قدم المقريزي صورة حية للحرف التي انتشرت في القاهرة في عصر المماليك من خلال حديثه عن أسواق المدينة. المقريزي المقريزي (تقي الدين أحمد بن علي، ت ٨٤٥هـ/١٤٤١م)، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار (الخطط المقريزية)، ج٣، الهيئة العامة لقصور الثقافة، ١٩٩٩م، ٩٤-١٠٤؛ قاسم عبده قاسم، أسواق القاهرة في عصر سلاطين المماليك، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، ٢٠١١م.

٤ - سبق المؤرخون الغربيون أقرانهم من العرب في مجال الاهتمام بالجماعات المهمشة أو ما يسمى بكتابة التاريخ من أسفل، عن ذلك انظر: جيم شارب، التاريخ من أسفل، ضمن كتاب "نظرات جديدة على الكتابة التاريخية"، تحرير بيتر بوركي، ترجمة قاسم عبده قاسم، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ٢٠١٠م، ص ص ٥١-٧٢.

٥- ومن الدراسات السابقة التي تعرضت للموضوع بشكل عام: محاسن الوقاد، الطبقات الشعبية في القاهرة المملوكية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٩م، ص ١٤٥؛ علاء طه، عامة القاهرة في عصر سلاطين المماليك، عين للبحوث والدراسات، ٢٠٠٣م، ص ١٠٧-١٠٨؛ محمد عبد العزيز سياج، النقل والمواصلات في مصر في عصر سلاطين المماليك، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة الزقازيق، ٢٠٠٨م، ص ١٤٨؛ أحمد عبد الرازق عبد العزيز، الفقراء في القاهرة في القرنين السادس والسابع الهجريين، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة الزقازيق، ٢٠٠١م، ص٩٢.

٦ - ابن منظور (محمد بن مكرم بن علي ت ٧١١هـ/١٣١١م)، لسان العرب، القاهرة، دار المعارف، ١٩٨١م، ص ٣٨٦٦.

٧- von Harff (Arnold), The Pilgrimage of Arnold Von harff, trans and edited By Malcolm Letts, Liechtenstein , ١٩٦٧, p٩٦.

زار فون هارف مصر عام ٩٠٢هـ/١٤٩٦م ودون أخبار رحلته التي أمدتنا بالعديد من المعلومات بالغة الأهمية عن أحوال الأجانب في مصر في تلك الوقت، كما ألقى أضواء قوية على الرواج التجاري في مصر. انظر سماح السلاوي، الأوضاع الحضارية في مصر والشام في العصر المملوكي، دار الآفاق العربية، القاهرة، ٢٠١٤م، ص ٢,٣

انظر أيضاً: أندريه ريمون، تاريخ مصر الاجتماعي، ترجمة زهير الشايب، القاهرة، روزاليوسف، ١٩٧٤، ص ١٠٧؛ علاء طه رزق، عامة القاهرة، ص ١٠٧؛

٨- وصف إفريقية، ترجمة د.عبد الرحمن حميدة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠٠٥م، ص ٥٩٢؛ أحمد عبدالرازق، الفقراء في القاهرة، ص ١٩١.

ولد الحسن بن محمد الوزان بين عامي ١٤٨٩و ١٤٩٥م في غرناطة ثم رحلت أسرته إلى فاس عقب سقوط غرناطه بيد الأسبان عام ١٤٩٢م ووصل لمرتبة مرموقة في بلاط سلطان المغرب، وقع في الأسر عام ١٥١٨م فتنصر وعمد على المذهب الكاثوليكي عام ١٥٢٠م وسمي جان ليون وخدم البابا ليون العاشر وألف عدداً من المؤلفات منها معجم عربي عبري لاتيني وكتاب وصف إفريقيا، وعاد إلى تونس، وتوفي فيها ١٥٤٩م ويرجح عودته للإسلام في تونس، انظر: وصف إفريقيا المقدمة ص ٢٣-٢٥.

٩ - الفيروزبادي (أبو اسحق إبراهيم بن علي بن يوسف الشيرازي)، التنبيه في الفقه على مذهب الإمام الشافعي مطبعة مصطفى الحلبي، القاهرة، ١٣٧٠هـ/١٩٥١م، ص ٨٤.

مُكارية القاهرة في عصر سلاطين المماليك

١٠ - ابن خلف المنوفي (علي بن خلف المنوفي المالكي المصري)، كفاية الطالب الرباني على رسالة أبي زيد القيرواني، ج٣، تحقيق أحمد حمدي علام، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٨٧م، ص ٣٩١.

١١ - يقول ابن البيطار: "إن الحمار له أوفى نصيب في نتج الدواب، لأنه سبب لنتاج البغال. وأول ما تركب أولاد الملوك والأمراء عليه وهم أطفال. وله نفع في نقل المياه ومنافع الحصون والجبال. وعليه تكون المرمات والعمائر، وله في ذلك أطول نفس. ومن تكون هذه منزلته فلا ينبغي أن يهدر من بين الدواب نصيبه". ابن البيطار (أبي بكر بن البدر)، الكامل في الصناعتين في البيطرة والزردقة، ج٢، تحقيق د. عبد الرحمن إبريق، معهد التراث العلمي العربي، دمشق، ١٩٩٣م، ص ٣٥٣.

١٢ - هو موفق الدين أبو محمد عبد اللطيف بن يوسف ابن محمد المعروف بابن اللباد، طبيب، ورحالة، ومؤرخ، وعالم آثار عراقي بارز، وهو في الأصل من الموصل بشمالي العراق، وُلد ونشأ في بغداد، ويعد من أبرز علماء عصر الحروب الصليبية، قدم إلى بلاد الشام، وكذلك مصر، وقد اتصل بصلاح الدين الأيوبي، وحظى لديه بمكانة بارزة ت ١٢٣١م. انظر عبد اللطيف البغدادي: الإفادة والاعتبار في الأمور المشاهدة والحوادث المعاينة بأرض مصر، تحقيق أحمد غسان سبانو، ط. دمشق ١٩٨٣م، مقدمة التحقيق؛ محمد مؤنس عوض، من إسهامات الطب العربي الإسلامي في العصور الوسطى، ط. القاهرة ١٩٩٧م، ص ٧١-٨٥.

١٣ - عن الحمر المصرية قال: "والحمير بمصر فارهة جداً، وتركب بالسروج وتجري مع الخيل والبغال النفيسة لعلها تسبقها، وهي مع ذلك كثيرة العدد، ومنها ما هو غال بحيث إذ ركب بسرج اختلط مع البغلات، يركبه رؤساء اليهود والنصارى ويبلغ ثمن الواحد منها عشرين ديناراً إلى أربعين ديناراً" (رحلة عبد اللطيف البغدادي على مصر، أشرف على الطبعة الدكتور عبد الله الشيخ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٨م، ص ٨٣) ويذكر مقدم الرحلة الدكتور عبد الرحمن عبدالله الشيخ: "أنه في بعض مراحل التاريخ جرى تحريم الخيل على غير المسلمين... وهذا الحظر دفع اليهود والنصارى إلى الاهتمام الشديد بالحمير، فأصبح الحمار الذي يركبه اليهودي ذو الحيثية أو النصراني ذو الحيثية، قوياً متيناً معتنى به ربما فاق البغل أو بعضاً من الخيل... ولعل هذه الظروف التاريخية تفسر لنا انتشار هذا الصنف من الحيوان في مصر وكثرة توالده" رحلة عبد اللطيف البغدادي، مقدمة الناشر، ص ٢٤.

١٤ - سفر نامة، ترجمة د. يحي الخشاب، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٣م، ص ١٢٢.

ناصر خسرو: رحالة فارسي جاء إلى مصر ٤٣٧هـ ومكث بها حتى ٤٤٤هـ انظر مقدمة الترجمة العربية ص ٨-٩.

١٥- Wright, (T.), Early travelers in Palestine, London, ١٩٤٨, p١٩٥.

١٦ - قاسم عبده قاسم، عصر سلاطين المماليك، ص ٣٣.

١٧ - ابن تغري بردي (جمال الدين أبي المحاسن يوسف ت ٨٧٤هـ/ ١٤٧٠م)، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ج١٦، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، ٢٠٠٨م، ص ٤.

١٨ - ابن سعيد (علي بن موسى ت (٦٨٥هـ/١٢٨٦م)، المغرب في حلي المغرب، تحقيق زكي حسن وشوقي ضيف وسيدة الكاشف، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، ٢٠٠٣م، ص ٦.

١٩ - رحالة وتاجر ودبلوماسي ولد ربما في قرطبة أو إشبيلية عام ١٤١٠م ت عام ١٤٨٤م انظر: رحلة طافور في عالم القرن الخامس عشر، ترجمة د. حسن حبشي، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ٢٠٠٢م، مقدمة الترجمة ص ي - ل.

٢٠ - رحلة طافور، ص ٩٨.

٢١ - القلقشندي (أبو العباس أحمد، ت ٨٢١هـ/١١٦٠م)، صبح الأعشى في صناعة الإنشا، ج٢، دار الكتب، القاهرة، ١٩١٣م، ص ٢٣٥؛ محمد عبد العزيز سباح، النقل والمواصلات في مصر، ص ١٤٨.

٢٢ - (إبراهيم بن محمد الفارسي) المسالك والممالك، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، ص ٤٢.

٢٣ - ابن البيطار، كامل الصناعتين، ج١، ص ٢٠٢، الملك الأشرف عمر الغساني (ت ٦٩٦هـ/ ١٢٩٧م) - المغني في البيطرة، تحقيق رمزية الأطرفجي، بغداد، ١٩٨٩م، ص ١٦٦.

٢٤- هي نتاج تزاوج الخيل والحمير ويقول البدر بن البيطار حول إنتاج البغال: "وينبغي في نتاجها أن تشيل الحمار التام الخلقة الطويل الآذان العريضة على الرمكة، فإن في هذه الحال يجيء النتاج بغلاً كبيراً تاماً كامل الخلقة. وإن كانت الحجرة رومية أو بقاعية فهو أجود البغال، لأنه يجيء بغلاً قوي التراكيب، عريض الظهر والكفل، غليظ القوام، صبوراً على الأحمال والأثقال والأعمال "(ابن البيطار، كامل الصناعتين، ج١، ص ٢٠٢).

٢٥- عن البغال يقول: "أكرم بها بغلة لا تعلو بقيمة... يختبر في الحسن جميع أحوالها... تتدفق كالسيل وتترفق ولا يعجزها مطلع سهيل. لا يلحقها الخيل من الزهو " العمري (أحمد بن فضل الله، ت ٩٤٩هـ/١٥٤٢م)، التعريف بالمصطلح الشريف، مطبعة العاصمة، القاهرة، ١٣١٢هـ، ص ٢١٩.

٢٦- الملك الأشرف عمر، المغني في البيطرة، ص ١٦٤.

٢٧- ابن البيطار، كامل الصناعتين، ج١، ص ٢٠٢.

28- The Pilgrimage of Arnold Von harff, p.121.

29- Souriano ,(F.) ,Treaties on the holy Land ,translated by Fr . TheophilusBellorini,Jerusalem , 1948.

30- Davis ,Hugh , Bernard Von Breydenpach and his Journey to the Holy Land , London , 1911, P.50.

31- The Pilgrimage of Arnold Von harff, p.121.

٣٢- المقريزي (تقي الدين أحمد بن علي، ت ٨٤٥هـ/١٤٤١م)، السلوك لمعرفة دول الملوك، ج٣، ق٢، تحقيق محمد مصطفى ذيادة، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٥٦م، ص ٦٧٢-٦٧٣.

٣٣ - سعيد عاشور، المجتمع المصري في عصر سلاطين المماليك، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٩٢م، ص ٨٤.

٣٤ - وصف إفريقيا، ص ٥٩٢.

٣٥ - رحلة طافور، ص ١٩، قاسم عبده قاسم، عصر سلاطين المماليك، ص ٣٣.

36 - Jewish Travelers, ed. Elkan Nathan Adler, London, 1930, p159.

زار منلجم مصر عام ٨٨٦هـ/١٤٨١م

٣٧ - الدوكة Ducat هي دنانير ذهبية كانت تضرب في البندقية في عصر المماليك، وترد على مصر ووزن كل منها تسعة عشر ونصف قيراط مصري وأول ضربها كان في القرن الثالث عشر الميلادي انظر: أنستانس الكرملي البغدادي، النقود العربية وعلم النوميات، المطبعة العصرية، القاهرة، ١٩٣٩م، ص ١١١ حاشية ٤

٣٨ - السبكي (تاج الدين عبد الوهاب، ٧٧١هـ/١٣٦٩م)، معيد النعم ومبيد النقم، تحقيق محمد علي النجار وأبو زيد شلبي ومحمد أبو العيون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٤٨، ص ١٤٠.

٣٩- صحيح مسلم، حديث ٢١١٣، دار طيبة، الرياض، ١٤٢٦هـ، ص ١٠١٦.

٤٠- صحيح مسلم، حديث ٢١١٦، ص ١٠١٦.

٤١ - الشيزري (عبد الرحمن بن نصر ت ٥٨٩هـ/١١٩٣م)، نهاية الرتبة في طلب الحسبة، تحقيق السيد الباز العريني، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٤٦م، ص ١١٧.

٤٢- عمرو عبد العزيز منير: مصر والنيل بين التاريخ والفولكلور (سلسلة مكتبة الدراسات الشعبية، عدد ١٢٦، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة ٢٠٠٩م)، ص ٨٠-٨١، وانظر أيضاً سعد الخادم: سعد الخادم :الفن الشعبي والمعتقدات السحرية (سلسلة الألف كتاب ، العدد ٤٨٨، القاهرة)، ص ٨٠.

٤٣ - ابن إياس (أبو البركات محمد بن أحمد ت ٧٣٢هـ/١٥٤٢م)، بدائع الزهور في وقائع الدهور، ج٢، تحقيق محمد مصطفى، القاهرة، ١٩٩٨م، ص ١٥٦.

٤٤- حول تفاصيل النعال الخاصة بدواب الحمل انظر: ابن البيطار، كامل الصناعتين، ج٢، ص ٣٣٧-٣٥٣.

٤٥ - ناصر خسرو، سفر نامة ص ١٢٢.

٤٦ - المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج٣، ص ٢٩٧.

٤٧- ابن العماد الحنبلي (عبد الحي أحمد بن محمد ت ١٠٨٩هـ/١٦٧٨م)، شذرات الذهب في خبر من ذهب، ج٧، تحقيق عبد القادر الأرناؤوط ومحمد الأرناؤوط، دار ابن كثير، بيروت، ١٩٩١م، ص ٢٦٣.

٤٨- السبكي، معيد النعم، ص ١٤٠، قاسم عبده قاسم،

عصر سلاطين المماليك، ص ٣٣ ؛ محاسن الوفاد، الطبقات الشعبية، ص ١٤٥ ؛ سامية مصيلحي، البغاء في مصر في العصر المملوكي، حوليات آداب عين شمس، مجلد ٣٣، ٢٠٠٥م، ص ١٣٠.

٤٩- السبكي(عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي ت ٧٧١هـ/١٣٦٩م)، طبقات الشافعية الكبرى، ج٩، تحقيق محمود الطناحي وعبد الفتاح الحلو، مطبعة الحلبي، القاهرة، ١٩٦٤م، ص١٣٠.

٥٠ - رحلة جوزيف بتس، ص٣٤.

البارة: عملة معدنية ضربت في عهد السلطان مراد الرابع وزنها يزيد عن خمسة قراريط وتعادل ٤٠/١ من القرش، وقد أبطل العمل بها سنة ١٨٣٢م، انظر محمود عامر، المصطلحات المتداولة في الدولة العثمانية، جامعة دمشق، د.ت، ص ٣٦٦.

٥١ - إبراهيم شعلان، الشعب المصري في أمثاله العامية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ص ٢٣٥.

٥٢ - مايكل ونتر، المجتمع المصري تحت الحكم العثماني، ترجمة إبراهيم محمد إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠١م، ٣٥٩.

٥٣ - المقريزي، إغاثة الأمة بكشف الغمة، تحقيق د. كرم فرحات، عين للبحوث، القاهرة،٢٠٠٧م، ص ١٥٠.

صنف المقريزي المصريين أيام سلاطين المماليك إلى ثمانية أصناف بناء على وضعهم الاقتصادي كالآتي: القسم الأول: أهل الدولة، القسم الثاني: مياسير التجار، القسم الثالث: أصحاب البز وأرباب المعايش، القسم الرابع: الفلاحين، القسم الخامس: الفقهاء وطلاب العلم، القسم السادس: أرباب المهن والأجراء ومنهم المكارية، القسم السابع: والأخير الشحاذين.

٥٤ - ابن بطوطة (محمد بن عبد الله اللواتي ت٧٧٩هـ/ ١٣٧٧م)، رحلة ابن بطوطة،ج١، المطبعة الخيرية، القاهرة، ١٣٢٢هـ، ص٢٣؛ أندريه ريمون، القاهرة تاريخ حاضرة، ترجمة لطيف فرج، دار الفكر، القاهرة،١٩٩٤م، ص ١١٢؛ قاسم عبده قاسم، عصر سلاطين المماليك، ص ٣٣.

٥٥ - باب زويلة: يوجد في جنوب القاهرة، وهذا الباب ليس هو باب زويلة الذي بناه جوهر الصقلي لكن هذا من بناء الأمير بدر الجمالي عام (٤٨٥هـ/١٠٩٢م) أما الباب الأصلي فكان قد اندثر ولم يبق منه سوى عقد سماه العامة باب القوس. انظر المقريزي، الخطط، ج٢، ص ٣٨٠؛ شحاته عيسى إبراهيم، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠٠١م، ص ٧٤.

٥٦ - ابن سعيد، المغرب في حلي المغرب، ص ٥.

57 - The Pilgrimage of Arnold Von harff, p.111.

٥٨ - الحسن الوزان، وصف إفريقيا، ص ٥٩٢.

٥٩ - ناصر خسرو، سفر نامة ص ١٢٢.

60 - Souriano ,(F.) , Treaties on the holy Land , p. 191

٦١ - أوليا جلبي، سياحتنامه مصر، ص ٤٨٥.

٦٢ - ابن سعيد، المغرب في حلي المغرب، ص ٥.

٦٣ - المقريزي، الخطط ،ج٢، ص ٤٣٥.

خزانة البنود: البنود هي الرايات وكانت خزائنها في العصر الفاطمي ملاصقة للقصر الكبير فيما بين قصر الشوك وباب العيد وفي العصر الأيوبي والمملوكي كانت مقراً لسجن الأسرى الفرنج انظر: المقريزي ٤٣٥.

٦٤ - المقريزي، الخطط،ج٢، ص ٣٤٤ ؛ ابن دقماق (إبراهيم بن محمد بن أيدمر العلائي ت ٨٠٩هـ/١٤٠٧م)، الانتصار لواسطة عقد الأمصار، ج١، المكتب التجاري للطباعة والتوزيع، بيروت، ص ٢٧.

٦٥ - المقريزي الخطط، ج٣، ص ١٣٠.

كوم الريش هي الأرض فيما بين أرض البعل ومنية الشيرج، وتعرف حالياً بالزاوية الحمراء محمد الششتاوي، متنزهات القاهرة في العصرين المملوكي والعثماني، دار الآفاق العربية، القاهرة، ١٩٩٩م، ص ٢٥٢.

٦٦ - السخاوي (شمس الدين محمد بن عبد الرحمن، ت ٩٠٢هـ/١٤٩٧م)، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، ج٩، دار الجيل بيروت، ١٩٩٢م، ص ٢٥.

زاوية أبي السعود: كانت تقع خارج باب القنطرة من القاهرة على حافة الخليج، المقريزي، الخطط، ج٢، ص ٤٣٤.

٦٧ - رحلة ظافور، ص ٦٤.

٦٨ - رحلة جوزيف بتس ص ٣٤.

٦٩ - ابن دقماق، الانتصار، ج١، ص ٢٧.

من دروب الفسطاط

٧٠- ابن دقماق، الانتصار، ج١، ص ٢٧.

٧١ - السخاوي، الضوء اللامع، ج٦، ص١٣٥.

٧٢ - السخاوي، الضوء اللامع، ج١٢، ص ٩٨.

باب القنطرة، يقع غرب القاهرة، وسمي كذلك لمواجهته للقنطرة التي بناها جوهر الصقلي على الخليج، انظر المقريزي، الخطط، ج١، ص٣٨٢، شحاته عيسى، القاهرة، ص ٧٤.

٧٣ - السخاوي، الضوء اللامع، ج٧، ص ١٠٠.

باب القوس هو اسم أطلقه العامة على موضع باب زويلة الأصلي الذي بناه جوهر الصقلي حين بنى القاهرة، ولم يبق منه في عصر المقريزي سوى عقد أو قوس، وهو ملاصق للمسجد المسمى مسجد سام بن نوح، لكن مع توسع أسوار القاهرة بنى أمير الجيوش بدر الجمالي باب جديد هو باب زويلة الكبير، كما سماه المقريزي وذلك عام ٤٨٥هـ. انظر المقريزي، الخطط، ج٢، ص ٣٦١.

٧٤ - الفيروزبادي، التنبه في الفقه الشافعي، ص ٨٥.

٧٥ - ابن سعيد، المغرب في حلي المغرب، ص ٦.

٧٦ - السخاوي، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، ج١٢، ص ٢٨.

٧٧ - رحلة جوزيف بتس، ص ٣٤.

٧٨ - الحسن الوزان، وصف افريقيا، ص ٥٩٢.

The Pilgrimage of Arnold Von harff, p.112.

79 - الحسن الوزان، وصف افريقيا ص 592.

80 - The Pilgrimage of Arnold Von harff, p.111.

٨١- علاء طه رزق، عامة القاهرة، ص ٤١.

٨٢- محاسن الوقاد، الطبقات الشعبية، ص ١٤٨-١٥٠، علاء طه رزق، عامة القاهرة، ص ٤١.

٨٣- الحسن الوزان، وصف إفريقيا، ص ٥٩٢.

٨٤- عبد السلام عبد الحليم عامر، طوائف الحرف في مصر ١٨٠٥-١٩١٤، مركز وثائق مصر، القاهرة، ١٩٩٣م، ص ٩، ١٥٤، متفرق.

٨٥ - المقريزي، الخطط، ج١، ص ٣١٣، ٣٩٤، جاستون فيت، القاهرة مدينة الفن والتجارة، ترجمة دكتور مصطفى العبادي، عين للبحوث، القاهرة، ص ٥٢.

٨٦ - ابن الأخوة، معالم القربة، ص ٢٣٩.

٨٧ - المقريزي، الخطط، ج٢، ص ٩٧-٩٨؛ شحاته عيسى، القاهرة، ص ٢١٨.

٨٨ - الصيرفي (على بن داوود ت ٩٠٠هـ/١٤٤٩م)، نزهة النفوس والأبدان في تواريخ أهل الزمان، ج١، تحقيق د.حسن حبشي، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ٢٠١٠م، ص ٥٠١؛ ابن إياس، بدائع الزهور، ج٢ق ق١، ص ٥٣٢؛ البيومي إسماعيل، النظم المالية في مصر والشام، ص ١٩٣.

٨٩ - المقريزي، السلوك، ج٣، ص٥١، أحمد عبد الرازق عبد العزيز، الفقراء في القاهرة، ص٩٢.

٩٠ - المقريزي ج٣، ق ٣، ص ١١١٧.

٩١ - ابن الصيرفي، نزهة النفوس والأبدان، ج٢، ص ١٨٤.

٩٢ - المقريزي ج٣، ق ٣، ص ١١٢٢.

٩٣ - ابن الصيرفي، نزهة النفوس والأبدان، ج٢، ص ١٨٤، ١٨٦.

٩٤ - المقريزي، السلوك، ج٣، ق ٣، ص ١١٢٣.

٩٥ - أوليا جلبي، سياحتنامه مصر، ص ٤٨٥.

٩٦- ابن البيطار، كامل الصناعتين، معهد التراث العربي، حلب، الملك الأشرف الغساني، المغنى في البيطرة.

٩٧- ابن الأخوة، معالم القربة في طلب الحسبة، ص ٤٧-٤٨.

٩٨ - المقريزي، السلوك، ج٣، ق٢، ص٨١٠.

عن ذلك يقول المقريزي: "وفيها أبطل ما أحدثه النساء من ملابسهن. وذلك أن الخواتين نساء السلطان وجواريهن أحدثن قمصاناً طوالاً تخب أذيالها على الأرض، بأكمام سعة الكم منها ثلاثة أذرع، فإذا أرخته الواحدة منهن غطى رجلها، وعرف القميص منها فيما بينهن بالبهطلة، ومبلغ مصروفه ألف درهم مما فوقها. وتشبه نساء القاهرة بهن في ذلك، حتى لم يبق امرأة إلا وقميصها كذلك. فقام الوزير منجك في إبطالها، وطلب والي القاهرة

ورسم له بقطع أكمام النساء، وأخذ ما عليهن..... ومنعهن من الخروج وركوب حمير المكارية".

٩٩ - المقريزي، السلوك، ج٣، ق٢، ص ٧٤٨، النجوم الزاهرة، ج١٢، ص ٣٠؛ ابن الصيرفي، نزهة النفوس والأبدان، ج١، ص ٣٣٤؛ سامية مصيلحي، البغاء في مصر في العصر المملوكي، ص ١٣٤.

١٠٠ - المقريزي، السلوك، ج٣، ق٢، ص ٦٧٢-٦٧٣.

١٠١ - ابن إياس، بدائع الزهور، ج٤، ص ٤٧٤.

١٠٢ - نظم المماليك ورسومهم، ج١، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٧٩م، ص ٧٣.

١٠٣ - البيومي إسماعيل، النظم المالية في مصر والشام، ص ١٨٦.

104 - The Pilgrimage of Arnold Von harff, p.112.

١٠٥ - ابن إياس، بدائع الزهور، ج٤، ص ٤٨٥.

١٠٦ - الحياصة، هي الحزام الذي يوضع في وسط الدابة او على فخذيها تحت ذيلها، لتثبيت السرج أو البردعة للركوب (محمد أحمد دهمان، معجم الألفاظ التاريخية في العصر المملوكي، دار الفكر، دمشق، ١٩٩٠ص ٦٥).

١٠٧ - السلوك، ج٢، ق١، ص ١٥١؛ علاء طه رزق، عامة القاهرة، ص ١٠٦.

١٠٨ - حول هذا التدهور انظر: سماح السلاوي، الجاليات الأجنبية في مصر في العصر المملوكي، دار الآفاق العربية، القاهرة، ٢٠١٤م، ص ١٣٢ – ١٥٠.

١٠٩ - الصيرفي، نزهة النفوس والأبدان، ج١، ص ٥٠١؛ ابن إياس، بدائع الزهور، ج٢ن ق١، ص ٥٣٢؛ البيومي إسماعيل، النظم المالية في مصر والشام، ص ١٩٣.

١١٠ - المقريزي، المواعظ والاعتبار، ج١، ص ١١٠.

١١١ - البيومي إسماعيل، النظم المالية في مصر والشام، ص ١٩٧.

١١٢ - آدم صبرة، الفقر والإحسان، ص ١٧٦-١٧٧؛ أحمد عبد الرازق عبد العزيز، الفقراء في القاهرة، ص ٧٠.

١١٣ - آدم صبرة، الفقر والإحسان، ص ١٧٧.

١١٤ - المقريزي الخطط، ج٣، ص ١٣٩.

١١٥ - عن زقاق المكارية انظر خريطة محافظة القاهرة

http://www.maps7.com/ar/%D8%B2%D9%82%D8%A7%D9%82%20%D8%A7%D9%84%D9%85%D9%83%D8%A7%D8%B1%D9%8A%D8%A9%D8%8C%20%D8%A7%D9%84%D8%AF%D8%B1%D8%A8%20%D8%A7%D9%84%D8%A3%D8%AD%D9%85%D8%B1%D8%8C%20%D9%85%D8%AD%D8%A7%D9%81%D8%B8%D8%A9%20%D8%A7%D9%84%D9%82%D8%A7%D9%87%D8%B1%D8%A9%E2%80%AC%D8%8C%20%D9%85%D8%B5%D8%B1.html#.U-4mvmSyVE

١١٦ - المقريزي، السلوك، ج٢، ص؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١١، ص ٢٩٢ ؛ محمد عطية أبو هويشل، الأحوال الطبية والصحية بمصر والشام في العصر المملوكي، رسالة ماجستير، كلية الآداب، الجامعة الإسلامية، غزة، ٢٠١٢م، ص ١٢١.

١١٧ - سيرة الظاهر بيبرس، ج١، ص ٣١٧-٣١٨.

١١٨ - ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٨، ص ١٨٤.

١١٩ - معيد النعم، ص ١٤٠.

١٢٠ - المقريزي، السلوك ج٢، ق٢، ص أحداث ٧٣٨هـ؛ محمد عطية أبو هويشل، الأحوال الصحية والطبية في مصر والشام، ص ١٢٠.

١٢١ - قال الصفدي:" روي أن الفقيه أحمد بن يوسف الشهير بابن الصاحب المصري (ت ٦٨٨هـ/١٢٨٩م)، ركب يومًا حماراً للفرجة تسلمه من المكاري، وتوجه به إلى برا باب اللوق، فتسيب الحمار على ملجور فيه حشيش، فأكله وشربه، فجاء صاحبه إليه، وقال: يا سيدي أفقرني حمارك هذا، وأكل بضاعتي. فقال له خذ صريمته فأخذها، فلما كان بعد ساعة انسطل الحمار، ونام وعجز عن الحركة، وأراد ابن الصاحب الدخول إلى المدينة فعجز الحمار عن القيام؛ لأنه شرب ماجور حشيش، فحمله على حمار آخر، وقال للمكاري: خذ بردعته وجاء وهو خلفه فقام إليه المكاري الأول فقال: يا سيدي أين الحمار الذي ركبته من عندي؟ فقال: أمنا، ما رأيت لك حمارًا وما أعطيتني إلا حريفًا، على أنه حريف كيس ما غرم عليه أحد شيئًا، انسطل بصريمته وركب ببردعته.

الصفدي (صلاح الدين خليل بن أيبك، ت٧٦٤هـ/١٣٦٣م)، الوافي بالوفيات، ج٨، باعتناء محمد يوسف نجم، جمعية المستشرقين الألمانية، بيروت،

١٩٨٢م، ص ٢٩٤؛ ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج٢، ص ٢٧٨.

١٢٢ - وسطت

١٢٣- المقريزي، السلوك، ج٣، ق٢، ص ٧٤٨؛ النجوم الزاهرة، ج١٢، ص ٣٠؛ ابن الصيرفي، نزهة النفوس والأبدان، ج١، ص ٣٣٤؛ سامية مصيلحي، البغاء في مصر في العصر المملوكي، ص ١٣٤.

١٢٤- الشيزري، نهاية الرتبة في طلب الحسبة، ص ١١٧.

١٢٥- ابن الأخوة، معالم القربة في طلب الحسبة، ص١٣٦.

١٢٦ - حاشية العدوي على كفاية الطالب، ج٣، ص ٣٨٩-٣٩٠.

١٢٧ - الزركشي (محمد بن عبد الله، ت ٧٧٢هـ)، شرح الزركشي على مختصر الخرقي، ج٤، تحقيق عبد الله بن عبد الرحمن بن جبرين، مكتبة العبيكان، الرياض، ١٩٩٣م، ص ٢٤٢.

١٢٨ - السبكي، معيد النعم، ص ١٤٠-١٤١.

١٢٩- (محمد بن أحمد القرشي، ت ٧٢٩هـ/ ١٣٢٩م)، معالم القربة في طلب الحسبة، تحقيق د. محمد شعبان وصديق المطيعي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٣م، ص ١٣٧.

١٣٠ - برهان الدين الحنفي، المحيط البرهاني، ج٧، ص ٥٢٢.

١٣١ - المصدر نفسه: ص ٤٩٤.

١٣٢ - المصدر نفسه: ص ٥٢٦.

١٣٣ - المصدر نفسه: ص ٥٥٥؛ حاشية العدوي على كفاية الطالب، ج٣، ص ٣٩٩.

١٣٤ - حاشية العدوي على كفاية الطالب، ج٣، ص ٣٩٠.

١٣٥ - برهان الدين الحنفي (محمود بن أحمد بن عبد العزيز، ت ٦١٦هـ/١٢١٩م)، المحيط البرهاني في الفقه النعماني، ج٧، تحقيق عبد الكريم سامي، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٤م، ص ٥٦٣؛ شرح الزركشي على مختصر الخرقي، ج٤، ص ٢٣٩.

١٣٦ - شرح الزركشي على مختصر الخرقي، ج٤، ص ٢٤٠.

١٣٧ - شرح الزركشي على مختصر الخرقي، ج٤، ص ٢٤١.

١٣٨ - السبكي، طبقات الشافعية، ص ١٢٩-١٣٠

١٣٩- الترمذي(محمد بن عيسى بن سورة، ت ٢٧٩هـ/٨٩٢م)، جامع الترمذي، بيت الأفكار الدولية، الرياض، ب. ت، حديث رقم٣٨٥٤، ص ٥٩٦

١٤٠ - النابلسي، تعطير الأنام بتعبير المنام، ج٢، المطبعة الأزهرية، القاهرة، ١٣٠١هـ، ص ٣٢٤.

١٤١ - النابلسي، تعطير الأنام، ج٢، ص ٣٢٤.

١٤٢ - النابلسي، تعطير الأنام، ج٢، ص ٣٢٤.

وهو في ذلك يذهب مذهب ابن سيرين بأن المكار هو صاحب لأمر والتدبير انظر: ابن سيرين، منتخب الكلام في تفسير الأحلام، ج١، دار الفكر، بيروت، ص ٤٧٢.

في نفس المعنى يؤول المكاري بأنه رجل صاحب رأي وتدبير ومصلح الأشغال والمعيشة وربما كان معلماً انظر: خليل بن شاهين الظاهري، الإشارات في علم العبارات، ج١، دار الفكر، بيروت، ص ٨٥٤.

١٤٣ - النابلسي، تعطير الأنام، ج١، ص ٢٧.

١٤٤ - النابلسي، تعطير الانام،ج١، ص٩٧.

١٤٥ - النابلسي تعطير الانام، ج١، ص ١٠٩.

١٤٦ - النقاف (محمد بن أبي بكر بن محمود)، الحكم والغايات في تعبير المنامات، دار النشر، مكتبة الجامعة الأردنية، ص ١٦٥

١٤٧ - النابلسي تعطير الأنام،ج٢، ص ٣٤٢.

١٤٨ - ابن سرور (أبو العباس أحمد بن سلطان)، قواعد تفسير الأحلام، ج١، تحقيق حسين بن محمد جمعة، مؤسسة الريان، بيروت، ٢٠٠٠م، ص ٢٨٣.

١٤٩ - إبراهيم بن يحي، تعبير الرؤيا، ج١، دار النشر، الجامعة الأردنية، ص ١١٣.

المصادر والمراجع

- أسواق القاهرة في عصر سلاطين المماليك، لقاسم عبده قاسم، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، ٢٠١١م. التاريخ من أسفل، لجيم شارب، ضمن كتاب "نظرات جديدة على الكتابة التاريخية"، تحرير بيتر

بوركي، ترجمة قاسم عبده قاسم، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ٢٠١٠م.

- إغاثة الأمة بكشف الغمة، للمقريزي، تحقيق د. كرم فرحات، عين للبحوث، القاهرة، ٢٠٠٧م.
- الإفادة والاعتبار في الأمور المشاهدة والحوادث المعاينة بأرض مصر، تحقيق أحمد غسان سبانو، ط. دمشق ١٩٨٣م.
- بدائع الزهور في وقائع الدهور، لابن إياس (أبو البركات محمد بن أحمد ت ٩٣٢هـ/١٥٤٢م)، ج٢، تحقيق محمد مصطفى، القاهرة، ١٩٩٨م.
- تاريخ مصر الاجتماعي، لأندريه ريمون، ترجمة زهير الشايب، القاهرة، روز اليوسف، ١٩٧٤م.
- التنبيه في الفقه على مذهب الإمام الشافعي، للفيروزبادي (أبو اسحق إبراهيم بن علي ابن يوسف الشيرازي)، مطبعة مصطفى الحلبي، القاهرة، ١٣٧٠هـ/١٩٥١م.
- جامع الترمزي، للترمزي (محمد بن عيسى بن سورة، ت ٢٧٩هـ/٨٩٢م)، بيت الأفكار الدولية، الرياض، ب. ت.
- رحلة ابن بطوطة،ج١، لابن بطوطة (محمد ابن عبد الله اللواتي ت٧٩٩هـ/ ١٣٧٧م)، المطبعة الخيرية، القاهرة، ١٣٢٢هـ.
- الروض الزاهر في سيرة الملك الظاهر، لابن عبد الظاهر (محي الدين، ت ٦٩٢هـ/١٢٩٢م)، تحقيق عبد العزيز الخويطر، الرياض، د.ت.
- سفر نامة، ترجمة د. يحيى الخشاب، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٣م.
- السلوك لمعرفة دول الملوك، المقريزي (تقي الدين أحمد بن علي، ت ٨٤٥هـ/١٤٤١م)، ج٣، ق٢، تحقيق محمد مصطفى ذيادة، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٥٦م.
- شذرات الذهب في خبر من ذهب، لابن العماد الحنبلي (عبد الحي أحمد بن محمد ت ١٠٨٩هـ/١٦٧٨م)، ج٧، تحقيق عبد القادر الأرناؤوط ومحمد الأرناؤوط، دار بن كثير، بيروت، ١٩٩١م.
- صبح الأعشى في صناعة الإنشا، للقلقشندي (أبو العباس أحمد، ت ٨٢١هـ/١١٦٠م)، ج٢، دار الكتب، القاهرة، ١٩١٣م.
- الطبقات الشعبية في القاهرة المملوكية، لمحاسن الوقاد، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٩م.
- عامة القاهرة في عصر سلاطين المماليك، لعلاء طه، عين للبحوث والدراسات، ٢٠٠٣م.
- الفقراء في القاهرة في القرنين السادس والسابع الهجريين، لأحمد عبد الرازق عبد العزيز، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة الزقازيق،٢٠٠١م.
- الفن الشعبي والمعتقدات السحرية، لسعد الخادم (سلسلة الألف كتاب، العدد ٤٨٨، القاهرة).
- الكامل في الصناعتين في البيطرة والزردقة، لابن البيطار (أبي بكر بن البدر)، ج٢، تحقيق د. عبد الرحمن إبريق، معهد التراث العلمي العربي، دمشق، ١٩٩٣م.
- كتاب حسن المناقب السرية المنتزعة من السيرة الظاهرية، لشافع بن علي الكاتب (ت ٧٣٠هـ/١٣٣٠م)، تحقيق عبد العزيز الخويطر، الرياض، ١٩٧٦م.
- كفاية الطالب الرباني على رسالة أبي زيد القيرواني، لابن خلف المنوفي (علي بن خلف المنوفي المالكي المصري)، ج٣، تحقيق أحمد حمدي علام، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٨٧م.
- لسان العرب، لابن منظور (محمد بن مكرم بن علي ت ٧١١هـ/١٣١١م)، القاهرة، دار المعارف، ١٩٨١م.
- المجتمع المصري تحت الحكم العثماني، لمايكل ونتر، ترجمة إبراهيم محمد إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠١م، ٣٥٩.
- المجتمع المصري في عصر سلاطين المماليك، لسعيد عاشور، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٩٢م.
- المحيط البرهاني في الفقه النعماني، لبرهان الدين الحنفي (محمود بن أحمد ابن عبد العزيز، ت ٦١٦هـ/١٢١٩م)، ج٧، تحقيق عبد الكريم سامي، دار الكتب العلمية، بيروت.
- مصر والنيل بين التاريخ والفولكلور، عمرو عبد العزيز منير: (سلسلة مكتبة الدراسات الشعبية، عدد ١٢٦، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة ٢٠٠٩م).
- المغرب في حلي المغرب، ابن سعيد(علي بن موسى

ت (٦٨٥هـ/١٢٨٦م)، تحقيق زكي حسن وشوقي ضيف وسيدة

- المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار (الخطط المقريزية)، (تقي الدين أحمد بن علي، ت ٨٤٥هـ/١٤٤١م)، ج٣، الهيئة العامة لقصور الثقافة، ١٩٩٩م.
- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، لابن تغري بردي (جمال الدين أبي المحاسن يوسف ت ٨٧٤هـ/ ١٤٧٠م)، ج١٦، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، ٢٠٠٨م.
- النقل والمواصلات في مصر في عصر سلاطين المماليك، لمحمد عبد العزيز سباح، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة الزقازيق، ٢٠٠٨م.
- النقود العربية وعلم النوميات، لأنستاس الكرملي البغدادي، المطبعة العصرية، القاهرة، ١٩٣٩م.
- نهاية الرتبة في طلب الحسبة، للشيزري (عبد الرحمن بن نصر ت ٥٨٩هـ/١١٩٣م)، تحقيق السيد الباز العريني، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٤٦م.
- وصف إفريقية، ترجمة د.عبد الرحمن حميدة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠٠٥م

المصادر الأجنبية

Davis ,Hugh , Bernard Von Breydenpach and his Journey to the Holy Land

Jewish Travelers, ed. Elkan Nathan Adler, London, 1930.

London , 1911.

Souriano ,(F.) , Treaties on the holy Land , translated by Fr .

The Pilgrimage of Arnold Von harff.

The Pilgrimage of Arnold Von harff.

The Pilgrimage of Arnold Von harff.

The Pilgrimage of Arnold Von harff.

The Pilgrimage of Arnold Von harff.Souriano ,(F.).

TheophilusBellorini,Jerusalem , 1948.

Treaties on the holy Land , p. 191

Wright , (T .) , Early travelers in Palestine , London , 1948.



عناوين كتب التّراث العربي

د. الحاج بنيرد
الجزائر

لقد دَرَجَ القُدامى على تقفية عناوين كتبهم وتَبِعَهم في ذلك المُتأخّرون، غير أنّ عناوين القدامى أقصر وأخصر وعناوين المُتأخّرين إلى الطّول أقرب، فتجدها في جمل كثيرة، من ذلك على سبيل المثال كتاب عبد الرحمن ابن خلدون (ت ٨٠٨هـ) في التّاريخ، وعنوانه: (كِتَابُ اَلْعِبَرِ وَدِيوَانُ المبتدأ وَاَلْخَبَرِ فِي أَيَّامِ اَلْعَرَبِ وَاَلْعَجَمِ وَاَلْبَرْبَرِ وَمَنْ عَاصَرَهُمْ مِنْ ذَوِي اَلسُّلْطَانِ اَلْأَكْبَرِ)[١]، وكتاب (اَلْقَامُوسِ اَلْمُحِيطِ وَاَلْقَابُوسِ اَلْوَسِيطِ اَلْجَامِعِ لِمَا ذَهَبَ مِنْ كَلَامِ اَلْعَرَبِ شَمَاطِيط)[٢]، وهو معجمٌ لغويٌ معروف لمجد الدّين محمّد بن يعقوب الفَيْروزآبادي (ت ٨١٦هـ) وغيرها.

وأمّا في القرون المُتأخّرة فإنّها سارت إلى المُحاكاة والتّقليد، حتّى إنّنا نجد الكثير من العناوين متشابهة ومتقاربة، وذلك بقصد الزّخْرفة البيانيّة والتّنميق اللّفظي في الغالب لتشويق القارئ وترغيبه في مطالعة الكتاب، ولكن مع هذه الحُلّة الفضفاضة قد يغيب المضمون أو بعبارة أخرى قد يبتعد العنوان عن فَحْوَى الكتاب، ومن ذلك مثلاً: (زَهْـرَةُ اَلْآسِ) فهو عنوانٌ لعدّة كتب منها: (زَهْرَةُ اَلآسِ فِي بِنَاءِ مَدِينَةِ فَاس)[٣] لعليّ الجزْنائيّ (ت بعد ٧٦٦هـ)، واختصره بكتابه (جَنَى اَلآسِ فِي بِنَاءِ مَدِينَةِ فَاس)[٤]، وفَهْرَسَة (زَهْرَةِ اَلآسِ بِمَنْ لَقِيَتُهُ مِنَ اَلنَّاسِ)[٥] لأحمد ابن العربي بن حسن الوازاني (ت ١٢٨٥هـ)، وكتاب (زَهْرِ اَلآسِ فِي بُيُوتَاتِ أَهْلِ فَاس)[٦] لعبد الكبير بن هاشم الكتّاني (ت ١٣٥٠هـ/١٩٣٢م) وغيرها.

وقد لاحظتُ شيئًا مُهمًّا على مؤلّفي مرحلة القرن العاشر الهجريّ وما بعده، وهو استعمال ألفاظ مخصوصة نحو: «زَهْـرَة» وما تعلّق بمُرادفاتها وصِيَغها في الإفراد والجمع مثل:

زَهْر وأَزْهار وأَزَاهِير، ومنها على سبيل المثال: (زَهْرُ ٱلأَكَمِ فِي ٱلأَمْثَالِ وَٱلْحِكَمِ) لأبي علي الحسن اليُوسي (ت ١١٠٢هـ)، و(زَهْرُ الرَّبِيعِ فِي مَحَاسِنِ ٱلْبَدِيعِ)[٧] لأبي إسحاق إبراهيم بن أحمد الخَرّاط الصّفاقسي (ت ١١٣٧هـ)، و(زَهْرُ ٱلرِّيَاضِ وَزُلالِ ٱلْحِيَاضِ)[٨] في التّراجم لِحسن بن علي ابن شَدْقَم المَدَني الحُسَيْني (ت ١٠٤٦هـ)، و(زَهْرُ ٱلأَفْنَانِ فِي حَدِيقَةِ إِبْنِ ٱلْوَنَّانِ)[٩] لأبي العبّاس أحمد بن خالد النّاصري السّلاويّ المغربي (ت ١٣١٥هـ/١٨٩٧م)، و(أَزْهَارُ ٱلرِّيَاضِ فِي أَخْبَارِ ٱلْقَاضِي عِيَاض)[١٠] لأبي العبّاس أحمد بن محمّد المقرّي التّلمساني (ت ١٠٤٠هـ)، و(أَزَاهِرُ ٱلْبُسْتَانِ فِيمَنْ أَجَازَنِي بِٱلْجَزَائِرِ وَتِطْوَان)[١١] لأديب فاس أبي عبد الله محمّد بن قاسم بن زَاكُور الفاسي (ت ١١٢٠هـ) وغيرها كثير.

وعمومًا إِعْتَمَدَتِ العناوين على المُزَاوجة اللّفظيّة، يكون الجزء الأوّل منها مُحتويًا على ألفاظ ذات صلة بالطّبيعة، كالزّهر والرّياض والنّور - بضمّ النّون وفتحها- والغمامة والكوكب ونحوها، ممّا يُعطي دلالات الجمال والتّفاؤل والتّعلّق بالأمل وإدراك الغايات في العلم وغيره، ولا يَخْفَى ما يُعْطيه تذكّرُ الخِصْب والنّماء والجمال من أَرْيَحِيّةٍ في النّفس وشَغَفٍ للارتقاء نحو المعالي، وتنشيط همّة الطّالب المُبتدئ فضلا عن المُجدّ المجتهد.

ثمّ يأتي الشّقّ الثّاني من العُنْوان ليُعطينا دلالةً على محتوى الكتاب وموضوعه، وغالبًا ما يكون هذا القسم مشحونًا بمصطلحات الفنّ المدروس كالأخبار والنّحو والمنطق وغيرها، وهذا ما يبدو لمن تمعّن في كتب الفهارس دون أدنى جهد، ولم أر من تعرّض لهذا، فأغلب الدّارسين والمُحقّقين يمرّون على ذلك مرورًا دون تمعّنٍ فيها بالمقارنة فيما بينها.

وإذا أخذنا مثالًا في هذا الصّدد، فإنّنا نختار عنوان كتاب (ٱلأَنْوَارِ ٱلسَّنِيَّةِ وَٱلأَزْهَارِ ٱلْبَدِيعَةِ ٱلْبَهِيَّةِ شَرْحِ خُطْبَةِ ٱلْخُلاصَةِ ٱلأَلْفِيَّةِ) في النّحو كنموذجٍ في هذا الباب؛ لأنّني قد تمرّست بقضاياه[١٢]، وقد وجدته يسير على هذا النّسَق من المُزاوجة والصّنْعة اللّفظيّة، وذكرِ ألفاظ الطّبيعة وجمالها، والإشارة إلى الفنّ المطروق باستعمال مصطلحاته وغير ذلك ممّا نريد أن نفصّله فيما يأتي:

الشّقّ الأوّل من العنوان:

وهو (ٱلأَنْوَارُ ٱلسَّنِيَّةُ وَٱلأَزْهَارُ ٱلْبَدِيعَةُ ٱلْبَهِيَّةُ)، وفيه دلالات الطّبيعة والجمال والتّفاؤل.

فالأنوار جمع نُور - بالضّمّ - وهو الضّياء والضّوء أو جمع نَوْر - بالفتح- وهو الزَّهْر[١٣]، وكلاهما من معاني الجمال في الطّبيعة، غير أنّ مُراد المُؤلّف -رحمه الله- هو الأوّل بلا شكّ؛ إذ لا معنى لعطفه على نفسه - أي الأنوار والأزهار- إضافة إلى الوصف وهو (السَّنِيّة)، والسّناء هو الضّياء أيضًا فالمناسبة بينهما جَلِيّة عند أدنى تأمّل.

فهذه الأنوار على كثرتها المُستفادة من صيغة الجمع وعلى وضوحها هي سَنِيّة مُرتفعة تَرْقُبها الأبصار وتلاحقها الأنظار، فلا يُتَوَهَّمُ أنّ النّاظر فيها سيجد مشقّة لرؤية المُبْصَرات وإدراك المُبْهمات؛ إذ هي سَنِيّة مُرتفعة لا تحتاج إلى بحث.

وفي هذا إشارة إلى أنّ المعاني المذكورة بين دفّتي هذا الكتاب واضحةٌ لا يبقى معها إشكال لقارئ أو طالب علم، وفيه أيضا أنّها تُزيح الجهل الحاصل في النّحو عمومًا وفي ألفيّة ابن مالك خصوصًا لصعوبة ما فيها وغموض معانيها، فالمُتوغِّلُ في آكامها ووِهادها مُحتاجٌ إلى أنوار تُيسّر عليها السّيْر وتُوَضّح له ما انبهم واستشكله الغَيْر، فالنُّور مُقابل للظّلام كما أنّ العلم مُقابلٌ للجهل لا يزولان إلا بضِدَّيْهما.

والأَزْهَــارُ جمع زَهْـرَة وتُجمع على زَهْرٍ وأَزَاهِر وأَزَاهِير[14]، وهي رمز الجمال والطّبيعة الخلابة، وهي نُزْهَةٌ للمُحِبّين، وراحة للمُرْهَفين، وأُنْس للمُسْتوحشين، وعلامة على الرّبيع في السّنين، لهذا كانت أجودَ ما يُهْدَى وأفضلَ ما يُسْدَى، فعلى صِغَر حجمها، ولُطْف منظرها، وطِيب ريحها، هي أكبر أثرًا وأعظم خطرًا في صدور المُتحابّين، وكلّ هذا في عالم المحسوس وفي نطاق الملموس، فما الظّنّ إذا كانت هذه الأزهار علومًا تُعْطى ومعارفَ تُمنح، وإذا كان طرفا الهديّة هما عالم مُشْفِق وطالب مُحْدق يتطلّع إلى اكتساب العلوم والمعارف، فلا شكّ حينئذ أنّ طيبَها أعظمُ طيب وأثرها خير أثر.

ويُضاف إلى هذا أنّ هذه الكلمة – أي الأزهار- تُعْطي راحة للمتعلّم، وتُهوّن عليه مشاقّ الطّلب، فما يراه صعبًا بعيدًا هو في الحقيقة زَهْرٌ جميلٌ ومنظرٌ بديع، فينبغي أن يُنَزّه طرفه فيه فهذا مِمّا لا يفوت، وبالأخصّ إذا كانت هذه الأزهار بديعةً بهيّة كما وصفها المؤلّف، فالبديع الشّيء المُبتكر على غير سابق مثال، فكأنّ هذه الأزهار لم تُطاولها الأيدي ولم تدْنُ منها الأنوف، فهي أشدّ عَبَقًا وبهاءً كما نعتها المؤلف بـ (الْبَهِيَّة)، وهو غاية الجمال والشّباب والحيويّة، فالمُؤلّف - رحمه الله- يريد أنْ يقول لنا أنّ هذا الكتاب منسوجٌ على غير سابق مثال، وفعلًا فلا نعلم أحدًا سبقه إلى إفراد شرح خُطبة الألفيّة والإطالة في الكلام عليها غيره، ويريد أنْ يقول لنا أنّ معانيها جميلة واضحة لا يفرّ منها الطّالب ولا يملّ منها القارئ الرّاغب، بل عليه أن يتناولها ويتمعّنها؛ لأنّها جديدة لم تُطرق وواضحة لا تستشكل، ولا يخفى ما في هذه الوَحَدات الدّلاليّة من إيقاظ الهمم، وتحفيز النّفوس، وتنشيط العقول نَحْوَ تعلّم النّحو.

فهذا الشّقُّ من العُنوان كالإدام بين يدي الطّعام، لا يستطيع من ابتدره أن يقف دون نهايته، فيَحُثّه نحو قراءة المزيد وتعلّم المُفيد، وهذا المقصود مُختصرٌ في الشّقّ الثّاني من العنوان.

وكذلك لكلمة (الْأَزْهَارِ) إيماءات إلى الانتقاء والاختيار، وإلى الاقتصار والاختصار، فإنّنا نرى الكثير من الأزهار مطروحًا في الطّريق ومع ذلك لا نقطف إلا أحسنها وأجملها، فكذلك المُؤلّف مع كثرة شروح ألفيّة ابن مالك وحواشيها نراه قد اقتنى أحسن ما ارتضاه منها.

ولها إيحاءاتٌ أخرى، فالأزهار كثيرة الأنواع منها الياسمين والرّيْحان والـوَرْد وغيرها، بل ولكُلّ شَجرٍ نَوْرُه ولكُلّ نبات زَهْـره[15]، وفيه إيحاءٌ إلى تنوُّع مصادر الكتاب وخروجه عن المألوف، ففيه من علم الكلام والبيان والبديع والمعاني والفقه والمنطق والرّقائق زيادةً على علم النّحو والصّرف، كما تتنوّع الأزهار كذلك إلى ورد وريحان وياسمين وغير ذلك كما أشرت سابقًا.

الشقّ الثاني من العُنْوان:

وهو (شَرْحُ خُطْبَةِ الخُلاصَةِ الأَلْفِيَّة)، وهو ما أشرنا إلى كونه مُحتَويًا على مُصطلحات الفنّ المطروق والإشارة إلى محتويات الكتاب.

فالشّرْحُ هو الكَشْف والتفسير والتّوضيح والتّبيين والتّوسيع[١٦]، وكُلُّ هذه المعاني موجودة في هذا الكتاب، فهو يكشف ما استتر عن الأفهام بوصفه شرحًا فريدًا غَيْرَ مسبوق على خُطبة الألفيّة فيما بلغنا، وهو يُفسّرُ قضاياها بشكل عامّ، فإنْ خصّصْنا وجدناه تفسيرًا لكثير من الآيات كالبسملة والحمدلة، وهو يُوَضّحُ ما انبهم من المعاني المطروقة قبله بالتّنبيهات والاستدراكات، وهو يُبَيّنُ أيضًا ويقرّر ما تردّد قبوله في الأذهان، واعترضه العقل بإيراده للاعتراضات والأقوال المُتباينة، وهو أيضًا توسيعٌ لمعاني خُطْبة الألفيّة بما لم يُسْبَقْ إليه في حدود علمي، وفحص لمدى صداها في باقي العلوم ومدى ظلال هذه العلوم عليها.

وأمّا الخُطْبَةُ والخِطابة وجمعها خُطَب، وقد يقال المَخْطَبَة وجمعها مَخاطب والخِطاب والمُخاطَبة مُراجعة الكلام، وفَصْلُ الخِطاب الفِقْه في القضاء، وقيل هي عبارة (أَمّا بَعْدُ) لأنّها تفصل بين كلامين، والخُطبة اسم للكلام الّذي يَتَكَلّم به الخطيب على المنبر، وهي الكلام المُسَجّع، وهي الرّسالة الّتي لها أوّلٌ وآخر[١٧]، وهي الكلام بين مُتكلّم ومستمع، ممّا يعني أنّها أخصّ بالمَوْعظة والنّصيحة[١٨].

وقد أُخْتُصّت الخُطْبة بنظام وأسلوب خاصّيْن، كالابتداء بالبَسْملة والثّناء على الله -عزّ وجلّ-، والصّلاة على الرّسول - صلّى الله عليه وسلّم، ويتخلّلها الدّعاء والنُّصح والتّوجيه، ويتميّز أسلوبها بالقوّة والتّأثير ولب الأنظار باستعمال أدوات النّداء والافتتاح والتّنبيه، وباستعمال المُحسّنات البديعيّة والصّور البيانيّة.

وقد أُطْلِق مُصطلح (الخُطْبَةِ) تعميمًا على كُلّ ما كان كذلك من المكتوب بعد أن كانت خاصّة بالمسموع فقط ومن ذلك مُقدّمات الكتب؛ إذْ هي في مُجملها تتميّز بخصائص الخُطَبِ مضمونًا وأسلوبًا، ثمّ شاع استعمالها مجازًا على مُقدّمات كلّ الكتب والمُتون كيفما كانت، حتّى وإن لم تتوفّر فيها شروط الخِطابة، وذلك على سبيل التّعميم والتّغليب.

وهذه الطّائفة من المكتوب المُستقلّة في أوائل الكتب لها تسميات أخرى كالدِّيْبَاجِةِ والمُقدّمة.

وأمّا الدِّيْبَاجَةُ فأصلها الدِّيبَاج - حُكِيَ فيها كسر الدّال وفتحها – فارسيّ مُعرّب وأصلها (دِيْبَاي)، فلمّا عُرّبَتْ أُبْدِلت الياء جيمًا، وتُجمع على دَيابِيج ودَبابيج، وهي ضرْبٌ من الثّياب المنسوجِ المُزيّن بألوانٍ كثيرة، وتُطلق على الأشياء الجميلة والتّامّة القُوّة والحُسْن كالنّاقة الفَتِيّة الشّابّة، وقد يُطْلَق على القبيح أيضا وهو قليل، والدِّيْبَاجَتان هما الخدّان، ودِيْبَاجَةُ الوجه ودَيبَاجُهُ حُسْنُ بَشْرته، ولهذه القصيدة ديباجةٌ حسنة إذا كانت مُكثّرة[١٩].

وانتقال استعمال مصطلح (الدِّيْبَاجَةِ) إلى مُقدّمات الكتب ظاهر؛ إذْ فيها يتنمّق المُؤلّفون ويُزَيّنونها بأحسن ألوان البديع والبيان، ولأنّها أوّلُ ما يظهر من الكتاب فصارت ديباجةً له كما أنّ أوّل عضو يظهر من الإنسان، ويُنظر إليه هو وجهه فكان دِيْبَاجَة له.

وقد اُستعمِل هذا المُصطلح بكثرة في القرن التّاسع الهجري وما بعده على مُقدّمات الكتب، نحو: (اَلْإِصْلَاحُ فِي شَرْحِ دِيْبَاجَةِ اَلْمِصْبَاحِ)[٢٠] لمُحمّد بن يوسف القُونَوِيّ الرُّومي (ت ٨٦٦هـ)، وخُصوصًا في القرن الثّاني عشر الهجري، نحو: (عُقُودُ اَلدُّرَرِ عَلَى دِيْبَاجَةِ اَلْمُخْتَصَرِ)[٢١] لأبي العبّاس أحمد بن عبد الفتّاح بن يوسف المَلَوِيّ الشّافعي المصري (ت ١١٨١هــ)، وشرح دِيْباجة أمّ البراهين[٢٢] في العقائد لسُليمان بن طه الأكراشي المصري الشافعي (ت ١١٩٩هـ) وغيرها.

وأمّا المُقدِّمةُ - بكسر الدّال وقد تُفتح - فهي في اللّغة أوّل كُلّ شيء، ففي الإنسان وجهه، وفي وجهه جبهته وناصيته، ثمّ استعملت في خُطَطِ الحرب وصارت مُقدّمة الجيش أوّله[٢٣]، ثمّ استعيرت لكلّ شيء فقيل مُقدّمة الكتاب ومُقدّمة العلم[٢٤].

وهي في عُرْف المؤلّفين واصطلاح العلماء تُطلق على عدّة معان:

مقدّمة الكتاب هي الألفاظ الّتي تتقدّمه على نَسَقٍ واحد وهي خُطبته وديباجته[٢٥].

ومُقدِّمةُ العلم هي الإدراكات الّتي يتوقّف عليها إدراكات مسائل العلم، فمُقدّمة الكتاب أعمّ من مقدّمة العلم بهذا الاعتبار[٢٦].

وهي في اصطلاح المُدرِّسين أخصّ، وهي المُتُون الّتي تتقدّم مُقرّرات التّدريس والّتي على الطّالب المُبتدئ أن يحفظها وأن يتمكّن من فهمها وإدراكها قبل أن يتوغّل في العلم؛ إذ هي أوّل ما يتقدّم إليه لتَحْصُلَ له إدراكات جُزْئيّة يتدرّج منها إلى غيرها من المُطوّلات لتحصُل له بعد ذلك مَلَكة الفنّ المدروس، وهي في النّحو مثلاً عند المغاربة[٢٧] المُقدّمة الآجُرّوميّة، وفي القراءات المُقدّمة الجَزَرِيّة، وفي الفقه عند المتأخّرين نظم ابن عاشر (ت ١٠٤٠هـ)، وفي علم الكلام والعقائد المُقدّمة السّنُوسيّة، وفي المنطق مُقدّمة إيساغوجي، وهي تختلف باختلاف المذاهب والمُدرِّسين.

وإذا عُدْنا إلى كلمة (خُطبة) الّتي استعملها المؤلّف وجدناها هي الأنسب هنا؛ لأنّ الدّيباجة فيها معنى التّزْويق والاعتناء بالصّناعة اللّفظيّة والبيانيّة والبلاغيّة، وليس مراد المؤلّف هنا إيّاها، وإنّما مراده المعاني وشرح الاصطلاحات إضافة إلى فظاظة أسلوبه في هذا الكتاب وبُعْدِه عن الصّناعة، فبقي بذلك لفظتا (المُقدّمة) و(الخُطبة)، فأمّا المُقدّمة فتُوهِمُ الاشتراك بين عدّة معان كما ذكرنا، ومن ثَمَّ فغيرُ مناسب أن يكون العنوان محتويًّا على ما أوْهم الاشتراك وأوْقع في اللّبْس، وأراد المُؤلّف أن يكون عنوانه دقيقًا فاختار كلمة (خُطْبة) فهي أشمل في ضبط ما جاء في مُقدّمة ألفيّة ابن مالك (الأبيات السّبعة الأولى)؛ إذ فيها الثّناء على الله -عزّ وجلّ-، والصّلاة على النّبيّ - صلّى الله عليه وسلّم- والدّعاء، وبيان غرض التّأليف، والتّعريف بالفنّ المدروس (وهو النّحو)، فكلّ هذه الاعتبارات وغيرها جعلت من استعمال مصطلح (خُطْبة) أدقّ في عنوان الكتاب.

وأمّا كلمتا (اَلْخُلَاصَة اَلْأَلْفِيَّة) فالمُراد بها ألفيّة ابن مالك، وقد سُمّيتْ بـ (الخُلاصة)؛ لأنّه لخّصها من منظومته الكبرى (اَلْكَافِيَةِ اَلشَّافِيَةِ)، وهي نحو ثلاثة آلاف بيت، وإلى هذا أشار بقوله في ختام ألفيّته: [اَلرَّجَز]

أَوْفَـى مِـنَ اَلْـكَـافِـيَـةِ اَلْـخُـلَاصَـه
كَمَـا اِقْـتَـضَـى غِـنًـى بِـلَا خَـصَاصَه

و(الألفيّة) نسبة إلى ألف بيت من الرّجز أو ألفي شطر منها، وقد أشار المُصنّف إليها بقوله: [الرّجز]

وَأَسْـتَـعِـيـنُ اَلـلـهَ فِـي أَلْـفِـيَّـه
مَـقَـاصِـدُ الـنَّـحْـوِ بِـهَـا مَـحْـوِيَّـه

وخُلاصة الشّقّ الثّاني من العُنوان أنّه احتوى على مُصطلحات النّحو، وعلى مضامين الكتاب ومناهجه، فهو شرح على خُطبة ألفيّة ابن مالك في النّحو، فالمُرَكَّبُ المُتَكَوِّنُ من (شَرْحِ خُطْبَةِ اَلْخُلَاصَةِ اَلْأَلْفِيّةِ) دالٌّ على منهج صاحبه وهو الشّرح والانتقاء من أمّهات كتب النّحو وغيرها، والخُطْبَةُ دالّة على اقتصاره على صدر الألفيّة، والخُلاصة الألفيّة دالّة على علم النّحو، بحيث لا تحتاج إلى تقييد، بل متى ذُكرت الألفيّة توجّهت الأذهان إلى النّحو مع تعدّد الألفيّات وكثرتها في شتّى الفنون لشُهرتها وغلبة تدريسها والاعتناء بها.

وبالجملة فإنّ البحث في صياغة عناوين التّراث ودلالاتها حقلٌ خصبٌ لم يلق عناية كبيرة ودراسة موسّعة، وهي تحتاج إلى مجهود كبير بتتبّع كتب التّراث وموازنتها، مع التّفريق بين مراحل فترات التّأليف للخروج بنتائج علميّة وحقائق فنّيّة تميّز بها تراثنا عبر مختلف حقبه وأجياله المتعاقبة.

الحواشي

١ - طبع مرارًا كثيرة، أولاها في بطرسبورج سنة ١٨٥٩م (انظر: معجم المطبوعات ٢٠٢٦/٢).

٢ - طُبِعَ لأوّل مرّة بكَلْكِتَه سنة ١٨١٤م (انظر: كشف الظنون ١٣٠٦/٢، ومعجم المطبوعات ١٤٧٠/٢).

٣ - طبع في الجزائر سنة ١٩٢٣م (انظر: الأعلام، الزركلي ٣١٢/٨).

٤ - طبع بتحقيق عبد الوهّاب بن منصور بالمطبعة الملكيّة المغربيّة سنة ١٩٦٧م.

٥ - انظر: الأعلام ١٦٩/١.

٦ - طبع بالمطبعة الجديدة بالدّار البيضاء سنة ٢٠٠٢م، بتحقيق علي المنتصر الكتاني.

٧ - انظر: هديّة العارفين ٢٠/١.

٨ - انظر: نفسه ٢٥٤/١.

٩ - طبع بفاس في جزئين سنة ١٣١٤هـ (انظر: معجم المطبوعات ١٠٤٠/١).

١٠ - طُبع مرارًا أولاها بتونس سنة ١٣٢٢هـ (انظر: معجم المطبوعات ١٧٧٧/٢).

١١ - انظر: فهرس الفهارس ١٨٥/١.

١٢ - قد حقّق هذا الكتاب في إطار مشروع شهادة الدّكتوراه بجامعة الجزائر سنة ٢٠١٠.

١٣- انظر: معجم الصّحاح "نور"، ولسان العرب "نور".

١٤- انظر: القاموس المحيط، الفيروزآبادي، ص٤٠٣ (زهر).

١٥- انظر: تاج العروس "نور".

١٦- انظر: الصّحاح، الجوهري ٣٧٨/١ (شرح)، وتاج العروس، الزّبيدي ٥٠٢/٦- ٥٠٣ (شرح).

١٧- انظر: لسان العرب، ابن منظور ٣٦١/١ (خطب)، وتاج العروس ٢٧٢/٢ (خطب).

١٨- انظر: المصباح المنير، الفيومي، ص ٦٦ (خطب).

١٩- انظر: الصحاح ٣١٢/١ (دبج)، وتاج العروس ٥٤٥/٥- ٥٤٦ (دبج).

٢٠- انظر: هديّة العارفين، ٥٩/٢.

٢١- أي مختصر خليل في فروع المالكيّة (انظر: هديّة العارفين ٩٦/١).

٢٢- انظر: نفسه ٢١١/١.

٢٣- انظر: الصّحاح ٢٠٠٨/٥ (قدم)، وتاج العروس ٢٤٠/٣٣ (قدم).

٢٤ - انظر: لسان العرب ٤٦٩/١٢ (قدم)، والمصباح المنير، ص ١٨٨ (قدم).

٢٥- انظر: شرح تلخيص المفتاح، التفتازاني، ص ١٣، ١٤.

٢٦- انظر: السّرّ المَصُون على كشف الظّنون، ص ٥٨، ٥٩.

٢٧- لا أقصد بالمغاربة أهل المغرب الأقصى، وإنّما أقصد كلّ إقليم المغرب، الأدنى والأوسط والأقصى، أو ما يقابل المشرق.

المصـادر والمراجع

- الأعلام، خير الدّين الزركلي، دار العلم للملايين، بيروت، ط٥، ١٩٨٠م.
- الأنوار السّنيّة والأزهار البديعة البهيّة شرح خطبة الخلاصة الألفيّة، أبو عبد الله حمدون بن محمد بناني الفاسي، تحقيق: الحاج بنبرد، أطروحة دكتوراه، جامعة الجزائر، ٢٠١٢م.
- تاج العروس من جواهر القاموس، محمّد مرتضى الزّبيدي، تحقيق عبد السّتّار أحمد فراج مطبعة دولة الكويت، ط١، ١٩٦٥م.
- تاج اللغة وصحاح العربيّة، إسماعيل بن حمّاد الجوهري، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، ط٤، ١٩٩٠م.
- السّرّ المصون على كشف الظنون، جميل بن مصطفى العظم، تحقيق محمّد خير رمضان يوسف، دار البشائر الإسلاميّة، بيروت، ط١، ٢٠٠٤م.
- شروح التّلخيص (مختصر السّعْد على تلخيص المفتاح في البلاغة)، دار الكتب العلميّة، بيروت، د.ت.
- فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمَشْيَخات والأثبات، عبد الحيّ بن عبد الكريم الكتّاني، تحقيق إحسان عبّاس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط٢، ١٩٨٢م.
- القاموس المحيط والقاموس الوسيط لما ذهب من كلام العرب شماطيط، مجد الدّين محمّد بن يعقوب الفيروزآبادي، مكتب تحقيق التّراث بإشراف محمّد نعيم العرقسوسي، مؤسّسة الرّسالة، بيروت، ط٣، ٢٠٠٥م.
- كشف الظّنون عن أسامي الكتب والفنون، مصطفى ابن عبد الله الرّومي الشّهير بحاجي خليفة، دار إحياء التّراث العربي، بيروت، ١٩٥٥م.
- لسان العرب، أبو الفضل جمال الدّين محمّد ابن مكرم بن منظور الإفريقي، تحقيق لجنة التّراث بدار صادر، بيروت، ط٣، ١٩٩٠م.
- المصباح المُنير في غريب الشّرح الكبير، أحمد بن محمّد بن علي الفيّومي، دار الكتب العلميّة، بيروت، ١٩٩٣م.
- معجم المطبوعات العربيّة والمعرّبة، يوسف إليان سركيس، مطبعة سركيس، القاهرة، ١٩٨٢م.
- هديّة العارفين أسماء المؤلّفين وآثار المُصنّفين، إسماعيل بن مُحمّد باشا البغدادي، دار إحياء التّراث العربي، بيروت، ١٩٥٥م.



الأبعاد الجغرافية والسوسيواقتصادية للمغرب الإسلامي من خلال مخطوط رحلة الشيخ عبد الرحمن بن عمر الأموي التنيلاني إلى الحج سنة ١١٨٨هـ/ ١٧٧٤م

د.خير الدين شترة
المسيلة - الجزائر

المقدمة:

يعد أدب الرحلات الذي ولج إليه الشيخ عبد الرحمن بن عمر التنيلاني التواتي من بابه الواسع؛ (لأنه ترك لنا رحلتين متنوعتين تعدان من عيون المصادر المحلية القديمة) فنًا أدبيًا عربيًا عتيقًا يجد جذوره في رحلتي (الشتاء والصيف)؛ وإنّ أعظم رحلة يقوم بها الإنسان هي تلك الرّحلة التي تسبق مشاعرُه فيها جوارحه، وترنو إليها روحه سابقةً جسده، ويهيم بها فؤاده قبل الشُّروع فيها، ولا تجتمع هذه الصّفات إلا لقاصدي البيت العتيق للحجّ والعمرة، وتأتي أهمية كتب رحلات الحج وزيارة الحرمين من عظم فائدتها العلمية وقيمتها لدى الباحثين، فضلًا عن ارتباطها بالأماكن المقدّسة، ومن جوانب أهميتها أنّها بيان دقيق لحال المسلمين الدّينية والروحية، إضافةً إلى وصف الأوضاع السّياسية والاقتصادية والاجتماعية والعلمية؛ ونقل عادات السّكان وطبيعتهم في الأفراح والأحزان، وفيها إيضاح قيمة الأدب ومبلغه، كما أنّها تخبر عن أمن الطريق إلى الحج عبر العصور، وقد تلمح إلى جهاد المسلمين وشؤونهم العسكرية، ...وإلى غير ذلك من الفوائد والفرائد.

وفي مساهمتنا المتواضعة هذه نريد أن نسهم في التأريخ لأدب الرحلات الحجية في إقليم توات بالجنوب الجزائري على الخصوص وبالمغرب الأوسط على العموم، ولا نريد لإسهامنا هذا أن يتوخى سبيل الإحصاء والاستقصاء لمتن هذه الرحلة الحجية بتفاصيلها، ففي الإمكان أن يقف القارئ على ذلك عند الدراسات التاريخية والأدبية السابقة ولها فضلًا عن فضيلة السبق مزية الاستقراء الشامل ما يكاد يكون كذلك، بل نطلب التماس تقريب صورة هذه الرحلة من خلال التركيز على بعض ما قد يفيد الباحث المختص في المجال

الجغرافي والتاريخي والأنثربولوجي...

وأهمية هذا الموضوع تكمن في قيمة المخطوط بحدّ ذاته، إذ يعد من أهم المصادر المحلية التي سلّطت الضوء على الحياة العلمية في توات وغيرها من الأقطار الإسلامية وعلاقتها بالأقاليم المجاورة كحواضر المغرب الإسلامي؛ حيث ترصد هذه الوثيقة المخطوطة نموذجًا حيًا عن النشاط العلمي والديني والاجتماعي والاقتصادي...في مختلف المراكز والمدن الفاعلة وقتذاك، إضافة إلى رصدها لصورة التفاعل العلمي والتواصل الحضاري (المحلي) الحاصل بين هذه المناطق والمراكز النشطة في توات خلال تلك الفترة، وكمحاولة للفت انتباه المؤرخين والأدباء وذوي الاختصاص إلى أهمية هذه الرحلة جاءت فكرة الاستفادة من هذه المخطوطة النادرة التي تتحدث عن وقائع شاملة وحقائق يندر أن تعثر لها على شبيه في عصرها - قلت وكمحاولة لذلك- ارتأيت معالجة بعض جوانب المخطوط بعد العناية به وتحقيقه في موضوع عنوانه: **الأبعاد الجغرافية والسوسيو اقتصادية للمغرب الإسلامي من خلال مخطوط رحلة الشيخ عبد الرحمن بن عمر الأموي التنيلاني إلى الحج سنة ١١٨٨هـ/ ١٧٧٤م.**

١. لمحة من حياة الشيخ عبد الرحمن بن عمر التنيلاني:

تميّز الشيخ عبد الرحمن بن عمر التنيلاني عن غيره من علماء عصره لشهرته ومكانته العلمية بين المترجمين بتراجم متنوعة قديمًا وحديثًا، وقد حاول من خلالها هؤلاء نفض الغبار عن الوزن العلمي الحقيقي الذي تبوّأه هذا الفذ في عصره، ولازالت التراجم والدراسات المعاصرة تكشف عن منهجه الشرعي في الإفتاء وقدرته العلمية على الاجتهاد مما يوحي بأن مؤلف الرحلة كان قد أخذ بناصية العديد من المجالات العلمية ومتملكًا للكفاءة العلمية بها وبخاصة مجالات إبداعاته وتخصصاته، وهي العلوم الشرعية واللغوية.

نسبه يمتد إلى بني أمية من قريش[١]، وسلسلة التنيلانيين المشجرة منقولة من مكتبة خاصة بأحفاد الشيخ أحمد بن يوسف مؤسس تنيلان[٢]، وهذا هو المحقق والمضبوط في وثائقهم وفي مؤلفاتهم، وقد عثر على وثيقة بخط بعض من العلماء منهم الشيخ محمد عبد الكريم بن محمد التواتي بأن نسبهم يرجع إلى السيد الحسن بن علي، وصحّح ذلك الشيخ محمد عبد الحق بن القاضي محمد عبد الكريم، والسيد محمد عبد العزيز بن محمد بن عبد الرحمن البلبالي، ومحمد عبد الكريم بن محمد بن عبد المالك البلبالي، والسيد محمد بن أحمد الحبيب البلبالي وغيرهم. قال الشيخ باي بلعالم: "ولعل أن يكون تكرار في هذا العمود النسبي، وهذه السلسلة منقولة من مكتبة حفدة السيد أحمد بن يوسف مؤسس تنيلان، هذا هو المحقق والمضبوط في وثائقهم وفي مؤلفاتهم"[٣].

غير أن عالم توات الشيخ عبد الكريم بن محمد التمنطيطي أحد شيوخ أحمد بن يوسف مؤسس "زاوية تنيلان"، فقد قال: "أن نسبه معروف وصِنوه أحمد بن يوسف يرجع إلى السيد الحسن بن سيدنا علي بن أبي طالب"[٤] ونصّ ما قال: "ثبت لدينا ثبوتًا كافيًا لا مزيد عليه أن الوجيه الأغرّ السيد الحاج معروف بن السيد العلوي الباهر وانه من ذرية الشريف سيدي يوسف الحسني الثابت النسب بغير نزاع، فيجب على الواقف على هذا أن يلاحظه بعين الاحترام وأن يعامله بالتبجيل والإعظام"[٥].

ولد الشيخ عبد الرحمن بن عمر التنيلاني

بإحدى قصور غربي مقاطعة تيمي المعروفة بتنيلان[6] والواقعة حاليًا شمال مدينة أدرار (الجنوب الجزائري) وتبعد عنها بـ٢٠كلم، وهي التي أسّسها أحمد بن يوسف التنيلاني في سنة ١٠٧٨هـ/١٦٦٧م[7]، وجعل التادمكي محمد الأمين الأنصاري مسقط رأسه في قرية "أدغا"[8] لكن من المشهور أن أدغا درّس بها وكانت دار مستقره ومقامه[9]، ولقد اختلف المؤرخون حول السنة التي ولد فيها بالتحديد، فمنهم من يرى بأنه ولد في سنة ١١٢٠هـ/١٧٠٨م ويؤيد ذلك مزيلخ عاشور، وذلك في إحدى مقالاته التي كتبها في (مجلة التراث العربي)، مستعينًا بمجموعة من الأدلة أوردها وحاول من خلالها أن يثبت ذلك[10] أما التادمكي يَردُّ مولده إلى سنة١١٢١هـ/١٧٠٩م، لكنه لا يشير إلى المصدر الذي حصل منه على هذه المعلومة المهمة عن الشيخ[11]، والتي لم تشر إليها المصادر القريبة منه-أي الشيخ- على الرغم من اهتمامهم بالترجمة، وهذا الأمر ليس فقط مع الشيخ وإنما هي ظاهرة شملت معظم تراجم الشيوخ، ورجّح الشيخ باي بلعالم هذا القول بناءً على تقديرات اجتهادية[12]، كما أنه عُثر على إحدى الوثائق التي تثبت بأن هذه السنة هي سنة ولادة الشيخ مكتوبة على إحدى المصاحف القرآنية والموجودة في خزانة مولاي علي سليماني وبذلك يزول الإشكال والغموض عن سنة ولادة الشيخ[13].

لُقب الشيخ بالعديد من الألقاب منها: **شيخ الشيوخ**[14]، **وعالم الأعلام: ومنبر الفيض والرسوخ ومرشد الإسلام**[15]، **والتواتي**[16]، **والتنيلاني**[17]، وعرف الشيخ عبد الرحمن بن عمر عبر مساره الدراسي ثلاث مراحل أساسية قد تكون بمثابة الأطوار المتعارف عليها الآن، يمكن أن نلمس ذلك من خلال تتبع تنقلاته ورحلاته العلمية من قطر إلى قطر بحثًا عما يُشفي غليله وطموحاته العلمية اللامحدودة بقطر معين أو بشيوخ معهودين، والتي كانت تفوق المستوى الأعلى في المنطقة، ومن أجل إشباع ذلك كان لزامًا عليه أن يغادر وطنه إلى حيث يجد ضالته ومأربه العلمي وغايته المنشودة، وقد تحقق له ذلك في الأقطار العلمية المجاورة.

تلقى تعليمه الأول بحفظ القرآن في زوايا مسقط رأسه على يد الشيخ "أبي حفص عمر بن عبد القادر التنيلاني" وعلى عادة أهل توات أنهم يفتتحون دارستهم الأولى بحفظ كتاب الله[18]، تيمنًا به وتقديسًا له على الكتب والعلوم الأخرى، وبعد حفظه انتقل إلى دراسة العلوم الشرعية الأخرى وفق ما تقتضيه المناهج في المنظومة التعليمية بالإقليم؛ حيث درس (صحيح البخاري) و(شمائل الترمذي) وكتاب (الشفا) للقاضي عياض، وبعض مظان فقه مالك وغيرها من المصنفات[19]، ولما أتمّ ذلك تحرّكت همّته نحو الشيوخ: عبد الرحمن الجنتوري، وابن أب المزمري، وعمر بن محمد بن مصطفى الرقادي الكنتي[20] فأخذ عنهم صنوفًا عدة من العلوم كـ(المرشد المعين) و(الدرر اللوامع) و(الأجرومية)[21]، والصغرى و(القرطبية) وبعض الأجزاء من (ألفية ابن مالك)[22]، وباستكمال ذلك يكون قد أحاط بمجمل العلوم الموجودة في المنطقة؛ لأن هؤلاء العلماء هم رواد التعليم في المنطقة التواتية في المنتصف الأول من القرن الثامن عشر، وبذلك ينتهي الطور الأول من المسار التعليمي إلا أن الطور الثاني كان يستلزم منه السفر إلى خارج أرضه ووطنه.

وصاحب الشيخ في مقصده العلمي بالتكرور شيخه عمر الرقادي الكنتي وكانت أول محطة لهما فيها: مدينة تودن[23] وأروان[24] التي التقي

فيها بالشيخ "أبو العباس سيدي أحمد بن الصالح السوفي التكروري"[٢٥]، والشيخ "طالبن بن السيد الوافي بن طالبن بن السيد الصالح[٢٦] وتم النفع بهما والتحصيل على بعض المصنفات اللغوية مثل: (الخزرجية في علم العروض)، لكنه لم يعمر طويلا في بلاد التكرور[٢٧] ففي سنة (١١٦٨هـ/١٧٥٤م) سافر إلى سجلماسة للتمكّن وإتقان فنون التجويد ورواياته لشهرة هذه المنطقة بذلك، فأخذ عن جملة من علمائها المتخصصين في هذا العلم أوردهم في (فهرسة شيوخه) كان أولهم "الشيخ الحاج عبد الرحمن بن محمد التواتي التماوي"[٢٨]، ومنهم كذلك الفقيه "محمد ابن علي بن محمد ابن إبراهيم الدرعي"[٢٩] الذي أخذ عنه الكثير من العلوم، وهو من أكثر شيوخه أخذًا، ومن بين المشايخ كذلك نجد: "محمد المكّي ابن الصالح السجلماسي"[٣٠]، و"الشيخ صالح ابن محمد الغماري"[٣١] وآخر شيوخه حسب تعدادهم في الفهرسة هو الشيخ "أبو العباس أحمد بن عبد العزيز الهلالي"[٣٢]

وعن نشاطه العلمي والديني تقلّد الشيخ في كل حياته ثلاث مهمات وتحمّل مسؤوليتهم بكل حزم ولم يُفرِّط فيهم؛ هذا بالإضافة إلى أنشطته الخاصة من تأليف وتدوين للكتب وغيرها، وهي: القضاء والتدريس والإفتاء.

فبالنسبة للتدريس اختار الشيخ قرية "ادغا" كمحطة علمية؛ لانطلاقة حياته التعليمية والتدريسية[٣٣] ثم بعد ذلك هام في عدد من أقطار توات الكبرى مدرسًا لمختلف العلوم والفنون، كما تقلّد الشيخ منصب القضاء بعدما عرض عليه من طرف القاضي عبد الحق بن عبد الكريم ابن البكري التمنطيطي الذي كان يعتمد فتواه، واشتهر بعدله ونزاهته ووقوفه الكامل مع الحق، وقاده انصياعه للحق إلى تأسيس مجلس شوري هو الأول من نوعه في توات، ومن تواضعه أنه كان يقبل النصيحة[٣٤]، فكان هذا المجلس الشورى متكون من أربعة علماء هم من أكبر علماء توات، وعلى رأسهم الشيخ عبد الرحمن بن عمر التنيلاني[٣٥]، ومن مهام هذا المجلس إمداد القاضي عبد الحق بالرأي السديد، والنظر في الأحكام التي يصدرها[٣٦]، وهذا ما يؤكد أن الشيخ كان مستقلًا للقضاء واعيًا بمسؤولية القاضي.

أما المهمة الثالثة فهي تصدّره للإفتاء؛ فمنذ إتمام مساره الدراسي وعودته إلى مسقط رأسه كان يفتي كل من قدم إليه دون تعصبٍ أو تقصير، ومن ثم كان الإقبال عليه شديدًا، وقد دُوّنت هذه الفتاوى وما زالت محفوظة في الخزائن التواتية من أجل الاستشهاد بها والاستفادة منها، وقد وردت في المصادر المخطوطة نبذ من حياته العلمية ودوره الدعوي في القطر التواتي، من ذلك ما أورده صاحب (جوهرة المعاني) الذي نعته بـ "..منتهى رياسة الفقه بالديار الصحراوية..."، وأوصله إلى درجة الاجتهاد؛ حيث قال: "..وكان من مجتهدي وقته في المذهب المالكي ..."[٣٧]، وما يرجح هذا القول هو أن مخطوط (غُنية المقتصد السائل) والذي هو المرجع الفقهي الأساس في الديار التواتية من استشاراته وإجاباته عن النوازل[٣٨] كما أخذت فتاواه القسط الوافر من مخطوطي (الجامع) و(غاية الأماني في أجوبة أبي زيد التنيلاني) واللذيْن جمعهما الشيخ محمد عبد الكريم بن عبد الملك البلبالي الأنصاري[٣٩].

كما أن الشيخ توفرت فيه ضوابط وشروط الاجتهاد والإفتاء وبخاصة، أن مساره الدراسي حافل بالدراسات الفقهية والأصولية وما اختصاره لكتاب (النوادر) الفقهي وإعجابه بوريقات إمام

الحرمين الأصولي إلا دليل واضح على ذلك، وقد شهد معاصروه بقدرته الاجتهادية في استنباط الأحكام وأصبح مقصد العام والخاص بل وحتى القاضي نفسه الذي كان يحكم بفتاوى الشيخ[١٠]، حاول جمعها وتدوينها الشيخ محمد عبد الكريم ابن عبد الملك البلبالي في كتابه (الجامع لفتاوى أبو زيد التنيلاني)[١١] وكتابه الثاني (غاية الأماني في أجوبة أبي زيد التنيلاني) الذي اقتصر فيه على جمع الفتاوى الخاصة بتوات فقط[١٢]، كما توجد بعض فتاوى الشيخ في خزانة برينكان بتسابيت[١٣]، وقد أشار إلى ذلك الشيخ أحمد بن محمد بن حسان عريان الرأس.

وعن نشاطه التأليفي يعد الشيخ عبد الرحمن ابن عمر التنيلاني من المشتهرين بالتأليف، ومن الموسوعيين الذين تعددت مؤلفاتهم لتشمل صنوف كثيرة من العلم. فقد ألّف الشيخ في اللغة والفقه وأدب الرحلة، ومن بين مؤلفاته: (**مجموعة تقاييد وفتاوى**) جمعها محمد بن عبد الكريم البلبالي في كتابه (الجامع وغاية الأماني في أجوبة أبي زيد التنيلاني)[١٤]، و(**مختصر السمين في إعراب الكتاب المكنون**)، وهو اختصار لكتاب ألّفه شهاب الدين أبو العباس أحمد بن يوسف النحوي الشافعي الحلبي المعروف بالسمين ومحوره هو إعراب القرآن الكريم[١٥]، و(**مختصر النوادر**)[١٦]، وهو كتاب في الفقه نسخة تلميذه محمد بن مالك القبلوي يشمل أمور العبادات والمعاملات كالصلاة والصيام والبيوع والمغارسة، **وفهرسة شيوخه**: ترجم فيها لشيوخه وتلاميذه ورحلاته العلمية[١٧]، بالإضافة إلى (**أرجوزة مدح فيها تأليف إمام الحرمين**) المسمّى بالورقات وشرح الخطاب[١٨]، و(**تقريظ على نظم الآجرومية لابن أبّ المزمري**)[١٩]، بالإضافة إلى **رحلته الحجازية** (**موضوع الدراسة**) التي تعد من أجلّ ما ألّف في فن أدب الرحلة في البلاد التواتية.

توفي الشيخ عبد الرحمن بن عمر التنيلاني في القاهرة أثناء طريق العودة من البقاع المقدسة؛ حيث كانت وفاته طلوع فجر يوم التاسع والعشرين من صفر عام تسعة وثمانين ومائة وألف [١١٨٩هـ -١٧٦٥م]، وفي ذلك يقول الشيخ سيدي محمد ابن المبروك البداوي[٥٠]: "كانت جنازته مشهودة؛ حيث حضرها خلق كثير من سكان القاهرة وصلى عليه العالم المصري الكبير "السيد عبد المجيد بن محمود"، ودفن بمقبرة السيد عبد الله المنوفي"[٥١].

٢. التعريف بالمخطوط:

أ- نسبة المخطوط إلى صاحبه: يتضح لنا من خلال واجهة النسختين أن المخطوط يُنسب للشيخ عبد الرحمن بن عمر التنيلاني، ففي مطلع كليهما يتم التصريح أن هذه الرحلة لصاحبها الشيخ عبد الرحمن ابن عمر التنيلاني، فمثلًا نجد بعد البسملة عبارة: "... هذه رحلة شيخنا ... سيدي عبد الرحمن التنيلاني رحمة الله عليه ورضي عنه آمين ..."، ولقد حاولتُ إيجاد هذه النسبة في بعض كُتبه التي أُثبتت نسبتها إلى الشيخ مثل: "الفهرسة" وغيرها من الكتب، إلا أن هذه الكتب لا تحتوي على هذه النسبة سواءً أفي مضمونها أم في هوامشها، ويعود السبب في عدم ذكره هذه النسبة في مؤلفاته، إلى أن الرحلة هي آخر شيء ألفه الشيخ قبل وفاته، أما الذين أعادوا نسخ كتبه من بعده من أبنائه وتلامذته لم يتعرضوا لها في الكُتب التي نسخوها ولا في مؤلفاتهم، كما أني حاولتُ جاهدًا أن أجدها في بعض المصادر التي يعود تاريخها إلى بعد وفاة المؤلف سواءً أكانت مخطوطة أم مطبوعة، ومن أبرزها تلك المخطوطات التي ترجمت للشيخ

مثل: الدُّرة الفاخرة[52]، وجوهرة المعاني[53]، ودُرة الأقلام[54]، كلها لا تشير إلى ذلك؛ لأن أصحاب الترجمة في توات نادرًا ما يدرجون الأعمال التأليفية ضمن تراجمهم إلا في الفترات المتأخرة، على الرغم من ازدهارها عندهم، وتأكيدًا لهذه النسبة لا وجود لأي عالم تبنى هذه الرحلة سوى عبد الرحمن ابن عمر التنيلاني، وهذا ما أجمعت عليه جل المؤلفات الحديثة الصدور، والتي ترجمت له أو لأعلام المنطقة، نخصُّ منها بالذكر كتاب (الغصن الدّاني في ترجمة عبد الرحمن بن عمر التنيلاني) لمؤلفه الشيخ باي بلعالم[55].

ب- **عنوان المخطوط**: من المعلوم أن الشيخ توفي قبل إتمام هذه الرحلة، ولهذا فإن ترتيبها وجعلها في الشكل الذي هي عليه الآن، وحتى عنونتها برحلة عبد الرحمن بن عمر التنيلاني في مطلع كل نسخة[56]، يعود ذلك في الأرجح إلى النُّساخ ولهذا اقتصروا فقط على هذا العنوان دون غيره - كما كان التواتيون يُعنونون رحلاتهم بالحجازية[57] - تجنبًا للإضافة؛ أي شيء إلى المخطوط الأمر الذي يتنافى ومهنة النسخ.

أما محتوى المخطوط فإنه يؤكد ويطابق ما جاء في العنوان؛ حيث إن وظيفة الرحلة وغرضها ومقصدها البقاع المقدسة، وهو ما نلمسه من خلال دراستنا للرحلة، ويكفي أن نطلق اسم رحلة إذا ما توفر في هذا المخطوط شرطًا واحدًا يوضحه لنا هذا التعريف: "إن الرحلة هي أنباء عن ذهنية الرحّالة وتصوير لمكنونات الوعي الثقافي عنده أكثر مما هي حديث عن البلد موضع المشاهدة أو أخبار عن القوم..."[58]، ومن ثم فإن مستوى الوعي الثقافي للرحالة من خلال الرحلة يتجلى لنا في حرصه الشديد على ذكر المستوى الثقافي للشعوب، فلو لم يكن ذو صبغة ثقافية لما اهتم بذلك، ويتضح كذلك من خلال الانتقادات التي كان يتوجه بها إلى بعض المناطق وسكانها بحيث أنه لم يكن يتقبل كل شيء، وبخاصة في مجال تخصصه -المجال الديني- مثل: انتقاد سكان قرية زويلة في معتقداتهم[59]، كما أن الرحلة التواتية في هذه الفترة -القرن الثاني عشر- شهدت تداخلًا وامتزاجًا بينها وبين الفهرسة مثل: (فهرسة عبد الرحمن بن عمر التنيلاني)، و(فهرسة عمر بن عبد القادر التواتي)[60]، إلا أن هذه الرحلة خلت من كل التراجم والسير واتضحت فيها معالم الرحلة التي لم تكن في غيرها من الرحلات التواتية، واكتسبت بعدًا آخر[61]، فهي رحلة بكل المواصفات كما ورد في العنوان.

ت- **تاريخ تأليف المخطوط**: إن التاريخ الذي أُلفت فيه الرحلة غيرُ واضح من خلال النسختين سواءً أفي مطلعهما أم في آخرهما، مع العلم أن النسخة الأولى في آخر صفحة توجد بها كلمة "عام"[62] وما بعدها غير موجود مما يدلُّ على أن التاريخ كان موجودًا بها، أما النسخة الثانية فلم يرد بها التاريخ بتاتًا، مثل عامة النّساخ التواتيين الأمر الذي يستدعي منا أن نضع الاحتمالات الممكنة قصد الوصول إلى المطلوب، وهو إيجاد تاريخ افتراضي للرحلة، ومن أهم هذه الاحتمالات الممكنة: أكان المؤلف كلّما مرّ على منطقة منذ خروجه يصفها ويدوّن كل ما شاهده من الأماكن والمناظر..؟ أم أنه ترك ذلك إلى غاية وصوله إلى الحجّ واستراحته في البقاع المقدسة، وربما قد يكون ذلك عند دخوله القاهرة...؟، وهذين الاحتمالين الأخيرين لم أوردهما اعتباطًا، وإنما كثيرًا ما كان الرحّالة القدامى يُعوّلون على الحفظ لذلك كانت كتاباتهم تَذكُّرًا واسترجاعًا لوقائع ومشاهدات مضى عليها زمن طويل[63]، كل هذه

الاحتمالات ممكنة لعدم تصريح المؤلف بالتاريخ الحقيقي لتأليفه، ومن خلال هذه استشهاداته الدقيقة يمكننا أن نحكم بأن الرحلة دُوّنت عبر الطريق، فبداية تأليف الرحلة هو بداية انطلاقها من مسقط رأس الشيخ (تنيلان) في ١٠ جمادى الأخيرة ١١٨٨هـ، وإنهاء التأليف يكون عند وفاة الشيخ بالقاهرة، وهو في ٢٩ صفر ١١٨٩هـ، أما عن المدة التي أُلّفت فيها الرحلة فهي مدة سير الرحلة (٢٣١ يومًا)؛ أي سبعة أشهر قمرية و٢٤ يومًا.

ت - وصف النُّسخ وترجمة النُّساخ:

توفرت لدينا عدة نسخ من الرحلة المدروسة، وهذا بعد البحث في معظم الخزائن التواتية والمكتبات العامة والخاصة سواءٌ أفي الجزائر أم غيرها من الأقطار المجاورة، والتي تحتوي على مخطوطات تواتية أو التي اهتم أربابها بجمع مؤلفات الشيخ، وكانت البداية بخزانة مولاي علي سليماني "الادغاغي"[٦٤]، وخزانة الشيخ باي بلعالم-رحمه الله[٦٥] الذي اهتم بالمخطوطات التواتية عامة ومخطوطات عبد الرحمن بن عمر التنيلاني التواتي بخاصة، ولم نقف عند هذا الحد بل تتبعنا فهارس المؤلفات التي اعتمدت الرحلة كمصدر لها، ويكاد كلهم يجزمون بوجود نسختين للمخطوط فقط، وهما المتحصّل عليهما أما عدا ذلك فهو صورة له لا غير، وتجنبًا للالتباس بين هاتين النسختين في إطار الوصف والمقاربة، رمزنا للأولى، وهي الأقدم والأكثر اعتمادًا في الدراسة بالرمز (ن١) أما الثانية وضعنا لها (ن٢).

النسخة الأولى[٦٦] وناسخها الشيخ سيد المحفوظ بن محمد بن سالم[٦٧]، تمّ الحصول عليها من خزانة أبي عبد الله بأدرار[٦٨]، وهي بخط الناسخ الأصلي وتوجد لها نسخ مصورة في كل من خزانة تمنطيط، وخزانة مولاي علي سليمان الادغاغي.. وغيرهما، وقد تكون على أكثر تقدير هذه النسخة هي الأصلية (**عدد أوراقها**: ٢٠ صفحة، **متوسط مسطرتها**: يتراوح بين (١٦-٢٠) سطرًا، **مقياسها**: الطول: يتراوح بين ١٧سم و١٦سم / العرض: بين ١٢سم، ١١سم، **متوسط عدد الكلمات في كل سطر**: ما يزيد أو ينقص عن ١٠ كلمات، **نوع الخط**: مغربي ذو حجم كبير، **لون الخط**: بني من لون السمغ الذي يستخدم في المِدْوَاة، وهو لون مداد ذلك العصر.

استهلها المؤلف بالحمد لله الذي فرض على المكلفين حجَّ بيته الحرام وغفر ذنوب من حجه، ثم شكر الله على أن وفّقه لأداء فريضة الحج؛ حيث يقول: "...وأشكره على ما منحنا من التوفيق..."[٦٩] وثنى بالصلاة والسلام على رسول الله ﷺ ثم شرع في تبيان أسباب الرحلة، النسخة غير تامة وإنما تقف: "...عند أعمدة مبنية علامة على الطريق بين كل عمودين فرسخ..."[٧٠]، وتوجد بها صفحتين، المكتوب فيهما يدلُ على أنهما عند العودة وعباراتهما مبهمة وغير واضحة لعدم وجود الربط بينهما، وأما كتابة النسخة سليمة من حيث الأخطاء اللغوية عدا بعض الألفاظ القليلة، والتي في أغلبها هي مصطلحات بالرسم القرآني وليست أخطاء، وهذه النسخة جوانبها متآكلة وممزقة، ولهذا لم أعتمد عليها بشكل تام على الرغم من أنها الأقدم والأقرب إلى عصر المؤلف، وهي محفوظة داخل حاوية مع بعض المخطوطات الأخرى[٧١].

النسخة الثانية وناسخها الشيخ الوليد بن الوليد[٧٢]، تحصّلنا على هذه النسخة من خزانة أبي عبد الله بأدرار والتصويبات والإضافات الموجودة فيها تدلُ على أنه نسخها من نسخة غير النسخة

السابقة الذكر[73] أو أنه اعتمد عليها وأكمل الباقي من نسخة أخرى، وممّا يُرجح الاحتمال الثاني هو التشابه الموجود بينهما بخاصة في الحواشي. عدد أوراقها: تسع ورقات من الحجم الكبير العادي مثل: الورق المتوفر الآن، متوسط مسطرتها: يتراوح مابين ٢٠ إلى ٢٣ سطرًا، مقياسها: الطول: ٢٨سم/ العرض: ٢١,٥سم، متوسط عدد الكلمات في كل سطر: يتفاوت مابين ١٠الى١٢ كلمة، نوع الخط: عادي يشبه خطوط المدرسين في الكتاتيب اليوم ويميل إلى الخط المغربي.

افتتح الناسخ هذه الرحلة بالبسملة وعنوان الرحلة، ثم شرع في الحمد والشكر لله وثنى بالصلاة والسلام على رسول الله ﷺ وبعدها بدأ في إيضاح أسباب الرحلة وانطلاقتها ليسترسل في الأحداث إلى أن وصل إلى الحج وبعد العودة منه وافته المنية في القاهرة، اعتمَدتُ عليها في إتمام ما نَقُص أو ما استشكل في النسخة الأولى بخاصة في الزيادة التي امتازت بها هذه النسخة عن النسخة الأولى في آخرها من قول المؤلف: "..عند أعمدة مبنية علامة على الطريق بين كل عمودين فرسخ" إلى آخر الرحلة[74].

النسخة بها إسقاطات كبيرة مثل: "... ماء في جنبي الجبل عن يمين الذاهب يسمى جلكم..." إلى عبارة: "...ونزلنا بمحل الركب ظهرًا وذلك ليوم السبت ١٦ من شعبان..."، والفاصل بين العبارتين هو ما يعادل أربعة صفحات بالنسخة الأولى[75]، وهناك إسقاط آخر بين: "...وبتنا في قرية سوى ... إلى بندر عجرود..."، والفاصل بينهما ما يعادل ثلاث صفحات ونصف من النسخة الأولى[76] وكل هذه الإسقاطات موضحة بشكل تام في الهوامش بالنسبة لقسم التحقيق، إلا أن هذه الإسقاطات توجد بين آخر كلمة في الصفحة التي يوجد بها الإسقاط، وأول كلمة في الصفحة الموالية لها، وقد حاولنا إيجاد هذه الأوراق لكن تعذر ذلك، وحتى الصور المطابقة لهذه النسخة والمتوفرة في خزانات أخرى تجدها على نفس شاكلة النسخة الأم، مما يدلُّ على أن هذه الإسقاطات منذ فترة بعيدة؛ أي قبل الاستنساخ الحديث لهذه الصور.. والنسخة ليس بها؛ أي تمزيق أو تقطيع أو خروم، بل هي في شكل حسن، محفوظة داخل حاوية مع مخطوطات أخرى، إن النص المعتمد في قسم التحقيق هو نسخة ثالثة مستخلصة من النسختين ويجوز ذلك عند المحققين والمؤرخين الأوائل والمعاصرين، ويعرف هذا في مصطلحاتهم العلمية والمنهجية باسم "التلفيق بين النُسخ"، إلا أنهم يُرجحون طريقة المحدِّثين والأكثر أمانًا في التحقيق، وهي الاعتماد على النسخة الأصلية أو القريبة من عصر المؤلف[77].

ج - وصف محتوى الرحلة:

• **ديباجة الكتاب**: استهلَّ المؤلف رحلته بمقدمة مسجوعة؛ حيث حمَد الله في أوَّلها على توفيقه لأداء فريضة الحج وأثنى بالصلاة على النبي ﷺ، اقتداءً وتيمنًا بحديث الرسول ﷺ عن أبي هريرة ﷺ: ﴿كُلُّ كَلام لاَ يَبْدَأُ بِالحَمْدُ لله فَهُو أَجْذَمْ﴾[78].

• **دوافع الرحلة**: وبعدها شرع في تبيان السبب الذي كان وراء الرحلة وحدَّدهما في سببين مباشرين هما: تَحرّك همَّة الأخوين: (سيدي عومر ابن سيدي عبد الرحمان) وابن عمه (إدريس بن سيدي عومر) لأداء فريضة الحج، وحرص الشيخ عبد الرحمن ابن عمر في البحث عن مرافقة إلى البقاع المقدسة، ففي سنة ١١٨٧هـ / ١٧٧٣م دعا عبد الرحمن بن عمر أهل توات إلى الذهاب إلى الحج وبعث تلميذه أبي عبد الله الفلاني إلى تيديكلت يعلم الفُلانيين[79] بالاستعداد لهذه

الرحلة ويبدو أن عبد الرحمن بن عمر كان شيخ ركب الحجيج في ذلك الوقت؛ حيث جاء في رسالته إلى فلان: "...البررة الفلانيين الأطهار وحفظنا وإياكم من يعرف الليل والنهار...من أراد أن يداين ربه فليتهيأ لزيارة النبي المختار وله إن شاء الله بحمد عافيته في دار القرار"[٨٠].

• مسار الرحلة:

*** انطلاق الرحلة**: انطلقت الرحلة يوم الجمعة (١٠ جمادى الآخر سنة ١١٨٨هـ/ ١٧٧٤م مساءً؛ حيث يقول في مطلع رحلته: "خرجنا من بلادنا يوم..."، بعد توديع الأهل والأحباب في (تنيلان)، ومغادرتها ليحطّ الركبُ في (تمنطيط) عند الاصفرار قصد التزوُّد وشراء مستلزمات السّفر من أسواقها والمبيت فيها، وقد تكفّل بمصاريف الرحلة كل من الشيخين عمر بن عبد الرحمن المهداوي[٨١] وابن عمه إدريس بن عمر"[٨٢].

*** مرحلة الصحراء الجزائرية (٦٥ يومًا)** (الجمعة ١٠ جمادى الأخير١١٨٨هـ الموافق لـ١٩ أوت ١٧٧٤م- السبت ١٦ شعبان ١١٨٨هـ الموافق لـ١٩ أكتوبر ١٧٧٤م): وفي الصباح اتجهت الرحلة صوب الشمال الشرقي لتوات الوسطى، وقبل بلوغ الحدود الشرقية من توات الوسطى انحرفت الرحلة عن مسارها وأخذت طريقها من قرية "بوعلي" الواقعة في وسط توات الوسطى إلى بلاد تيدكلت(توات الشرقية) التي طال المكوث فيها أكثر من أسبوع؛ نظرًا لحسن الضيافة وحفاوة الاستقبال من طرف أهالي تلك المناطق، ومنها (زاوية أبي نعامة)؛ حيث أورد أنه هو من أحيا فريضة الحج من بلاد توات والتكرور[٨٣]، فهي كانت مهجورة قبل هذا التاريخ وكذلك محطة "زاوية سيد أبي الأنوار" و"أولف الأشراف" ثم "أقبلي"، وبعد الانتهاء من بلاد توات توجه الركب إلى (عين صالح) عبر طريق الغابة[٨٤]، ودخلها الركب يوم ١رجب ١١٨٨هـ وأقاموا فيها إلى يوم (٠٥ رجب ١١٨٨هـ) وأشار الشيخ إلى حسن الاستقبال الذي حضي به من أعيان عين صالح منهم "سيدي أحمد ابن الفقيه" و"الحاج إبراهيم" و"السيد محمد بن الحاج" و"الحاج عبد الله" من أولاد الحاج.

ركّز الشيخ في المسلك الرابط بين عين صالح - وآبار على ذكر الكثير من الملامح والأوصاف الجغرافية والطبيعية التي كانت سائدة آنذاك، وقد يكون دافعه في ذلك أنها كانت مقفرة من السكان نقيض الطريق الأخرى الممتدة بين آبار (أول قرى فزان) إلى ريف مصر التي اهتم فيها بوصف المدن والقرى والمداشر، وقد يعود ذلك إلى كثرة العمران عبر المسلك وكثافة الوجود السكاني فيها، ومن أهم المدن والقرى التي أشار إليها المؤلف، وهي كالآتي حسب التسلسل الجغرافي لها من الغرب إلى الشرق (آبار- قرية أجم- قرية تساوي؛ وتأتي هذه القرية بعد ذكر مجموعة من القرى التي أوردها المؤلف ذكرًا لا وصفًا ومنها "قرية أوتش"، و"قرية أبريا"، و"قرية أمتو نتريك"، "قرية تكركيب"، هذه الأخيرة التي التقى فيها الركبان التواتيون الذاهب والعائد.

*** مرحلة الصحراء الليبية (٦٥ يومًا)** (السبت ١٦ شعبان ١١٨٨هـ الموافق لـ١٩ أكتوبر ١٧٧٤م- الأحد ٢١شوال ١١٨٨هـ الموافق لـ ١٤ ديسمبر ١٧٧٤م)، كانت البداية بقرية (مرزق) ثم قرية (انزغن) ثم قرية (زويلة) (ومن أهم المناطق التي ذكرها في رحلته: (أم الأفاعي)، و(قرية تمس)، و(طريق الهاروج)[٨٥] بنوعيه الأبيض والأسود وفيه أحجار والتواءات وطلوع، وهبوط إلى أن يصل الركب إلى (ماء زلطا) الذي توجد به مرارة ومنه إلى قرية (أوجلة)، و(قرية جلو)، وهي أخصاص

مبنية بالجريد لا جدار فيها إلا مخازن للتمر ووصف نخلها بالجيد ويشبه نخل قرية انزغن، وبعد هذه القرية يأتي على ذكر بعض المناطق والأماكن قبل الوصول إلى قرية (سوى)، وهي (القرود) التي وصفها بأنها رحال منها موضع يسمى (الصنك) وآخر يسمى (لم الألواح) بالإضافة إلى (خطية الجوداوى)، و(خطية الككم) وغيرها من الأماكن والمناطق إلى أن يصل الركب إلى قرية (سوى). و(قرية أم الصغير): يفصل بين هذه القرية وبين (سوى) و(واد أم هموا)، كما أشار المؤلف في هذا الجزء من مسار رحلته إلى العديد من منابع المياه الموجودة في هذا الطريق ومنها: (ماء زلطا) الذي توجد به مرارة، و(واد قطمير)، و(واد الطرفاوي) "ومائه فيه ملوحة"[٨٦]، و(ماء بخطية الغزوالية)، و(ماء اليهودية).

* **مرحلة مصر (١٣ يومًا)**: (الأحد ٢١شوال ١١٨٨هـ الموافق لـ ١٤ ديسمبر ١٧٧٤م- السبت ٠٥ ذو القعدة ١١٨٨هـ الموافق لـ ٢٧ ديسمبر ١٧٧٤م) كان دخول الشيخ إلى مصر عبر قرية (كرداس) المصرية الواقعة في الحدود المصرية الليبية في يوم الأحد ١١شوال ١١٨٨هـ وبعدها عبر الركب النيل للدخول إلى القاهرة كمحطة أولية للاستقرار[٨٧] ثم يواصل وصفه بعد أن خرج الركب من القاهرة.

* **مرحلة طريق الحجاز "سيناء-مكة" (٢٨ يومًا)** (الأحد ٠٦ ذو القعدة ١١٨٨هـ الموافق لـ ٢٨ ديسمبر ١٧٧٤م- الأربعاء ٠٧ ذو الحجة ١١٨٨هـ الموافق لـ٢٨جانفي ١٧٧٥م)، فعند مجاوزته (بندر عجرود) تعرّض الموكب لحادثة سرقة من طرف قُطّاع الطرق الذين سلبوا منهم ثلاثة جمال، وعلى الرغم من ذلك واصل الركب طريقه إلى (صحراء التيه)، ثم بلغ الركب (عقبة أيلة) التي يضرب بها المثل في الشدة عبر درب الحجاز سواءً أكان من ناحية السكان القاطنين هناك أم من العقبات الموجودة فيها، ويقتصر المؤلف على ذكر المناطق ومواصفات مياهها إلى بداية تأدية مناسك الحج ومنها (بندر المليح) و(بيرم السلطان)، و(بندر الإلزام) و(بندر الوجه) ومنطقة (الحوراء) و(القبط) ومنطقة (ينبوع) التي كان المقام فيها مع الركب المصري والتونسي.

* **مرحلة أداء المناسك والزيارات (٣٠ يومًا)** (الأربعاء ٠٧ ذو الحجة ١١٨٨هـ الموافق لـ٢٨جانفي ١٧٧٥م-لجمعة ٠٨ محرم ١١٨٩هـ الموافق لـ ٢٢ مارس١٧٧٥م)، عند دخول الركب إلى (قاع البزوة) والذي كان في شهر ذي الحجة ١١٨٨هـ بدأ الشيخ في تأدية مناسك الحج المفتتحة بركعتي الإحرام، وبعدها انتقل الركب إلى (عقبة السكر) ثم إلى (عسفان) ومنه إلى المسجد الحرام الذي دخله الركب من باب الشبكة عند تعذر الدخول من باب السلام وشرع الشيخ في تأدية مناسك الحج، أما الإقامة فكانت في بيت حفيد الإمام الحسن العجمي بدون كراء، وفي اليوم الثامن خرج الشيخ إلى (منى) وبات بها الركب إحياءً لسنة المصطفى ﷺ التي كانت مهجورةً في هذا الزمان كما ذكر الشيخ، وفي صبيحة اليوم التاسع خرج الركب إلى (عرفة)" وبعدها شرع الشيخ في عرض المناطق الموجودة في أرض الحجاز، والتي مرَّ بها مثل: (بدر)، و(اخليص)، و(الجديدة)، و(آبار علي)، و(رابغ)... ومنها دخل إلى (المدينة المنورة) يوم الخميس ٧ محرم ١١٨٩هـ وزار الركب قبور الشهداء مثل: قبر سيدنا حمزة ﷺ[٨٨].

* **طريق العودة إلى الديار المصرية وخاتمة الرحلة (٣٠ يومًا)** (الجمعة ٠٨ محرم ١١٨٩هـ الموافق لـ ٢٢ مارس١٧٧٥م- الثلاثاء ١٢

صفر ١١٨٩هـ الموافق لـ ١٥ أبريل ١٧٧٥م وفي طريق العودة أخذ مسار: (بندر النخيل)- (تيه بني إسرائيل)- (الرمل)- (طريق الصانع)- (السبخة)- (بندر عجرود)- (البركات) ودخل القاهرة يوم الثلاثاء ١٢ صفر ١١٨٩هـ الموافق لـ ١٥ أفريل ١٧٧٥م. ومنها ختم المؤلف رحلته بحديث رسول ﷺ: ﴿مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ﴾[٨٩] ويذكر ناسخها المحفوظ بن السيد محمد ابن الحاج محمد بن الحسان... "انتهت رحلة شيخنا وقدوتنا ووسيلتنا إلى ربنا أبو زيد شيخ الوسيلة بن عبد الرحمن بن عمر"[٩٠].

ج- منهج وأسلوب المؤلف في تدوين الرحلة:

إن الدارس والمتمعن يدرك حقيقةً أن الرحلة لم تكن في شكل سرد قصصي خالٍ من أي خطة منهجية يمكنها أن تضبط وتقيد أحداث هذه الرحلة في تسلسل وترابط حلقاتها، بل إن المؤلف اعتمد على مجموعة من القواعد والمناهج التي أضفت على أحداث ووقائع الرحلة صفة العلمية وإن لم يصرح بها في مطلع الرحلة وأهمها:

- اعتمد المؤلف في بداية رحلته على مقدمة بيّن فيها سبب رحلته التي كانت من أجل تأدية شعيرة الحج إلى البقاع المقدسة، وكيفية التحضير للسفر وبهذا يكون قد مهّد وقدّم لما هو مُقبل عليه دون الدخول مباشرة في صلب الموضوع.

- أبرز المعالم والحدود الجغرافية الهامة والمتعارف عليها في تلك الحقبة الزمنية "القرن الثامن عشر الميلادي" التي هي بمثابة التقسيمات المنهجية المعتمدة عند المؤلف في الرحلة مثل: "صحراء فزان"، "ريف مصر"، "بداية تأدية مناسك الحج"[٩١] وذلك بتواريخها.

- لم يتعرض المؤلف بالحديث إلى كافة المناطق والقرى، وكل ما صادفه في الطريق التي مرَّ بها، وإنما اقتصر فقط على ذكر المهم والمشوّق منها دون الأمور الثانوية التي لا فائدة من ذكرها؛ ولهذا جاءت رحلته قصيرة ومركزة دون السرد الممل والمخل للمبنى والمعنى للرحلة.

وصف المناطق المهمة، والتي أثارت إعجابه بشكل تفصيلي - وكثيرًا ما كان ينبهر المؤلف بالمستوى الثقافي للشعوب سواءً أكان من الناحية الايجابية أم من الناحية السلبية - مثل: قرية "سوى" و"القاهرة" و"وجلة"[٩٢]، وأما المناطق العادية والمشهورة فيذكرها دون تعقيب عليها مثل: "مناطق الحجاز"[٩٣]، بالإضافة إلى التركيز على منابع المياه ووصفها وصفًا دقيقًا من حيث المرارة والحلوة والملوحة مثل: "ماء بندر الإلزام" الذي وصفه بالقبيح، وأما "ماء القبط" و"بيرم السلطان" "فهما من أطيب مياه الدرب"[٩٤]، وهذا راجع إلى أهمية المياه بالنسبة للرحلة، كما أننا نلمس من خلال هذه الأوصاف وكأن المؤلف يكتب ويدوّن لقوافل الحجيج القادمة من بعده فيوضح ويشرح تفاصيل الطريق مركزًا على منابع المياه.

- ركّز المؤلف في الطُرق التي يوجد بها السكان على خصائص السكان ومميزاتهم الثقافية والحضارية ومستوى معيشتهم وأمنهم، مثل: "قرية زويلة"[٩٥] أما المناطق الخالية من السكان فيصف فيها المظاهر الطبيعية وصفًا دقيقًا.

- احترم التسلسل الزمني والسرد الكرنولوجي لأحداث الرحلة مع التركيز على التواريخ دون خلط أو تقديم أو تأخير لمناطق على أخرى أو وجود متناقضات في الأماكن الجغرافية التي يمكنها أن تفقد الرحلة مصداقيتها العلمية والمنهجية.

لقد اعتمد المؤلف في تدوين الرحلة على لغة جميلة واضحة يفهمها العام والخاص وأسلوب

بسيط يستميل القارئ دون حشو أو تكرار ممل مثل قوله: "...ولما تعالى النهار وأفطر الركب غيّمت السماء وأبرقت مطرًا غزيرًا وصارت الأرض كأنها نهر واحد..."[٩٦]، وأما عبارات النص فتراوحت بين القصيرة والطويلة ومصطلحاته بين الجزالة والبساطة، كما أنه اقتفى أثر العلماء المغاربة في تدوين الرحلة من الناحية الأسلوبية؛ ذلك أن هؤلاء العلماء لم يستخدموا أسلوبًا راقيًا جدًا[٩٧] مقارنة مع مؤلفاتهم الأخرى التي كانوا يستعملون فيها عبارات قوية المعنى بليغة الأسلوب، غرضهم في ذلك هو الاستمتاع بها عند العودة مع الأهل والأحباب[٩٨].

٢- الأبعاد الجغرافية والسوسيو اقتصادية للمغرب الإسلامي:

أ- الأبعاد العامة للمخطوط:

يرتكز المهتمون بأدب الرحلات في دراستهم لأي رحلة على محاولة البحث في دوافع ودواعي الرحلة مهما كان نوعها أو غايتها المرجوة حتى يتسنى لهم بعد ذلك فهمها واستيعابها ومعرفة مدى أهميتها الأدبية والتاريخية، والرحلة المدروسة يمكن أن نلتمس فيها دافعين أساسين: الأول واضح ويمكن الجزم به؛ لأن المؤلف صرّح به، وهو تأدية فريضة الحج[٩٩]، أما الدافع الثاني، وهو الذي كان وراء تدوين الرحلة ولا يمكن الجزم به إطلاقًا لاعتبارات ليس هذا محلها؛ فيمكن رده إلى عوامل شخصية مرتبطة بصاحب الرحلة لا بمدونها، وقد يكون تلبية لطلب الأصدقاء والمقربين أو الإفادة وإمتاع القراء ومؤانستهم أو وضعها كدليل إرشادي يُهتدى به في رحلات لاحقة أحد هذه الدوافع.

وقد اتضحت في الرحلة أغلب المعايير والمواصفات التي كانت معهودة عند الرحّالة العرب أو المعالم المرجوة من كل رحلة مدوّنة، وهذا ما يؤكد لنا بأن التواتيين قد عرفوا هذا الفن واستوعبوه بكل مقاييسه وأنواعه، ولو أن الغالب على الرحلات التواتية أنها كانت علمية وحجية، والرحلة المدروسة التي بين أيدينا لا تقل أهمية عن رحلة العياشي(ماء الموائد) أو رحلة محمد ابن أحمد القيسي(أنس الساري والسارب)... وغيرها من الرحلات المغاربية ناهيك عن النماذج المعروفة والمشهورة في البلاد العربية، ولا نبالغ إن قلنا بأن رحلة مترجمنا جاءت هي الأخرى دقيقة في التزامها الزماني والمكاني، ميزتها الكبرى أن اهتمت بالمسار والمسلك وظروف التنقل والحال السياسية والثقافية للبلدان والأماكن التي تكون ضمن المسار أم في نهايته، ونادرًا ما اهتم فيها بالتراجم والسير، وهو ما يمكن ملاحظته في هذه الرحلة المدروسة التي لم ترد فيها؛ أي ترجمة لعالم أو تعريف لمن صادفهم في الرحلة أو حتى من رافقوه فيها، وعليه فهذا النوع من الأدب هو ما يسمونه في توات بأدب الرحلة، أما ما يهتم بالعلوم والتراجم فيسمى عندهم بالفهرسة.

تمتاز الرحلة – محل الدراسة- بفنها الإبداعي والأدبي في طابعها العام مثلما نلمسه عند العديد من الرحّالة مثل: ابن بطوطة، والعياشي، ومحمد ابن أحمد القيسي، والورتيلاني وغيرهم، حين يستعملون في تدوين رحلاتهم الشعر الملحون والفصيح وبعض الأساليب البيانية واللغوية، وهو ما يزيد في صبغتها الأدبية، ويبقى الأمر بالنسبة للتاريخ فيما هو مقتصر على الوقائع التاريخية المصادفة؛ أي القائمة بما يُمكّن من إضافتها إلى سجل الأحداث التاريخية، إلا أن هناك بعض الرحلات التي يبقى الجانب الأدبي فيها مقتصرًا فقط على الطابع العام للغة الوصف، وهذا ما يجعلنا نحكم على مضمون هذه الرحلة بأنها لا تنبئ

أبدًا بالمستوى اللغوي والأدبي لصاحبها المعروف بعلو كعبه في هذا المجال، لنصل في النهاية إلى الحكم أن فوائد هذه الرحلة لا تخرج عن الجوانب التاريخية والمجالات الاقتصادية والاجتماعية التي صادفها رحالتنا فوصفها وحكم عليها.

تهتم الدراسات المتخصصة في تاريخ توات سواءً أكانت الفقهية أم اللغوية أو التاريخية بدراسة الشيخ عبد الرحمن بن عمر التنيلاني؛ لذلك تُعد هذه الرحلة مصدرًا مهمًا للتعرف على شخصه ومكانته العلمية، فهي تُنبئ عن جوانب عدة يمكن القول عنها إنها كانت مجهولة عن الشيخ، كما أنها قد تكشف لنا عن مجال خصب كان يحبذه الشيخ وأبدع فيه، وهو الترحال والتنقل الذي أفنى شبابه فيه. مما يسمح بالغوص في شخصيته وبناءها بعيدًا عمّا دبجته أنامله من كتب وفهارس، والتي لا يمكن أن تعطيك أكثر من طريقته في التحليل أو منهجه في الاستنباط أو قدرته على الحفظ والاستحضار.

إن التنيلاني، في باقي رحلته (الشطر الحجازي والأهم فيها؛ أي ما هو موضوعها والغاية منها: أداء فريضة الحج) يختلف عن معاصريه من أصحاب الرحلات مخالفة تامة. فإشاراته إلى كيفية الحج إشارات عملية مختصرة تفترض المخاطب عالمًا مطلعًا على أحكام الحج. إنه على سبيل المثال، يخالف محمد المختار الولاتي صاحب (الرحلة الحجازية) الشهير عند المغاربة مخالفةً تامة في الحديث عن تفاصيل العمرة والحج والخوض في دقائقها خوضًا جعله يفرد لها قسمًا (هو القسم الرابع) من خمسين فصلًا، فهو نوع من دليل الحج والعمرة كما يقول محمد حجي محقق الرحلة: "وما أحرى هذا القسم من الرحلة أن يطبع على حدة كدليل للحج السني"[١٠]، وهو عود إلى المعتاد عند أصحاب الرحلات الحجية من حيث التعريج على مناظرات كلامية مع محاورين فعليين أو متوهمين، وهو اجتهاد وردود فقهية على فقهاء وعامة شافههم أو كاتبوه في مسألة تتصل بأحكام الحج أو العمرة أو آداب الزيارة. مثلما أنه يغاير ما سلكه ماء العينين في رحلته الحجية (في الثلاثينيات من القرن العشرين) من الجنوح إلى الإغراق في الوجد الروحاني في الحديث عن المسالك التي قطعها ركبه من جدة إلى مكة فالمدينة المنورة[١١]، وعندي أن ما تتميز به الرحلة الحجازية لعبد الرحمن بن عمر التنيلاني هو على وجه التحديد ما يعكس شخصيته على النوع الذي حاولنا تقريبها به من القارئ: الفقيه والمفتي والقاضي، المهموم بقضايا الالتزام والعدل والانضباط. هذه الصفات هي ما يكسب ملاحظاته عن الحجاز تمايزًا وفرادة. وإنه من المفيد لمؤرخ هذه الفترة أن يتبين الكيفية التي ترتسم بها صورة الأقطار الإسلامية آنذاك في الوعي العربي الإسلامي المعاصر، والصورة التي يحفظها الزائر – الحاج، القادم من المغرب الإسلامي لها.

إن المتمعن في هذه الطريق يدرك حقيقة جلية مفادها أن هؤلاء الحجيج يتحملون مصاعب كثيرة وعقبات طبيعة قاسية، ويزيدها قساوةً انعدام الأمن، وكثرة اللصوصية، وقلة منابع الماء من أجل قضاء شعائرهم الدينية، وعلى الرغم من كل ذلك فإنّ صاحب الرحلة كان يؤكد في كل موضع من مسارهم أنهم توقفوا ليؤدوا واجبهم الديني، وهو ما يدلُّ على تمسك الفرد التواتي بعقيدته وواجباته وثقافته الفكرية والإسلامية التي استطاع أن يُضحي لأجلها بأعزِّ ما يملك من نفسه وماله ووقته، كما أن مثل: هذه الرحلات كانت تستغل في الحصول على الإيجازات وأخذ الأسانيد والمرويات

الأبعاد الجغرافية والسوسيو اقتصادية للمغرب الإسلامي من خلال مخطوط رحلة الشيخ عبد الرحمن بن عمر الأموي التنيلاني إلى الحج سنة ١١٨٨هـ/ ١٧٧٤م

ومعرفة زيارة العلماء وفي بعض الأحيان حتى في التجارة، وهذا من باب تعدد النيات، إن "**الرحلة الحجية لعبد الرحمن بن عمر** مع ما تطفح به من مضامين روحانية، فلا ينفك الرحّالة منها، (فهو في الحج في حال متصل من الصفاء الروحي، ومن الجذب القوي) تنبؤنا عن الأمكنة موضع المشاهدة أكثر مما تخبرنا عن صاحبها. إنها تلقي أضواء كاشفة على الأمكنة موضع المشاهدة (تضاريس، طرق ومسالك، أودية ومنابع، أشخاص ومدن وقبائل) أكثر مما تعطينا ترجمة وافية عن صاحبها أو حتى مرافقيه.

ب- الجوانب الجيو تاريخية:

يتفاوت تصوير الرحّالة التواتيون لأنواع الطبيعة التي مروا بها إجمالًا ونستطيع أن نتبيَّن نوعين في معالجتهم للطبيعة بصفة عامة، ويرجع ذلك إلى التفاوت في الحس الجمالي لكل رحالة، وبحسب قدرات كل منهم على الملاحظة والوصف الدقيق؛ فبعضهم يتمتع بذوق نافذ؛ ولهذا جاءت رحلاتهم عبارة عن لوحات فنية تصوِّر لنا مناظر الطبيعة، وأما البعض الآخر فإنهم يهتمون أكثر بإبراز الطريق والمنازل التي مكثوا فيها هنيهة من الزمن، وكلّما صادفهم من عوائق وصعاب ... فجاءت رحلاتهم عبارة عن أخبار علمية جافة تشبه كتب المسالك والممالك[١٢]، وإذا ما أسقطنا ذلك على الرحلة المدروسة فإنها أقرب إلى النوع الثاني منه إلى الأول فهي عبارة عن مادة علمية تاريخية محضة لا مجال للأدب فيها إلا في طابعها العام، وفي هذا الصدد يقول عنها الأستاذ أحمد جعفري: "...وإذا استثنينا تلك المقدمة التي أفتتح بها الشيخ سيدي عبد الرحمن بن عمر التنيلاني رحلته، إضافة إلى بعض الفقرات في طياتها، فإن الرحلة بدت أقرب إلى التأريخ منه إلى نص أدبي راقي..."[١٣].

لقد غلب على هذه الرحلة الطابع الجغرافي والطبيعي فصاحب الرحلة جمع لنا أكبر قدر ممكن من المعلومات التي قد تهم الجغرافيين، وهواة دراسة الأقاليم والمواقع، وهكذا زوَّدتنا هذه الرحلة بمعلومات هامة عن الطرق والمسالك الصحراوية التي قطعها في رحلته وأهم المحطات بها، كما يُقدم لنا وصفًا لطبيعة الأراضي التي مرَّ بها، وعددًا من منابع المياه الوفيرة والمعدومة، التي مرَّ بها أو تلك المدفونة في الرمال ولا تظهر في الغالب إلا في أماكن محدودة، كما حدَّد لنا صاحب الرحلة المسافات بين المناطق بمسيرة الأيام فيقول مثلا: "أن المسافة بين كذا وكذا هي نصف يوم من المسير...ومن كذا إلى كذا خمسة أيام". وبالمناسبة يذكر التنيلاني في رحلته عددًا من الآبار الموجودة في طريق الحج بليبيا، كما يعطينا وصفًا دقيقًا لمياهها من حيث العذوبة والملوحة، وتتجلى الملامح الجغرافية في الرحلة حينما يعمد صاحب الرحلة إلي إبراز العديد من المواصفات الجغرافية والطبيعية التي أوردها في تفاصيل رحلته، وهي على النحو الآتي:

الدروب والمسالك: يوضح لنا مسار الرحلة مجموعة من الطرق أهمها الطريق المحلي الذي يمتد من وسط توات إلى قرية بوعلي ثم ينحرف باتجاه إقليم تديكلت، وفيها يلتقي مع الطريق الرئيس في قوافل الحجيج، ويمر أسفل توات، وهو الطريق الذي سلكه محمد بن أحمد القيسي (ابن المليح)[١٤]، أما الطريق الثانية في مسار الرحلة والممتدة بين عين صالح وفزان الليبية، ويلتقي هذا الطريق مع طريق أزقر المشهورة بقوافلها التجارية، وهي الطريق التي يلتقي فيها كل من الطريق المار أعلى توات وأسفلها، وهذا حسب مقارنة بين ما قاله المؤلف وما قاله محمد بن أحمد القيسي[١٥]،

أما الطريق الثالث في مسار الرحلة والذي يمتد من فزان إلى القاهرة، وهو الطريق الرابط بين المشرق والمغرب محوره الأساس في القوافل التجارية قاعدة مرزق كأكبر قاعدة اقتصادية في بلاد فزان، ويمر عبر العديد من المناطق في الصحراء الليبية، والقادم من توات سواءٌ أكان من الأعلى أم الأسفل يمر به إلى القاهرة ويلتقي مع الطريق الشمالي[١٠٦] الأساسي في القاهرة، أما الطريق الرابع فهو الذي يمتد من القاهرة إلى الحجاز مع العلم بأن هناك طريق كان يمرُّ على بحر القلزم ومنه مباشرة إلى الحجاز[١٠٧]، ومن الطرق والمسالك التي ذكرها مثلًا: طريق ازكير[١٠٨] طريق الهاروج الأبيض والأسود[١٠٩]، طريق الصانع[١١٠].

الأحوال المناخية: كما يشير المؤلف إلى بعض الأحوال المناخية التي تعرَّض لها الركب خلال الطريق، ومن أهم تلك الأحوال التي صادفت الركب عند خروجه من عين صالح (الرياح، الأمطار، الرعد والبرق، وحرارة الجو)[١١١]، ويقول عن بعض الأحوال الأخرى في الحجاز (المطر والبرق)[١١٢].

المرتفعات الجبلية: يتعرض المؤلف في رحلته إلى بعض المرتفعات التي كانت تعيق قوافل الحجيج، ومحذرًا الرحلات القادمة منها، نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر جبال الهاروج التي عانى الركب فيها، وهي في الطريق الممتدة في صحراء فزان[١١٣]، ومن بين المرتفعات كذلك بل وأكثرها شدة وصعوبة، وهي عقبة أيلة والموجودة في آخر الحدود المصرية من الناحية الشرقية[١١٤].

وصف المدن والقرى: ركَّز المؤلف على وصفها بشكل كبير ويذكر الأسماء الخاصة بها، عدا بعض المناطق التي لم ترد باسمها عند الرحَّالة الآخرين مما يوحي بأن المؤلف كان يدرك حقيقة الطريق،

ويبدو أن الرحَّالة كان ذا ثقافة تاريخية كبيرة وعلى اطلاع واسع بتاريخ المناطق التي زارها، كما أن فضوله العلمي أتاح له التعرف على أحوال الشعوب التي عبر أراضيها، كما تُقدم لنا هذه الرحلة صورة دقيقة للوضع السياسي السائد في المناطق الصحراوية وفي الأقطار والممالك التي مرّت بها قافلة الحج في تلك الفترة، فقد أفادتنا بأن بعض المناطق وعلى الرغم من سيطرة الحكام عليها إلا أن هجمات اللصوص وقطاع الطريق على القوافل التجارية المارة بها لم تتوقف، وهو ما عانى منه صاحب الرحلة نفسه، ومن هذه الأماكن: (مدينة تمنطيط)[١١٥]، (زاوية الجديد)[١١٦]، و(زاوية الرقادي) وردت في ن١ "الرقاد"[١١٧]، (قرية بعلي)[١١٨]، (تديكلت)[١١٩]، (تميقطن)[١٢٠]، و(قصر زاوية سيدي أبي الأنوار) "الأنوار" ن٢ غير موجودة[١٢١]، (آولف الشرفة)، ويقال له آولف الكبير[١٢٢]، و(تقرافت)[١٢٣]، و(دابر)، وهو الاسم الزناتي الذي كان يطلق قديمًا على منطقة "أقبلي" الواقعة في إقليم تديكلت[١٢٤]، و(قبيلة أولاد موسى)، و(قصر زاوية أبي نعامة)[١٢٥]، و(التكرور)[١٢٦]، و(عين صالح)[١٢٧]، و(قصر أولاد بلقاسم هو القصر المعروف الآن بقصر المرابطين[١٢٨]، وقصر أولاد الحاج[١٢٩]، ولمنقارطين، وتدمايت، وهناك من يقول له تخمالت[١٣٠]، و(جبل حلكم)، و(بلاد أوكروت)[١٣١]، و(بلاد فزان)[١٣٢]، و(قرية أبار) أول قرى فزان جنوب ليبيا، كان الحجاج ينزلون بها فيجدون من أميرها الإكرام والحماية، فكانوا يرتاحون فيها[١٣٣]، و(قرية ججم)، و(قرية اوتش)، و(قرية آبريا)[١٣٤]، و(قرية امتوا تقزيك)، و(قرية تكركيب)، و(قرية تساوى) ويسميها أهل السودان جرمة الصغرى[١٣٥]، و(قرية الزرقان)، و(مدينة مرزق)[١٣٦] و(قرية عين المولى)، و(قرية انزغن)[١٣٧]، و(قرية زويلة)[١٣٨]، و(قرية

أم الأفاعي)[139]، و(قرية تمسه)[140]، و(مدينة أوجلة)[141]، و(قرية جلو)[142]، و(صحراء القرود)[143]، و(موضع الصنك)، و(بلدة أم الألواح)[144]، و(خطية الغزوالية)[145]، و(قرية سوى)[146]، و(قرية واد أم همو)، و(مدينة أم الصغير)[147]، و(قرية برنو)[148]، و(قرية السنجة)[149]، و(منطقة كدبر الحمير)، و(قرية كرادس)[150]، و(منطقة الفياضة)، و(مدينة القاهرة)[151]، و(بندر عجرود)[152]، و(بندر النخيل)[153]، و(عقبة أيله)[154]، و(ينبوع)[155] و(بندر المليح)[156]، و(بندر الإلزام)[157]، و(بندر الوجه)[158]، و(الحوراء)[159]، و(قاع البزوة أو البزواء)، و(عقبة السكر)[160]، و(عقبة عسفان)، و(كداء)[161]، و(عسفان)[162]، و(خليص)[163]، و(رابغ)، و(الجديدة)[164] و(مكة)، و(المدينة المنورة)، و(قباء)[165]، و(بندر النخيل)، و(تيه بني إسرائيل)، و(البركات)

العيون والينابيع المائية: إن الطريق الواصل بين عين صالح وصحراء - فزان، ركّز المؤلف فيها على مجموعة من الخصائص الجغرافية والطبيعية فوصفها وصفًا دقيقًا على ما كانت عليه في تاريخ رحلته، ويعود السبب في ذلك إلى عدم وجود السكان في هذه المناطق، خلافًا للطريق الواصلة بين توات الوسطى والشرقية التي كثر الحديث فيها عن تعاملات السكان وأخلاقهم ومدى استجابتهم لركب الحجيج وتقصيرهم في ذلك. وتركّز وصفه على منابع المياه بالإضافة إلى الأحداث التي كان يتعرّض لها الركب، ومن جملة المنابع التي أوردها المؤلف، وهي على الترتيب من عين صالح إلى فزان: "بئر الصم، حاسي الشبّ، حاسي البلي (وذكر أن ماءه يُورّث إسهالًا مفرطًا)، ماء تحجاوت، ماء جلكم، ماء تكت، ماء الجان، ماء دجن، ماء ميجور، ماء أزوا، ماء أجراشكاش، ماء البض، ماء أجيج، ماء أكبص، عوينة يوسف، ماء زلطا[166]، ماء اليهودية[167]، وبئر الصعاليك[168]، وآبار بدر[169]، بير علي......

الأودية والأنهار والمجاري المائية: ومن أهم الوديان التي أوردها الشيخ في هذه الطريق: واد بحان، وحاسي الشب، وواد موسى[170]، وواد تنورت، وواد عصرا، وواد نتقرير، ورأس الواد، وواد تراب، وواد الطلح، وواد قطمير[171]، وواد الطرفاوي[172]، والوادي الفارغ[173]، وواد التيه[174]، وواد فاطمة[175] وقديدًا[176]....

الغطاء النباتي: كما أورد الشيخ في هذه الطريق ذكرًا للأشجار والحشائش والنباتات ومختلف ما اشتهر به أهل بعض المناطق من إنتاج فلاحي، مثل: شجر الحاد الأسود[177]، وشجر الشبرق[178]، وشجر الارطبي[179] وشجر الأثل[180]، ونبات الديس[181]، وشجر الطلح، وشجر العلندا، وشجيرة الضمر[182]....

ت- الجوانب السوسيو اقتصادية:

اعتنى الرحّالة عبد الرحمن بن عمر التنيلاني بالأمور الاجتماعية والاقتصادية عناية شديدة فاقت عنايته بالأمور الأخرى، ولهذا اكتسبت رحلته صبغة خاصة جعلتها مصدرًا لا يستغني عنه المؤرخون المتخصصون، ولنبدأ بالحديث عن المظاهر الاجتماعية المستنبطة من الرحلة في منطقة توات؛ حيث يوضح المؤلف مع مطلعها الحوار الذي جرى بينه وبين سيد عمر بن سيدي عبد الرحمن وإدريس بن العلامة سيدي عمر مفاده ونتيجته هو حصول عبد الرحمن ابن عمر التنيلاني على المبلغ المخصص للسفر إلى الحج مع تحديد قيمته ومعرفة تكلفة الحج خلال تلك الفترة أمر مهم، كما يتضح من خلالها أيضًا مدى

الترابط بين أفراد المجتمع وإحساس الفرد التواتي بأخيه في أصعب الظروف، ويصوِّر لنا الرحَّالة من خلال هذا الحوار أن المجتمع التواتي مجتمع متديِّن، وعند انطلاق الرحلة يشير المؤلف إلى أهم المحطات التي مرَّ بها مشيرًا إلى مدى استجابة وتقصير السكان في الضيافة وحسن المعاشرة، ويوضح لنا المكوث الذي طال في المحطات التواتية ومدى استجابتهم لوفود الحجيج، وتُقدَّر المدة التي استغرقها المؤلف في الأقاليم التواتية بخمسة وعشرين يومًا تقريبًا، وقد أشار المؤلف إلى مجموعة من الشخصيات التي رحبت به أثناء الطريق في كل محطة أقام فيها.

أما المجتمع الليبي فإنه ركَّز على عوائده في استقبال الحجيج وبعض العادات التي تخص مذاهبهم وعوائدهم ومستواهم المعيشي، فمنها ما أشاد بمستواها المعيشي وسياستها مثل: قرية "سوى"؛ حيث يقول عنها: "... وأهلها لا بأس بهم يولون أمورهم لاثني عشر من شيوخهم ولهم سياسة وشهامة لا يحسدهم عليها أحد من الأعراب..."[١٨٣] ومنها من انتقدها وأشار إلى تدني مستواها المعيشي والاجتماعي كقرية "أبار" التي يقول عنها: "...وأكرمونا بالخميرة إلا أنهم لا إدام عندهم..."[١٨٤]، ومنها كذلك قرية "أوجلة"، وتختلف عوائد كل قرية عن أخرى مما يوحي بأن القرى لم تكن متحدة فيما بينها في الفترة المدروسة.

وبعد وصول الشيخ إلى مصر وعبوره النيل إلى القاهرة وقعت له واقعة، تمثلت في إضلاله الطريق فلم يجد الركب بسبب الناقة التي كان يظن أنها مرت مع قطيع من الإبل المصرية خلال الزحام الذي كان موجود في القاهرة آنذاك[١٨٥]، وفي ذلك اليوم يجد أصحابه، ويستمر الركب إلى أن يصل إلى "بندر عجرود" القريب من عقبة "أيله" وفي هذه المنطقة تعرضوا من طرف قُطَّاع الطرق إلى السلب فأخذوا من الركب ثلاثة جمال، ويُصور لنا الرحَّالة بأن سكان هذه المناطق يغلب على طابعهم السلب والنهب والاحتيال مثل: عرب "بدر" ولكن الركب مرَّ بهذه الطريق بسلام، ومن الملامح الاجتماعية البارزة في هذه الرحلة الحديث عن القبور والقباب، وطريقة احتفال بعض المناطق بمقدم الحجيج.....ومن هذه الإشارات نذكر: وجود قبر لنبي في قرية اتساوى الليبية[١٨٦]، واحتفال أهل مرزق بقوافل الحجيج، وزيارة القباب "ونزلنا بقرية ازويلة[١٨٧] قاعدة فزان في القديم وزرنا بها سبع قبات على الرغم من أنها قباب قبور من افتتحها من الصحابة والتابعين لكنهم لم يُعيِّنُوا لنا أسماء أصحابها، وأقمنا بها السبت والأحد، وهو أول يوم من رمضان"[١٨٨]، وعدوانية أهل وجلة "ثم رحلنا منه وبِتْنَا قريبًا من مدينة (وجلة)[١٨٩] ثُمَّ أصبحنا يوم السبت الحادي والعشرين من رمضان والخامس عشر من نوفمبر وأقمنا بها يوم الأحد وأهلها في غاية المشاكسة في المعاملة وقلَّة الأمانة"[١٩٠].

ومن أبرز الملامح الاجتماعية التي ورد ذكرها في سياق وصف الرحلة ومساراتها زيارته لأبرز المعالم الدينية والمشاهد الروحية التي كانت قائمة آنذاك في العالم الإسلامي مثل: زاوية الجديد)[١٩١]، و(زاوية الرقادي)[١٩٢]، و(زاوية سيدي أبي الأنوار)[١٩٣]، و(ضريح الشيخ المغيلي)[١٩٤]، و(زاوية أبي نعامة)[١٩٥]، و(قبر قرية اتساوى)، و(قباب قبور ازويلة)، و(جامع الأزهر)، و(مشهد الإمام أبو الله محمد بن إدريس الشافعي)، و(مقام رأس الحسين) و(قبر السيدة نفيسة)، و(البقيع)، و(قبور الشهداء)، و(المقام

المالكي)...كما ورد في وصف مسار الرحلة ذكر لبعض الأعلام والمشايخ الذين التقى بهم أو تعرَّف عليهم أو قدموا له مساعدة أو أخذوا عنه علمًا وفتوى أو شهد وفاتهم وإلى غير ذلك من المناسبات المتباينة التي عاشها مؤلف الرحلة.

كما لمَّح المؤلف إلى بعض الجوانب الاقتصادية التي يمكن أن نستشف من خلالها مجموعة من النتائج الهامة في حركة التجارة عبر قوافل الحجيج ويمكن أن نجمل ذلك في مجموع من النقاط الآتية:

صوَّر لنا الرحَّالة أن في حركة التجارة التواتية قاعدة اقتصادية مهمة لابد من المرور بها قبل أي خروج من البلاد التواتية لأجل التزوُّد بالسلع وكل ما يلزم الرحلة، وهي قاعدة تمنطيط التي كانت تعد العاصمة الاقتصادية للإقليم خلال القرن ١٢هـ/ ١٨م(١٩٦).

كما يشير المؤلف إلى المقايضة الاقتصادية التي حدثت بين أفراد الركب الذي كان فيه وسكان مدينة أبار الليبية(١٩٧).

عند وصول الركب إلى منطقة بندر النخيل القريبة من الناحية الشرقية إلى صحراء سيناء التقى الركب التواتي مع الركب الشامي الذي كان من جملة بضائعه الفواكه الشامية والثمار فتسوق أفراد الركب التواتي من ركب الشامي عن طريق المقايضة(١٩٨).

وفي الجانب الاقتصادي أيضًا تفيدنا الرحلة بوجود الأسواق الكبيرة سواءً أفي المغرب الإسلامي أم في مشرقه، وللعلم تتوفر توات على عدة أسواق تجارية أهمها: تيميمون شمالًا وسوق تيمي في الغرب؛ وبهذه الأخيرة ما يزيد عن خمس وعشرين (٢٥) قرية، يرتاد سوقها مختلف الأجناس والأعراق من فلانيين وغراربة (غرب إفريقيا) وعرب وبربر، كما يرتاد سوق تمنطيط أهل ساهل والعرب والبدو والجكانة وأولاد الحاج وسكان سوف...

الخاتمة:

إن محاولتنا (تحقيق مخطوط الرحلة والعناية به) البسيطة في مضمونها والمتواضعة في شكلها، تسعى هي الأخرى جاهدةً إلى إبراز مجموعة من الملامح والإشارات التي تدلنا على مكانة المؤلف وعصره ومنطقته، كما أنها تطلعنا على حوادث تاريخية مهمة في الجانب الإنساني، وقد أشرنا إلى البعض منها في أبعاد المخطوط التاريخية، وفي نقد محتوى المخطوط.

وعلى الرغم من التراث الفكري الذي عرفه الإقليم إلا أن الدراسات التاريخية بصفة عامة بقيت خجولة بعض الشيء مقارنة مع الدراسات الأخرى إلى حين بروز أهمية الرحلات التواتية التي تميزت بخصائص علمية ومناهج قويمة، ويمكن للباحثين المعاصرين الإلمام والاهتمام بها، فهي لا تقل أهمية عن الكتب التاريخية بل تُعد مصدرًا أساسًا من مصادر التاريخ المحلي بوصفها من أوفر المصادر وأوثقها بل وأشملها فيما يتعلق بتاريخ المنطقة من جميع النواحي وتنفرد بأهمية وبخاصة على الكتب المتخصصة؛ ذلك أن مصنفي هذا النوع من المصادر تميزوا بمنهجية صارمة في تسجيل شهاداتهم عبر مسارهم الخاص بهم، إضافة إلى العفوية في التعليق والصدقية في الوصف، فوصفوا البلاد ومعالمها والعباد وعاداتهم،كما أنهم تطرقوا في كثير من الأحيان إلى إيراد عدد من التعريفات والتراجم، وقد تكون هذه التعاريف والتراجم مفقودة ومصنفات نفيسة يطّلعون عليها خلال مسارهم.

إن الوصف الذي يقدمه لنا الشيخ عبد الرحمن التنيلاني حول طريق الحج البري الجنوبي

الصحراوي من تمنطيط إلى مكة، يمكننا من أخذ فكرة حول الظروف التي كان يؤدي فيها الحجاج -الجزائريون عمومًا والتواتيون خصوصًا- هذه الفريضة، ومدى شوقهم إلى زيارة الأماكن المقدسة على الرغم من صعوبة الطريق. غير أن هذه الرحلة لا تعطينا تفاصيل دقيقة حول أحوال المناطق التي تمر بها، بل تكتفي بذكر أسماء الأماكن فقط؛ ولهذا فإن الفائدة لا تكتمل إلا بالاستعانة برحلات أخرى أكثر تفصيلًا وتكتسب الرحلة المدروسة بعدًا اجتماعيًا يتجاوز الحدود المحلية إلى بعض الأقطار العربية يمكن الاستفادة منه؛ وذلك لأنها أشارت إلى العديد من العادات والتقاليد والأعراف السائدة حينها في بعض القرى والمدن والمداشر سواءً أكانت المغمورة أم المعلومة في المجتمعات العربية، وبخاصة الليبية منها.

ويمكن القول إن رحلة الشيخ عبد الرحمن التنيلاني من توات إلى مكة مرورًا بالصحراء الليبية والبلاد المصرية وحواضر الحجاز؛ رحلة لا تخلو من فوائد تاريخية وجغرافية هامة، وإن صاحب الرحلة لم يكن يقدم وصفًا تقليديًا للمناطق التي زارها، وإنما حاول على قدر الإمكان تقديم معلومات دقيقة، أكثر توصيفية ظهرت فيها لمسته العلمية والفكرية من خلال المواقف التي تبناها (زيارة القبور- طريقة الصحيحة لأداء مناسك الحج...) والمبادئ التي حاول فرضها (شح بعض أهالي المناطق الصحراوية أو لصوصيتهم..).

الملحق رقم: ٠١ صورة من الصفحة الأولى من مخطوط الرحلة (النسخة ١)

الملحق رقم: ٠٢ صورة من الصفحة الأخيرة من مخطوط الرحلة (النسخة ١)

الملحق رقم: ٠٣ صورة من الصفحة الأولى من مخطوط الرحلة (النسخة ٢)

بسم الله الرحمن الرحيم 1

هذه رحلة شيخنا وقدوتنا ووسيلتنا الى ربنا القطب [illegible]
الوسيلة سيدي عبد الرحمن [illegible] رحمه الله تعالى ورضي عنه امين

الحمد لله الذي فرض على المكلفين من عباده حج بيته الحرم العتيق وجعله [illegible]
[illegible]
[illegible] بيت الله الحرام وزيارة قبره عليه
الصلاة والسلام [illegible]
[illegible]
وعلامة [illegible]
[illegible] صلاة الجمعة [illegible]
[illegible]
[illegible]

الملحق رقم: ٠٤ صورة من الصفحة الأخيرة من مخطوط الرحلة (النسخة ٢)

9

ثم رحلنا منها يوم الاثنين السادس والعشرين من ذي الحجة ورحلنا [illegible]
عصرا ثم رحلنا منها وجاوزنا عسفان وبتنا قرب عقبة عشاء ثم
ونزلنا [illegible] ظهرا ثم رحلنا منه وجاوزنا قديدا ظهرا ونزلنا [illegible] ورحلنا
ونزلنا رابغا ظهرا ورحلنا منه ظهر غد ونزلنا مستورة ورحلنا منها ونزلنا بقرب بدر
ثم رحلنا ونزلنا به [illegible] ظهرا ووجدنا هناك ركب المغرب ورحلنا منه ونزلنا الجديدة ومات
هناك محمد بن المبروك ورحلنا منها ونزلنا قبور الشهداء ورحلنا منها ومررنا على ذي
الحليفة المسماة بير علي ظهرا ودخلنا المدينة المشرفة يوم الخميس السابع من المحرم وصلينا
الظهر بالمسجد الشريف وسلمنا عليه صلى الله عليه وسلم وعلى صاحبيه رضي الله عنهما
واقمنا هناك الجمعة وزرنا بعد صلاتها البقيع ووقفنا على قبور من اشتهر من اهله وسلمنا
عليهم واستشفعنا في [illegible] واحبابنا ومن لم نعرفه
السبت خرجنا للصلاة بمسجد قباء ثم لزيارة سيدنا حمزة ومن معه من

الى ان قال
حتى دخلنا [illegible] بعد ارتفاع النهار يوم الخميس الثاني عشر من صفر فلله الحمد
ونسأله تعالى ان يتمم علينا نعمته بالوصول الى بلادنا امين

الحواشي

١- يراجع: - عمر (عبد العزيز)، قطف الزهرات من أخبار علماء توات. الجزائر: دار هومة للنشر. ٢٠٠٤م، ص١٤٥- مؤلف مجهول، تقييد؛ لأنساب العائلة التنيلانية، خزانة با عبد الله أدرار-

٢- قصر تنيلان: هو إحدى قصور تيمي؛ التي تعد من أكبر مقاطعات توات آنذاك، يقول المؤرخون المحليون، أنها قسمان قديمة وحديثة، وقد حلّ بها مولاي سليمان ابن علي سنة٥٧١هـ/ ١١٧٥م والقديمة هي الآن في حكم المندثرة، تقع حاليًا في الشمال الشرقي لمدينة أدرار، للتوسع يراجع: - باي (بلعالم محمد)، الغصن الداني في ترجمة وحياة الشيخ عبد الرحمن بن عمر التينيلاني، الجزائر: دار هومة، ٢٠٠٤م، ص ٣، جعفري (أمبارك)، العلاقات الثقافية بين توات والسودان الغربي خلال القرن الثاني عشر الهجري، وزارة الثقافة، الجزائر، ٢٠٠٩م، ص٦٠

٣- باي (بلعالم محمد)، الغصن الداني، ص ٣.

٤- التمنطيطي (محمد بن عبد الكريم)، تقييد حول تاريخ تمنطيط وتوات، مخطوط بالخزانة البكرية.

٥- محمد عبد العزيز سيد اعمر، العلم عماد الدين والإيمان وذكر مناقب العلماء حياة الإسلام، مخطوط بخزانة زاوية مهدية، أدرار.

٦- باي (بلعالم محمد)، الغصن الداني، ص٠٢

٧- الصديق (حاج أحمد) ، التاريخ الثقافي لإقليم توات، منشورات مديرية الثقافة ،أدرار ، ٢٠٠٥م، ص ٨٥.

٨- أدغا: هو من أقدم القصور إذا لم يعثر له على تاريخه الأول وقدم إليه حاجو في المرحلة الثالثة سنة٢٩٢هـ/ ٩٠٤م من الأرواد وسماه بقصر أدغاغ نسبة إلى موطنه الأصلي ينظر:

A.G.P.Martin. les oasis Salah Réiennes: Alger: Edition Dlinhrinerie Algérienne 1904 p 86.

٩- التادمكي (محمد الأمين الأنصاري)، القواعد النفيسة في شرح المعرب، دار البخاري، السعودية، ١٩٩٦م، ص ١١.

١٠- مزيلخ (عاشور)، "الشيخ عبد الرحمن التنيلاني ومنهجيته في تلخيص كتاب الدر المصون للسمين الحبلي"، مجلة التراث العربي، ع١٠٧، سوريا، فصلية تصدر عن اتحاد الكتاب العربي، (ب.ت)، ص ١٨٢.

١١- (التادمكي)، القواعد النفيسة في شرح المعرب، ص ص (١١-١٢).

١٢- محمد (باي بلعالم)، الغصن الداني، ص ٠٥.

١٣- توجد هذه السنة في مذكرة على هامش، ج٢ من القرآن الكريم المخطوط بخط قديم ،خزانة مولاي علي سليماني، ادغا .

١٤- محمد (بن عبد الكريم التمنطيطي)، تقييد حول تاريخ تمنطيط وتوات، مخطوط بالخزانة البكرية، ص ٣٧، للتوسع يراجع: - عرباوي (عمر)، ألقاب أعلام التصوف، مقارنة سوسيوتاريخية لحضور ألقاب التصوف في المخيال العربي الإسلامي، الملتقى الدولي الحادي عشر، التصوف في الإسلام والتحديات المعاصرة ،ج٢،ع٢، منشورات جامعة أدرار ٢٠٠٨/ ٢٠٠٩م، ص١١٨.

١٥- عبد العزيز (سيدي عمر)، العلم عماد الدين والإيمان وذكر مناقب العلماء حياة الإسلام، مخطوط بخزانة زاوية مهدية ، ص ٣٧___ التادمكي، القواعد النفيسة، ص ١١

١٦- التيلاني (عبد الرحمن بن عمر)، رحلة عبد الرحمن ابن عمر التيلاني إلى الحج، مخطوط بخزانة ،أبا عبد الله ادرار ص ٢٥ - عبد العزيز (سيدي عمر)، العلم عماد الدين والإيمان وذكر مناقب العلماء حياة الإسلام، مخطوط بخزانة زاوية مهدية، ص٣٧، - عبد الرحمن (بن عمر التواتي)، مختصر الدر المصون، خزانة الشيخ الحاج محمد باي بلعالم، الركينة، أولف، أدرار، ص ٠١، وبخزانة الطيب الشاري، كوسام، أدرار

١٧- عبد الرحمن (بن عمر التنيلاني)، الرحلة، ص ٠١، بالنسبة ن١ أو ن٢

١٨- بعثمان (عبد الرحمن)، الدور العلمي للزاوية التنيلانية، الملتقى الوطني الربع إسهامات علماء توات في الحركة الفكرية والثقافية أبان العصر الحديث ١٥٠٠-٢٠٠٠م، جامعة أدرار، ١٩/ ٢٠ أبريل ٢٠١٠م، ص٠٧.

١٩- التيلاني (عبد الرحمن بن عمر)، فهرسة عبد الرّحمن ابن عمر التنلاني التواتي، خزانة الطيب الشاري، كوسام، أدرار، ص ٣٧.

٢٠- يقول الشيخ في فهرسته عن أسلوب شيخه عبد الرحمن الجنتوري: "... واستفدنا أضعاف ما استفدنا من شيخنا أبي حفص؛ لانبساطه معنا ومداعبته وصبره على جفائنا ..." ينظر: التيلاني (عبد الرحمن بن عمر)، الفهرسة، ص ٨٨.

٢١- نفسه، ص ٣٧ .

٢٢- محمد (باي بلعالم)، الغصن الداني، ص ٢٢.

٢٣- تودن: أو نادوني: وقرية صغيرة من منطقة الأزواد شمال مالي. ينظر: جعفري (أمبارك)، العلاقات الثقافية، ص ٢٩٨.

٢٤- اروان: تحريف لكلمة " أرهاران إيوان" التي تعني بلغة (تماشك) المحلية للسكان (أرض الأبقار). ينظر: - جعفري (أمبارك)، العلاقات الثقافية، ص.ص (٢٤٨-٢٤٩).

٢٥- ينظر: عبد الرحمن (بن عمر التنيلاني)، الفهرسة، ص ١٤١.

٢٦- جعفري (أمبارك)، العلاقات الثقافية، ص-ص (٢٩٦،٢٩٨).

٢٧- ينظر: البرتلي (ابن عبد الله الطالب محمد)، الفتح الشكور في معرفة علماء التكرور، تح. محمد الكتاني ومحمد حجي ، بيروت: دار الغرب الإسلامي، ١٩٨١م، ص ١٠٢.

٢٨- محمد (باي بلعالم)، الغصن الداني، ص(٢٤-٢٥).

٢٩- ينظر : عبد الرحمن (ابن عمر التنيلاني)، الفهرسة، ص ١٥٨.

٣٠- نفسه، ص ١٨٨.

٣١- نفسه، ص ١٨٩.

٣٢- وصفه الشيخ باي بلعالم بالنجم الزاهر والإمام الاشهري علامة زمانه ونادرة أوانه. ينظر: محمد (باي بلعالم)، الغصن الداني، ص ٢٦. - عبد الرحمن (بن عمر التنيلاني)، الفهرسة، المصدر السابق، ص ١٩٤، وقد اشتهر هذا الأخير برحلته الحجازية التي أورد فيها العديد من المعلومات التاريخية التي تخص منطقة الزاب الجزائرية : ينظر: - الهلالي (أبو العباس أحمد)، الرحلة الحجازية، مخطوط بخزانة كوسام، أدرار، ص ٠٧.

٣٣- عبد الله (بن أحمد الفلاني)، المخطوط السابق، ص ٠١. يراجع: -نيكلو (عبد القادر)، الهجرة إلى توات في القرن السابع هجري، الندوة الربعة للشيخ سيدي مولاي سليمان بن علي، المسجد الكبير بقصر أولاد اوشن، ١٤/ ماي/ ٢٠٠٩م، ص١٤.

٣٤- محمد (بن عبد الكريم التمنطيطي)، تقييد حول تاريخ تمنطيط وتوات، مخطوط بالخزانة البكرية، ص ٢٥.

٣٥- نيكلو (عبد القادر)، الهجرة إلى توات في القرن السابع هجري، ص١٤

٣٦- فرج (محمود فرج)، إقليم توات خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر الميلاديين، الجزائر: د.م.ج، ١٩٨٤م، ص ٦٠.

٣٧- التمنطيطي (محمد بن عبد الكريم بن عبد الحق)، جوهرة المعاني في تعريف علماء الألف الثاني، خزانة تمنطيط، أدرار، مخطوط، خزانة شاري الطيب بن عبد الله كوسام، ورقة ٣٩.

٣٨- البلبالي (بن عبد الرحمن محمد)، غنية السائل فيما وقع بتوات من المسائل، مخطوط بخزانة مملوكة، أدرار، كلها.

٣٩- غاية الأماني في أجوبة أبي زيد التنيلاني، مخطوط بخزانة مولاي سليمان بن علي، أدغاغ، أدرار، ورقة ٠١، ٠٢.

٤٠- عريان الرأس(بن محمد بن حسان)، الشجرة المرجانية في التعريف بالأسرة البلبالية الركانية، دار هومة، الجزائر ٢٠١٠م، ص ١١٣.

٤١- البلبالي (محمد عبد الكريم)، الكتاب الجامع لفتوى أبي زيد التنيلاني، مخطوط خزانة مولاي سليمان بن علي، أدغاغ، أدرار، ص٠١.

٤٢- البلبالي محمد، غاية الأماني، مخطوط بخزانة مولاي سليمان بن علي، أدغاغ، أدرار، ورقة ٠١.

٤٣- تسابيت: اسم لمنطقة من مناطق الإقليم التواتي، وهي كلمة بربرية معناها باللغة العربية المكان المعزول عن الطريق، للتوسع ينظر: - عريان الرأس، الشجرة المرجانية، ص.ص(١٢، ١٥).

٤٤- توجد نسخة من المخطوطين بخزانة سليماني مولاي علي، أدغا، أدرار.

٤٥- اطلعت على نسخة كاملة منه بخزانة الشاري الطيب- كوسام، أدرار، الصفحة الأولى متآكلة.

٤٦- يوجد مخطوط بخزانة محمد باي بلعالم، الركينة، أولف، أدرار.

٤٧- توجد نسخة من الرحلة والفهرسة بخزانة سليماني مولاي علي، أدغا- أدرار.

٤٨- محمد باي بلعالم، الغصن الداني، ص ٥٧.

٤٩- نفسه، ص ٥٧.

٥٠- التمنطيطي (محمد بن عبد الكريم بن عبد الحق)، جوهرة المعاني في تعريف علماء الألف الثاني، مخطوط بخزانة شاري الطيب ابن عبد الله كوسام، ص-ص(٢٢-٢٣)

٥١- نيكلو (عبد القادر). الهجرة إلى توات في القرن السابع هجري. ص١٤.

٥٢- المهداوي (عبد القادر بن عمر). الدرة الفاخرة في ذكر المشايخ التواتية. مخطوط بخزانة باعبد الله، أدرار، ص ٠٥.

٥٣- محمد (ابن عبد الكريم). جوهرة المعاني. ص ٢٨.

٥٤- البكراوي (محمد بن عبد الكريم). درة الأقلام في أخبار المغرب بعد الإسلام. مخطوط بالخزانة البكرية، تمنطيط- وبخزانة أبناء عبد الكبير، المطارفة. ص-ص(٢٤-٢٣).

٥٥- محمد (باي بلعالم) الغصن الداني. ص٦٠. وقد أوردها كلها معتمدًا في ذلك على النسخة الثانية في شكل تعليق عليها.

٥٦- يرجى الرجوع إلى: ن١، ص٠١، ون٢ ص٠١.

٥٧- مثل: الرحلة الشوقية، وتحفة المجتاز إلى معالم أرض الحجاز. ينظر: - البكراوي (محمد). درة الأقلام. ص ٤٨.

٥٨- العلوي سعيد (بن سعيد). أوربا في مرآة الرحلة. منشورات كلية الأدب والعلوم الإنسانية. الرباط. جامعة محمد الخامس المملكة المغربية. ١٩٩٥م. ص١٥.

٥٩- يدعي سكان قرية زاوية التي بها سبعة قباب بأن هذه القباب هي قباب من افتتحها من الصحابة والتابعين لكن الشيخ انتقدهم أنهم لم يعينوا أسماء هؤلاء الصحابة والتابعين يرجع إلى: - التنيلاني (عبد الرحمن بن عمر). الرحلة. ص ١١.

٦٠- نفسه. ص ٧٢.

٦١- كروم (عبد الله). الرحلات بإقليم توات دراسة تاريخية وأدبية للرحلات المخطوطة. دار حلب الجزائر. ٢٠٠٧م. ص ١٢٥.

٦٢- (عبد الرحمن بن عمر). الرحلة. (ن ١). ص٢٠.

٦٣- العلوي. أوربا في مرآة الرحلة. ص ١٥.

٦٤- خزانة مولاي سليمان بن علي بقصر ادغا. بلدية تيمي أدرار. المشرف عليها هو السيد مولاي علي سليماني الادغاغي.

٦٥- خزانة الشيخ الحاج محمد باي بلعالم بمدرسته بضاحية الركينة بمدينة أولف. أدرار.

٦٦- الوليد (بن الوليد). جريدة أنساب علماء توات. مخطوط بخزانة أبي عبد الله. أدرار. ص ١٦.

٦٧- سيد المحفوظ بن محمد بن سالم: ولد بقصر أولاد أوشن تعلم مبادئ العلم من الكتاتيب بهذا القصر فحفظ القرآن الكريم. وهو ابن ثلاثة عشر سنة بمدرسة الشيخ سيدي محمد بن عبد الرحمن ابن عمر. تربّع على سجادة شيخه محمد بن عبد الرحمن بن عمر التنيلاني بعد وفاته ١٢٣٣هـ ليقوم مقامه في التدريس. فكان ماهرًا في أصول الفقه والتفسير وبقي على هذا الحال إلى أن وافته المنية يوم ١٤ ذو الحجة ١٢٤٩هـ ودفن بمقبرة أولاد أوشن خلّف لنا هذا الأخير العديد من المخطوطات التي دوّنها بيده بوصفه نسّاخًا متقنًا منها: (موطأ الإمام مالك) و(خليل) والقرآن الكريم كاملًا ....وغيرها من المخطوطات والمنسوخات الأخرى. للتوسع يراجع:- سليماني (علي). الندوة الرابعة للشيخ سيدي مولاي سليماني بن علي (رضي الله عنه). قصر أولاد وشن. يوم الخميس ١٩جمادى الأولى. ٢٠٠٩م. ص ٠٦.

٦٨- خزانة بن الوليد الحاج الوليد بقصر أباعبد الله بلدية تيمي أدرار. المشرف على هذه الخزانة ابنه الأستاذ الحاج عبد القادر ابن الوليد.

٦٩- التنيلاني (عبد الرحمن بن عمر). الرحلة. ص ٠١.

٧٠- نفسه. ص٠١.

٧١- نفسه. ص١٨.

٧٢- الوليد بن محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن بن الوليد ابن منصور بن القاسم بن عبد الكريم بن أحمد ابن يوسف. ولد بقصر أبي عبد الله أولاد أوشن. عام ١٩٢٥م. درس القرآن وأخذ مبادئ الفقه والعربية بالمدرسة البكرية بتمنطيط. وذلك بعد وفاة أبيه. بعد أن أتمّ رحلته التعليمية سافر إلى مدينة البيض. ثم إلى عين الصفراء وقصر الشلّالة القبلية (بالجنوب الجزائري)؛ حيث أمّ بالناس درّس القرآن والفقه واللغة العربية. وفي عام ١٩٦٥م دخل ميدان التعليم كمعلم بالمدرسة الابتدائية إلى أن تقاعد سنة ١٩٩٤م ليتفرّغ بعدها إلى ترميم وجمع المخطوطات التواتية. كما اهتمّ بدراسة تاريخ المنطقة وعلمائها،؛ حيث كان عضوًا ومؤسسًا لجمعية الأبحاث والدراسات التاريخية لولاية أدرار. وبقي فيها إلى أن توفي وعمره يناهز (٨٠ سنة) يوم ٢١ جانفي ٢٠٠٤م. حاول التأليف والتدوين فكانت خاتمة جهده مجموعة طيبة من الأعمال منها: كتاب (قرة الأعيان في ذكر علماء تنيلان) وديوان شعري كبير متنوع في الشعر الملحون. ومخطوطات في الأنساب وسير الأعيان وعلماء المنطقة. وله قصائد

في المدح والرثاء وغيرها، كما له قصيدة على الثورة الجزائرية. للتوسع يراجع: - الوليد (ابن الوليد) قرة الأعيان في ذكر علماء تنيلان، مخطوط بخزانة أبي عبد الله، أدرار، ص١٢- الشابي (سعاد)، دراسة وصفية لخزانة أبي عبد الله ، الملتقى الوطني الثالث البحث العالمي ودوره في خدمة التراث، ١٦/١٥ أفريل جامعة أدرار ،ص١١٢- باي (بلعالم محمد)، الرحلة العلية إلى منطقة توات، ج١، ج٢، دار الأمة، ٢٠٠٥م، ص٤١٠- بن الوليد (عبد القادر)، "الوليد أبن الوليد"، مجلة النخلة، ع٥٤، الجزائر، أدرار، جوان ٢٠٠٨م، ص ٢٢.

٧٣- وقد أشار إلى ذلك الشيخ باي بلعالم في إحدى محاضرته من أن الشيخ حمزة الفلاني كتب نسخة من هذه الرحلة؛ حيث يقول: "...ورحلته موجودة بخط الشيخ سيدي حمزة لكن مع الأسف تلاشت وتقطعت ولم يبق منها إلا القليل ...".ينظر: - باي (بلعالم محمد)، لمحات من خلال المخطوطات التي لم تطبع عن علماء وآباء توات، الأسبوع الثقافي المنعقد بأدرار في ١٣- ٢٠ ،١٩٨٠م ص ٠٢.

٧٤- التنيلاني (عبد الرحمن بن عمر)، الرحلة، ن٢ ،ص ،ص (٠٦-٠٩).

٧٥- نفسه ن١ ،ص،ص ٠٧- ١١ ،أما ن٢، ص ،ص (٠٢-٠٤).

٧٦- نفسه ن١ ،ص،ص ١٤-١٨، أما ن ٢، ص، ص (٠٥-٠٦).

٧٧- الغرياني الصادق (بن عبد الرحمان)، تحقيق نصوص التراث في القديم والحديث، دار ابن جرم ، لبنان، ٢٠٠٦م، ص ٢٨.

٧٨- العسقلاني (أبو الفضل أحمد بن علي)، التلخيص الحبير في تخريج أحاديث الرافعي الكبير، باب استحباب خطبة النكاح، ج٢، دار الكتب العلمية، ص-ص (٢٢٢-٢٢٣).

٧٩- للتوسع ينظر: - باي بلعالم، قبيلة فلان في الماضي والحاضر وما لها من العلوم والمعرفة والمآثر، دار الأمة، الجزائر ٢٠٠٥م، ص١٢.

٨٠- الفلاني (أبو عبد الله بن أحمد)، الرحلة في طلب العلم، مخطوط بخزانة مولاي علي سليماني، أدغا، الورقة ٠٢.

٨١- عمر بن عبد الرحمان، صاحب زاوية مهدية.

٨٢- التنيلاني (عبد الرحمن بن عمر)، الرحلة، الورقة ٠١.

٨٣- هذه المعلومة المهمة انفرد بها الشيخ في مخطوطه هذا، أما المصادر الأخرى فتسميه شيخ الركب فقط.

٨٤- يريد المؤلف من ذلك الطريق الجنوبي الذي يقع تحت الأقاليم التواتية، وقد كان غالبية حجيج توات يمرون به، وهو سهل يسير على الطريق الشمالي المار من المناطق التواتية الشمالية بحيث يبدأ من تسابيت ثم اوقروت ومنها إلى توقرت وورقلة وغيرها، وقد شهد الرحالة المغربيين بذلك ومنهم: - القيسي (ابن أحمد)، أنس الساري والسارب، تح وتق: محمد الفاسي، وزارة الدولة، المكلفة بالشؤون الثقافية والتعليم الأصلي، فاس، ١٩٦٨م، ص ١٢٢.

٨٥- هذا الطريق عبارة عن جبال متلاصقة مع بعضها البعض المؤلف ذكر بأنها طريق صعبة يمكن الرجوع إلى:- عبد العزيز (صريح شرف)، جغرافية ليبيا، مركز الإسكندرية للكتاب، ط٢، مصر، ٢٠٠٨م، ص ٨٢.

٨٦- نفسه.

٨٧- للتعرف على تفاصيل الحادثة يراجع: - التنيلاني (عبد الرحمن بن عمر)، الرحلة، ص-ص (١٥-١٧).

٨٨- لم يشرح المؤلف مناطق الحجاز شرحًا مفصلًا مثلما فصل في المناطق الأخرى وإنما اكتفى بذكرها ويعود ذلك إلى شهرتها.

٨٩- عن أبي هريرة ﷺ: أن رسول الله ﷺ قال: ﴿مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ، فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ، ومن كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ، فَلْيُكْرِمْ جَارَهُ، ومن كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ﴾، وزيد في حديث أبي شريح (جائزته)، قال: "وما جائزته يا رسول الله؟". قال: ﴿يَوْمٌ وَلَيْلَةٌ وَالضِيَافَةُ ثَلَاثَةُ أَيَامٍ﴾. .....(الحديث) أخرجه البخاري في صحيحه(٤٦١) في "باب إكرام الضيف" كما أخرجه مسلم (٥٦٧٢) في "باب من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره". للتوسع يراجع: - محمد بن إسماعيل (البخاري)، صحيح البخاري، ج٥، كتاب الأدب، باب إكرام الضيف، تح: مصطفى، ديب البغا، ط٣، دار ابن كثير بيروت ، ١٩٨٧م، ص ٢٢٧٢.

٩٠- التنيلاني (عبد الرحمن بن عمر)، الرحلة، الصفحة الأخيرة.

٩١- نفسه ص،ص (٠٩، ١٥،ن٢)، ص ٠٨.

٩٢- نفسه، ص،ص (١٥،١٤، ١٣).

٩٣- نفسه ن٢ ، ص،ص (٠٨-٠٩).

٩٤- نفسه ن٢، ص٠٧.

٩٥- نفسه ص ١١.

٩٦- نفسه، ن٢، ص ٠٧.

٩٧- يتضح هذا الأمر في مجمل الرحلات المغربية، وهو ما جعل المحققين لهذه الرحالة في بعض الأحيان يفردون

فهرسًا خاصًا بالكلمات المبهمة والمستعملة باللهجة العامية :ينظر مثلا: - القيسي (ابن أحمد)، أنس الساري والسارب، ص ١٩٢.

٩٨- التنيلاني (عبد الرحمن بن عمر)، الفهرسة، ص٧٧.

٩٩- التنيلاني (عبد الرحمن بن عمر)، الرحلة، ص٠١.

١٠٠- محمد المختار الولاتي، الرحلة الحجازية، ص. ١١.

١٠١- ماء العينين بن العتيق، الرحلة المعينية، تحقيق محمد الظريف، مطبعة المعارف الجديدة بالرباط، الطبعة الأولى، ١٩٩٨م.

١٠٢- مثل: كتاب المسالك والممالك لأبي عبد الله البكري وكذلك الاصطخري وغيره، وهذه الكتب تميزت بطابعها الجاف والخالي من التطرق إلى جماليات الطبيعة من الأنهار والوديان وغيرها.

١٠٣- جعفري (أحمد أبي الصافي)، الحركة الأدبية في أقاليم توات من القرن ٧هـ حتى نهاية القرن ١٢هـ، ج٢، منشورات الحضارة، الجزائر، ٢٠٠٩م، ص ١٤٨.

١٠٤- ينظر: - القيسي (ابن أحمد)، أنس الساري والسارب، ص -ص (٢٠-٢١) ويوجد هناك طريق من أوقروت إلى توقرت ثم ورقلة، وهو الذي سلكه العياشي: ينظر:- العياشي(أبو سالم)، الرحلة العياشية (ماء الموائد)، ج١، الرباط: دار المغرب، ١٩٧٧م، ص ١١١.

١٠٥- التنيلاني (عبد الرحمن بن عمر)، الرحلة، ص٧، في حين أن محمد بن أحمد القيسي يقول عند خروجه من أوقروت: "... ثم مرحلة بعد بين هذه المدشرة وبين مدشرة أوقروت آخر بلاد توات من تلك الناحية أقمنا به يومًا لنتهيأ قبل الدخول إلى الصحراء المعروفة بلأقر..." ينظر: - القيسي (ابن أحمد)، أنس الساري والسارب، ص٢٠.

١٠٦- الطريق الشمالي هو الطريق الذي كانت تسلكه العديد من الرحلات الشمالية مثل: ابن بطوطة وبعض الرحلات الجزائرية ويمتد من طنجة إلى تلمسان ومنها إلى الجزائر وتونس ...الخ

١٠٧- هذا الطريق سلكته بعض الرحلات الحجازية التواتية كما ورد في البعض منها.

١٠٨- التنيلاني (عبد الرحمن بن عمر)، الرحلة، ص١٢.

١٠٩- ينظر: - عبد العزيز (صريح شرف)، جغرافية ليبيا، ص٦٤.

١١٠- التنيلاني (عبد الرحمن بن عمر)، الرحلة، ص١١.

١١١- نفسه، ن٢، ص٠٤.

١١٢- نفسه، ن٢، ص٠٧.

١١٣- نفسه، ن٢، ص١٢.

١١٤- نفسه، ن٢، ص١٢.

١١٥- ينظر: - ابن بابا حيدة (محمد الطيب بن الحاج عبد الرحيم)، القول البسيط في أخبار تمنطيط، مخطوط بمدينة تمنطيط، ص ١٨١. - بن سويسي(محمد)، العمارة الدينية الإسلامية في منطقة توات، تمنطيط نموذجا خلال القرون: (٦-١٣)هـ/ (١٢م-١٩) م إشراف: عبد العزيز لعرج، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في الآثار الإسلامية، جامعة الجزائر، معهد الآثار، ٢٠٠٧م- ٢٠٠٨م، ص ٢١. - البكري (عبد الكريم ابن محمد)، الرحلات والتراجم، ج٢، ص١٩ - عبد الله عباس، الدور الحضاري لإقليم توات وتأثيراته في بلاد السودان الغربي ،رسالة ماجستير ، إشراف د. موسى لقبال، جامعة الجزائر،قسم التاريخ ،جامعة الجزائر ، ٢٠٠١م، ص١٢.

١١٦- ينظر: - يحي (ولد سيد أحمد)، ديوان الصحراء الكبرى المدرسة الكنتية والقصائد النيرات، ج١، وزارة الثقافة، الجزائر، ٢٠٠٩م، ص٢١. - الإدريسي (مولاي أحمد الطاهري)، نسيم النفحات في ذكر جوانب في أخبار توات، مخطوط خزانة سيدي عبد الله البلبالي، كوسام، ص ٩٩. - مقلاتي (عبد الله)، محفوظ (بوموم)، دور منطقة توات الجزائرية في نشر الإسلام والثقافة العربية بأفريقيا الغربية، وزارة الثقافة، الجزائر، ٢٠٠٩م، ص-ص١٥٢. - عقباوي (الأمين)، دور كنتة في نشر الإسلام بغرب أفريقيا، مجموعة محاضرات المهرجان الثقافي للتعريف بتاريخ منطقة توات والدراسات الإسلامية والعربية في أفريقيا، مركز جمعية الأبحاث التاريخية، أدرار: من ٢٧ إلى ٣٠جانفي، ١٩٨٨م، ص٠٦.

١١٧- ينظر: - الصديق (حاج أحمد)، التاريخ الثقافي لإقليم توات، منشورات مديرية الثقافة ،أدرار، ٢٠٠٥م، ص١١٩. - التنيلاني (عبد الرحمن بن عمر)، الفهرسة، ص١٨. - غيتاوي (مولاي التهامي)، سلسلة النواة في أبرز الشخصيات من علماء وصالحي إقليم توات، ج١، الجزائر، منشورات الشركة الوطنية للنشر والإشهار، ٢٠٠٥م، ص-ص(٦١-٧١).

١١٨- الإدريسي (الطاهري)، نسيم النفحات في ذكر جوانب في أخبار توات، مخطوط خزانة سيدي عبد الله البلبالي.

الأبعاد الجغرافية والسوسيو اقتصادية للمغرب الإسلامي من خلال مخطوط رحلة الشيخ عبد الرحمن بن عمر الأموي التنيلاني إلى الحج سنة ١١٨٨هـ/ ١٧٧٤م

كوسام، ص٩٢..

١١٩- جعفري (أمبارك)، العلاقات الثقافية، ص٢١- باي بلعالم، الرحلة العلية إلى منطقة توات، ج١، ص٩، - التومي (سعيدان)، سكان تديكلت والقدماء والاتكال على النفس، دار هومة، الجزائر، ٢٠٠٥م، ص ١٨، بن سويسي(محمد)، العمارة الدينية الإسلامية، ص ٠٥

١٢٠- ينظر: التومي (سعيدان)، سكان تديكلت، ص ٤٢.

١٢١- ينظر: - جعفري (أحمد)، الحركة الأدبية، ج١، ص ٣٢، - الصديق (حاج أحمد)، التاريخ الثقافي، ص-ص(٨٩-٩٠)، - باي (بلعالم محمد)، الرحلة العلية إلى منطقة توات، ج١، ص٢٥، - الوليد (ابن الوليد) قرة الأعيان في ذكر علماء تنيلان، مخطوط بخزانة أبي عبد الله، أدرار، ص ٢٧، - غيتاوي (التهامي)، سلسلة النواة، ج١، ص١٠٠.

١٢٢- ينظر: - التومي (سعيدان)، سكان تديكلت، ص-ص(٤٠،٤١)، - الإدريسي (الطاهري)، نسيم النفحات في ذكر جوانب في أخبار توات، مخطوط خزانة سيدي عبد الله البلبالي، كوسام، ص-ص(٧٢-٧٣)- عبد الله عباس، الدور الحضاري لإقليم توات، ص١٦.

١٢٣- ينظر: باي (بلعالم محمد)، الرحلة العلية إلى منطقة توات،ج١، ص٢٣.

١٢٤- الصديق (حاج أحمد) ، التاريخ الثقافي، ص١٢٢، - التومي (سعيدان)، سكان تديكلت، ص-ص(٤٠-٤١) - يحي (ولد سيد أحمد)، ديوان الصحراء الكبرى المدرسة الكنتية والقصائد النيرات، ج١، ص٢٠،هـ، - الإدريسي (الطاهري)، نسيم النفحات في ذكر جوانب في أخبار توات، ص-ص(٧٢-٧٤) - مقلاني (عبد الله)، محفوظ (ورموم)، دور منطقة توات الجزائرية، ص١٥١.

١٢٥- ينظر: - جعفري (أمبارك)، العلاقات الثقافية، ص-ص(١٦٩،١٨٨)، - الصديق (حاج أحمد)، التاريخ الثقافي ، ص١٢٣ - جعفري (أحمد)، الحركة الأدبية، ج١، ص٣٦، - لحبيب (بن عزيز)، بطاقة فنية عن الزاوية الركب النبوي سيدي أمحمد بن عبد الرحمن أبي نعامة بأقبلي، محاضرة بأدرار، في يوم ٢٠٠٤/٠١/٠٧م، ص-ص(٠١-٠٢).

١٢٦- ينظر: - محمد بل وبن عثمان فودي، إنفاق الميسور في تاريخ بلاد التكرور، تح: بهيجة الشاذلي، الرباط : منشورات معهد الدراسات الإفريقية، الطبعة الأولى، ١٩٩٦م، ص-ص(٤٨-٤٩)- محمد (بن محمد أبوعبد الله الإدريسي)، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، ج١، ص١٨،- البكري عبد الله (بن عبد العزيز)، المسالك والممالك، تح: جمال طلبة، ج٢، دار الكتب العلمية، لبنان، ٢٠٠٣م، ص٢٥٩، - الحميري (محمد بن عبد المنعم)، الروض المعطار في خبر الأقطار، تح: إحسان عباس، مكتبة لبنان، لبنان، ١٩٧٥م، ص١٢٤، و- أحمد (بن علي القلقشندي)، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، تح: محمد حين شمس الدين، ج٥، دار الفكر، لبنان، (ب. ت)، ص٢٧٥، - أبي الفداء (عماد الدين إسماعيل)، تقويم البلدان، مكتبة الثقافة الدينية، مصر، ٢٠٠٦م، ص٤٧، وياقوت (الحموي)، معجم البلدان، ج٢، ص-ص(٢٠-٢٨).

١٢٧- ينظر: - القشاط (محمد سعيد)، صحراء العرب الكبرى، دار الرواة، ليبيا، ١٩٩٤م، ص٢٠، - حوتية (محمد)، توات والأزواد خلال القرنين١٢-١٣هـ، ج١، الجزائر: دار الكتاب العربي، ٢٠٠٧م، ص٣٦، - القيسي (ابن أحمد)، أنس الساري والسارب، ص١٣٢، - التومي (سعيدان)، سكان تديكلت، ص-ص(٢٣-٢٤)، - عبد الله عباس، الدور الحضاري لإقليم توات، ص١٢

١٢٨- ينظر: - البوحامدي أحمد (بن محمد)، نبذة تاريخية مختصرة تقتصر على مهمات تاريخ عين صالح وتأسيس قصورها وقبائل مستوطنه، مخطوط بحوزة بن إبراهيم إبراهيم، عين صالح، ص٠١، - التومي (سعيدان)، سكان تديكلت، ص ٢٣ - الإدريسي (الطاهري)، نسيم النفحات في ذكر جوانب في أخبار توات، ص٦٧، - عبد الله عباس، الدور الحضاري لإقليم توات، ص-ص(١٢-١٤).

١٢٩- ينظر: - التومي (سعيدان)، سكان تديكلت، ص-ص(٢٤، ٣٣).

١٣٠- القيسي (ابن أحمد)، أنس الساري والسارب، ص٢٢.

١٣١- ينظر: - الإدريسي (الطاهري)، نسيم النفحات في ذكر جوانب في أخبار توات، ص ١١٢.

١٣٢- ينظر: - أبو عبد الله الإدريسي، نزهة المشتاق، ج١، ص١١٢، - أبو القاسم (ابن حوقل)، صورة الأرض، ج١، مطبعة بريل ليدن، ط٢، ١٩٦٨م، ص٩٢، - الحميري، الروض المعطار، ص٤٤٠، - القشاط (محمد سعيد)، عرب الصحراء الكبرى التوارق، الدر العربية للموسوعات، لبنان، ٢٠٠٨م، ص ٢٢، وأيضًا: - ياقوت (الحموي)، معجم البلدان، ج٤، ص٢٦٠، - الوزان (حسن)، وصف

إفريقيا، ج٢، تر. محمد حجي ومحمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي، بيروت: ١٩٨٣م، ص١٩٦. - محمد (بن عثمان الحشائشي)، الرحلة الصحراوية، تر: محمد (المرزوقي)، دار التونسية، تونس، ١٩٨٨م، ص ١٦٤.

١٢٣- ينظر: - القيسي (ابن أحمد)، أنس الساري والسارب، ص٢٢.

١٢٤- ينظر: - الإدريسي (الطاهري)، نسيم النفحات في ذكر جوانب في أخبار توات، مخطوط خزانة سيدي عبد الله البلبالي، كوسام، ص ١١٢.ينظر: - القشاط، عرب الصحراء الكبرى التوارق، ص٢٩، - جاك (تيري)، تاريخ الصحراء الليبية في العصور الوسطى، تر: جاد الله (عزوز الصلحي)، ط٢، منشورات اللجنة الشعبية العامة للثقافة والأعلام، ليبيا، ٢٠٠٨م، ص٢٥٧.

١٢٥- ينظر: - أبو عبد الله الادريسي، نزهة المشتاق، ج١، ص١١٢، - إسماعيل (العربي)، الصحراء الكبرى وشواطئها، ش. و. ك. الجزائر ، ١٩٨٣م، ص١٢٢، - جاك (تيري)، تاريخ الصحراء الليبية ، ص٤٩١.

١٢٦- ينظر: - القشاط، عرب الصحراء الكبرى التوارق، ص٢١، - إسماعيل (العربي)، الصحراء الكبرى وشواطئها ص١٢٢، - الحشائشي، الرحلة الصحراوية، ص١٣٥، -علي حامد (خليفة الطيف)، المراكز التجارية الليبية وعلاقتها مع ممالك السودان الأوسط وآثارها على الحياة الاجتماعية خلال القرنين ٨هـ- ٩هـ/ ١٤م - ١٥م، منشورات جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، ليبيا، ٢٠٠٢م، ص٤٧.

١٢٧- ينظر: - القيسي (ابن أحمد)، أنس الساري والسارب، ص٢٤، - القشاط، عرب الصحراء الكبرى التوارق، ص٣٢، - خليفة الطيف، المرجع السابق، ص٤٧.

١٢٨- ينظر: - أبو عبد الله الإدريسي، نزهة المشتاق، ج١، ص٢٨٢، وأيضًا: - البكري (عبد الله)، المسالك والممالك، ج٢، ص١٨٢، - ياقوت (الحموي)، معجم البلدان، ج٣، ص١٥٩، - أبي الفداء (عماد الدين)، تقويم البلدان، ص١٧٠، - الحميري، الروض المعطار، ص٢٩٦، - ابن خلدون (عبد الرحمن)، كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر...مج٦، لبنان: دار الكتب العلمية، ١٩٩٢م، ص١٨٨، - البروسوي محمد(بن علي)، أوضح المسالك إلى معرفة البلدان والممالك، تح: المهدي عبد الرواضية، دار الغرب الإسلامية، لبنان، ٢٠٠٦م، ص٣٦٧.

١٢٩- ينظر: القيسي (ابن أحمد)، أنس الساري والسارب، ص٢٥.

١٤٠- ينظر:- البكري (عبد الله)، المسالك والممالك، ج٢، ص١٨٤- الحميري، الروض المعطار، ص١٢٩- القيسي (ابن أحمد)، أنس الساري والسارب، ص٢٥، - جاك (تيري)، تاريخ الصحراء الليبية، ص٤٥٧.

١٤١- ينظر: - الإدريسي، نزهة المشتاق، ج١، ص٢١٢، - البكري (عبد الله)، المسالك والممالك، ج٢، ص١٨٤، - ابن حوقل(أبو القاسم محمد)، صورة الأرض، القاهرة: دار صادر، ١٩٢٨م، ص٦٧، - ياقوت (الحموي)، معجم البلدان، ج١، ص٢٦٧، - ابن خلدون (عبد الرحمن)، كتاب العبر، مج٦، ص١٨١، -الحميري، الروض المعطار، ص٦٤، - القيسي (ابن أحمد)، أنس الساري والسارب، ص٢٥.

١٤٢- ينظر: - جاك (تيري)، تاريخ الصحراء الليبية، ص ٤٤١، - إسماعيل (العربي)، الصحراء الكبرى وشواطئها، ص١٢٤، ينظر: - عبد العزيز (طريح شرف)، الجغرافيا المناخية والنباتية ج٢ ، بلا ناشر، ١٩٧١ م، ص-ص(٦٤-٦٥) .

١٤٣- ينظر: - القيسي (ابن أحمد)، أنس الساري والسارب، ص٢٦.

١٤٤- ينظر: - البكري (عبد الله)، المسالك والممالك، ج٢ ص١٨٧، - أبي الفداء (عماد الدين)، تقويم البلدان، ص١١٥، - القلقشندي بن علي (أحمد)، صبح الأعشى، ج٢، ص ٤٤٦، - الحميري، الروض المعطار، ص ٦٠٠.

١٤٥- ينظر: - العياشي(أبو سالم)، الرحلة العياشية، ج١، ص٢٠٥

١٤٦- ينظر: - القيسي (ابن أحمد)، أنس الساري والسارب، ص٢٧.

١٤٧- نفسه.

١٤٨- للتوسع ينظر: - خليفة الطيف، المراكز التجارية الليبية، ص٥٥.

١٤٩- للتوسع ينظر:- ياقوت (الحموي)، معجم البلدان ، ج١، ص٨٠- أبي الفداء (عماد الدين)، تقويم البلدان، ص١١٤.

١٥٠- للتوسع ينظر: - القيسي (ابن أحمد)، أنس الساري والسارب، ص١٢١.

١٥١- للتوسع ينظر: - القلقشندي بن علي (أحمد)، صبح الأعشى، ج٥ ص١٢٠.- المقريزي (أحمد)، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، تح: خليل المنصور، ج٢،

دار الكتب العلمية، لبنان، ١٩٩٨م، ص٢٠١. - بن تغري بردي (يوسف). النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، تح: مصطفى السقا، وكامل المهندس، مطبوعات دار الكتب والوثائق القومية، مصر، ١٩٦٩م، ص١٨٠. - عبد الرحمن (السيوطي حسن)، حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة، تح: خليل المنصور، ج٤، دار الكتب العلمية، لبنان، ١٩٩٧م، ص٢١.

١٥٢- للتوسع ينظر: - الطبري (محمد)، تاريخ الأمم والملوك، ج٣، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٣، ٢٠٠٥م، ج٢، ص٦٥٧. - القلقشندي بن علي (أحمد)، صبح الأعشى، ج١٤ ص٤٢١. - القيسي (ابن أحمد)، أنس الساري والسارب، ص ١٢٨.

١٥٣- نفسه، ص٧١، وللتوسع أيضًا يراجع: - العياشي(أبو سالم)، الرحلة العياشية، ج١، ص ٢٧٦.

١٥٤- للتوسع ينظر: - ياقوت (الحموي)، معجم البلدان، ج١، ص٢٩٢. - الحميري، الروض المعطار، ص٧٠. - القلقشندي بن علي (أحمد)، صبح الأعشى، ج٢، ص٤٤٤. - البروسوي محمد (بن علي)، أوضح المسالك، ص١٧٣.

١٥٥- للتوسع ينظر: - أبي الفداء (عماد الدين)، تقويم البلدان، ص٩٦، وأيضًا: - ابن حوقل (أبو القاسم)، صورة الأرض، ص٣٢. - الحميري، الروض المعطار، ص٦٢١

١٥٦- للتوسع ينظر: - العياشي(أبو سالم)، الرحلة العياشية، ج١، ص٢٨٩.

١٥٧- نفسه، ص٢٩٠.

١٥٨- نفسه، ص٢٩٠. - أحمد بن خبير (أبوالحسين)، المصدر السابق، ص٢٨٢.

١٥٩- للتوسع ينظر: - الحميري، الروض المعطار، ص٢٠٥. - القلقشندي بن علي (أحمد)، صبح الأعشى، ج٢، ص٤٤٥.

١٦٠- للتوسع ينظر: - العياشي(أبو سالم)، الرحلة العياشية، ج١، ص-ص(٢٠٧-٢٠٨).

١٦١- للتوسع ينظر: - الأزرقي (ابن الوليد محمد)، أخبار مكة، تح: رشيدي الصالح ملحس، ط٦، مطابع دار الثقافة، السعودية، ١٩٩٤م، ص٢٩٧. - ياقوت (الحموي)، معجم البلدان، ج٤، ص٤٤١.

١٦٢- للتوسع ينظر: - البكرى الأندلسي، معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، مج٣، ص٩٤٢ - ياقوت الحموى - معجم البلدان، مج٤، ص١٢١. ابن بطوطه، رحلة ابن بطوطه، مج١ ص٩٧

١٦٣- للتوسع ينظر: - العياشي(أبو سالم)، الرحلة العياشية، ج١، ص٣٠٨.

١٦٤- للتوسع ينظر: - القيسي (ابن أحمد)، أنس الساري والسارب، ص٩١

١٦٥- للتوسع ينظر: - ياقوت (الحموي)، معجم البلدان، ج٤، ص٢٠٢- ابن خلدون (عبد الرحمن)، كتاب العبر، مج٢، ص ٤٢٢- للتوسع ينظر: - الحميري، الروض المعطار، ص-ص(٤٥٢-٤٥٣). - ابن الأثير (عز الدين)، الكامل في التاريخ، تح: عبد الله القاضي، ج٢، دار الكتب العلمية، لبنان، ط٣، ١٩٩٨م، ص٨ - جمال الدين (الجوزي)، المرجع السابق، ج٢، ص٦٥٠.

١٦٦- للتوسع ينظر: - أبو عبد الله الإدريسي، نزهة المشتاق، ج١، ص٢١٢ - البكري (عبد الله)، المسالك والممالك، ج٢، ص١٨٤. - الحميري، الروض المعطار، ص٢٨٢. - القيسي (ابن أحمد)، أنس الساري والسارب ، ص٢٥ - جاك (نيري)، تاريخ الصحراء الليبية، ص٤٤٥. - ابن خلدون (عبد الرحمن)، كتاب العبر، مج٦، ص١٨٨.

١٦٧- العياشي(أبو سالم)، الرحلة العياشية، ج١، ص١٩٧ - الحاج (بن أبي الشيخ أمحمد)، قصيدة في مدح الحجاز، مخطوط بخزانة أبي نعامة، أقبلي، أدرار، ص٠١

١٦٨- العياشي(أبو سالم)، الرحلة العياشية، ج١، ص-ص(٢٧٩-٢٨٠).

١٦٩- للتوسع ينظر: - ياقوت (الحموي)، معجم البلدان، ج١، ص٢٥٧. - بن الأثير (عز الدين)، الكامل في التاريخ، ج٢، ص١٨ - الحميري، الروض المعطار، ص٨٤.

١٧٠- للتوسع ينظر: - القيسي (ابن أحمد)، أنس الساري والسارب ، ص٢١.

١٧١- نفسه، ص٢٦.

١٧٢- نفسه، ص٢٦.

١٧٣- للتوسع ينظر: - العياشي(أبو سالم)، الرحلة العياشية، ج١، ص٤٠٧.

١٧٤- للتوسع ينظر: - البكري (عبد الله)، المسالك والممالك، ج١، ص٢٢١. - الحميري، الروض المعطار، ص١٤٧. - العياشي(أبو سالم)، الرحلة العياشية، ج١، ص٢٧٩ ها.

١٧٥- حملي (الحاج العباس باشا الثاني)، الرحلة الحجازية، تح: محمد لبيب (التبنوني)، مكتبة الثقافة الدينية، مصر، ١٩٩٥م.

١٧٦- للتوسع يراجع: - البلاذري: معجم معالم الحجاز، ج٧، ص-ص(٩٦-٩٩).

١٧٧- للتوسع ينظر: - القشاط، عرب الصحراء الكبرى التوارق، ص٥٧.

١٧٨- التومي (سعيدان)، سكان تنبكلت، ص١٤٩.

١٧٩- للتوسع ينظر: - القشاط، عرب الصحراء الكبرى التوارق، ص٥٨.

١٨٠- نفسه، ص٦١ - العياشي(أبو سالم)، الرحلة العياشية، ج١، ص ٢٠٨ها.

١٨١- التومي (سعيدان)، سكان تنبكلت، ص١٤٧.

١٨٢- للتوسع ينظر: - القشاط، عرب الصحراء الكبرى التوارق، ص٥٧.

١٨٣- التنيلاني (عبد الرحمن بن عمر)، الرحلة، ص١٤.

١٨٤- نفسه، ص٠٩.

١٨٥- يقول الشيخ عن الزحام: "فلما توسطنا بعض أزقة المدينة كثر الزحام." ينظر: - التنيلاني، الرحلة، ص ١٥.

١٨٦- نفسه، ص١١.

١٨٧- ينظر: - أبو عبد الله الإدريسي، نزهة المشتاق، ج١، ص٢٨٢، وأيضًا: - البكري (عبد الله)، المسالك والممالك، ج٢، ص١٨٢. - ياقوت (الحموي)، معجم البلدان، ج٣، ص١٥٩. - أبي الفداء (عماد الدين)، تقويم البلدان، ص١٧٠. - الحميري، الروض المعطار، ص٢٩٦. - ابن خلدون (عبد الرحمن)، كتاب العبر، مج٦، ص١٨٨. - البروسوي محمد(بن علي)، أوضح المسالك، ص٢٦٧.

١٨٨- التنيلاني (عبد الرحمن بن عمر)، الرحلة، ص١١.

١٨٩- ينظر: - أبو عبد الله الادريسي، نزهة المشتاق، ج١، ص٢١٢. - البكري (عبد الكريم بن محمد)، الرحلات والتراجم، ج٢، ص١٨٤. - ابن حوقل(أبو القاسم)، صورة الأرض، ص٦٧. - ياقوت (الحموي)، معجم البلدان، ج١، ص٢٦٧، وأيضًا:- ابن خلدون (عبد الرحمن)، كتاب العبر، مج٦، ص١٨١. - الحميري، الروض المعطار، ص٦٤. - القيسي (ابن أحمد)، أنس الساري والسارب، ص٢٥. - جاك (نيري)، تاريخ الصحراء الليبية، ص٤٤١.

١٩٠- ابن عمر التنيلاني، الرحلة، ص١٢.

١٩١- ينظر: يحي (ولد سيد أحمد)، ديوان الصحراء الكبرى، ج١، ص٢١. - الإدريسي (الطاهري)، نسيم النفحات في ذكر جوانب في أخبار توات، مخطوط خزانة سيدي عبد الله البلبالي، كوسام، ص ٩٩. - مقلاني (عبد الله)، محفوظ (ورموم)، دور منطقة توات الجزائرية، ص١٥٢. - عقباوي (الأمين)، دور كتامة في نشر الإسلام بغرب أفريقيا، مجموعة محاضرات المهرجان الثقافي للتعريف بتاريخ منطقة توات والدراسات الإسلامية والعربية في أفريقيا، مركز جمعية الأبحاث التاريخية، أدرار، من ٢٧ إلى ٣٠جانفي، ١٩٨٨م، ص٠٦.

١٩٢- ينظر: - الصديق (حاج أحمد)، التاريخ الثقافي، ص١١٩. - التنيلاني (عبد الرحمن بن عمر)، الفهرسة، ص١٨. - غيثاوي (التهامي)، سلسة النواة، ج١، ص-ص(٦١-٧١).

١٩٣- ينظر: - جعفري (أحمد)، الحركة الأدبية، ج١، ص ٣٢. - الصديق (حاج أحمد)، التاريخ الثقافي، ص-ص(٨٩-٩٠). - باي (بلعالم محمد)، الرحلة العلية إلى منطقة توات، ج١، ص٣٥. - الوليد (بن الوليد)، ذكر بعض علماء توات وتيمي، بخزانة أبي عبد الله، أدرار، ص ٢٧. - غيثاوي (التهامي)، سلسة النواة، ج١، ص١٠٠.

١٩٤- ينظر: - أحمد (بابا التنبكتي)، نيل الابتهاج بتطريز الديباج، ج٢، تح: حلمي عمر، مكتبة الثقافة الدينية، مصر، ٢٠٠٤م، ص٢٦٤. - أحمد (بابا التنبكتي)، كفاية المحتاج لمعرفة من ليس في الديباج، تح: عبد الله الكندري، دار بن حزم، ٢٠٠٢م، ص٤٥٥. - محمد ابن محمد (مخلوف)، شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، دار الفكر، لبنان، (ب، ت)، ص ٢٧٤. - العباس (السملالي)، الإعلام بمن حلّ بمراكش وأغمات من الأعلام، مر: عبد الوهاب بن منصور، المطبعة الملكية، الرباط، ط٢، ١٩٩٩م، ص ١٠٦. - الشفشاني (محمد بن عسكر)، دوحة الناشر لمجلس من كان بالمغرب من المشايخ القرن العاشر، تح: محمد حاجي، منشورات مركز التراث المغربي، ط٣، المغرب، ٢٠٠٣م، ص-ص(١٩٦- ١١٧)- أبو القاسم (الحفناوي)، تعريف الخلف برجال السلف، ج١، تح، خير الدين شترة، الجزائر، دار كردادة، ص ١٩٧.

١٩٥- ينظر: جعفري (أمبارك)، العلاقات الثقافية، ص-ص(١٨٨، ١٦٩)، وأيضًا: - الصديق (حاج أحمد)، التاريخ الثقافي، ص١٢٣. - جعفري (أحمد)، الحركة الأدبية، ج١، ص٢٦. - لحبيب (بن عزيز)، بطاقة فنية عن الزاوية الركب النبوي سيدي أمحمد بن عبد

الرحمن أبي نعامة بأقبلي، محاضرة بـأدرار، في يوم ٢٠٠٤/٠١/٠٧م، ص-ص (٠١-٠٢).

١٩٦- التنيلاني (عبد الرحمن بن عمر)، الرحلة، ص ٠٢.

١٩٧- نفسه، ص ٠٩.

١٩٨- نفسه، ن٢، ص٠٦.

المصادر والمراجع

١- ابن الأثير (عز الدين)، **الكامل في التاريخ**، تح: عبد الله القاضي، ج٢، دار الكتب العلمية، لبنان، ط٣، ١٩٩٨م.

٢- أحمد (بابا التنبكتي)، **كفاية المحتاج لمعرفة من ليس في الديباج**، تح: عبد الله الكندري، دار بن حزم، ٢٠٠٢م.

٣- أحمد (بابا التنبكتي)، **نيل الابتهاج بتطريز الديباج**، ج٢، تح: حلمي عمر، مكتبة الثقافة الدينية، مصر، ٢٠٠٤م.

٤- الإدريسي (الطاهري)، **نسيم النفحات في ذكر جوانب في أخبار توات**، مخطوط خزانة سيدي عبد الله البلبالي، لبنان، ١٩٧٥م.

٥- الأزرقي (ابن الوليد محمد)، **أخبار مكة**، تح: رشيدي الصالح ملحسن، ط٦، مطابع دار الثقافة، السعودية، ١٩٩٤م.

٦- إسماعيل (العربي)، **الصحراء الكبرى وشواطئها**، ش.و.ك، الجزائر، ١٩٨٣م.

٧- ابن بابا حيدة (محمد) الطيب بن الحاج عبد الرحيم)، القول **البسيط في أخبار تمنطيط**، مخطوط بمدينة تمنطيط.

٨- باي (بلعالم محمد)، **الرحلة العلية إلى منطقة توات**، ج١، ج٢، دار الأمة، ٢٠٠٥م.

٩- باي (بلعالم محمد)، **الغصن الداني في ترجمة وحياة الشيخ عبد الرحمن بن عمر التينيلاني**، الجزائر: دار هومة، ٢٠٠٤م.

١٠- باي (بلعالم محمد)، لمحات من خلال المخطوطات التي لم تطبع عن علماء وآباء توات، **الأسبوع الثقافي المنعقد بأدرار** في ١٢-٢٠، ١٩٨٠م.

١١- البرتلي (ابن عبد الله الطالب محمد)، **الفتح الشكور في معرفة علماء التكرور**، تح: محمد الكتاني ومحمد حجي، بيروت: دار الغرب الإسلامي، ١٩٨١م.

١٢- البكراوي (محمد بن عبد الكريم)، **درة الأقلام في أخبار المغرب بعد الإسلام**، مخطوط بالخزانة البكرية، تمنطيط- وبخزانة أبناء عبد الكبير، المطارفة.

١٣- بعثمان (عبد الرحمان)، الدور العلمي للزاوية التنيلانية، **الملتقى الوطني الربع إسهامات علماء توات في الحركة الفكرية والثقافية أبان العصر الحديث** ١٥٠٠-٢٠٠٠م.

١٤- البروسوي محمد (بن علي)، **أوضح المسالك إلى معرفة البلدان والممالك**، تح: المهدي عبد الرواضية، دار الغرب الإسلامية، لبنان، ٢٠٠٦م.

١٥- البكري عبد الله (بن عبد العزيز)، **المسالك والممالك**، تح: جمال طلبة، ج٢، دار الكتب العلمية، لبنان، ٢٠٠٣م.

١٦- البلبالي محمد، **غاية الأماني**، مخطوط بخزانة مولاي سليمان بن علي، أدغاغ، أدرار.

١٧- البلبالي (بن عبد الرحمن محمد)، **غنية السائل فيما وقع بتوات من المسائل**، مخطوط بخزانة مملوكة، أدرار.

١٨- البلبالي (محمد عبد الكريم)، **الكتاب الجامع لفتوى أبي زيد التنيلاني**، مخطوط خزانة مولاي سليمان بن علي، أدغاغ، أدرار.

١٩- التمنطيطي (محمد بن عبد الكريم بن عبد الحق)، **جوهرة المعاني في تعريف علماء الألف الثاني**، خزانة تمنطيط، أدرار، مخطوط، خزانة شاري الطيب بن عبد الله كوسام.

٢٠- التمنطيطي (محمد بن عبد الكريم)، **تقييد حول تاريخ تمنطيط وتوات**، مخطوط بالخزانة البكرية.

٢١- التادمكي (محمد الأمين الأنصاري)، **القواعد النفيسة في شرح المعرب**، دار البخاري، السعودية، ١٩٩٦م.

٢٢- التنيلاني (عبد الرحمن بن عمر)، **رحلة عبد الرحمن بن عمر التنيلاني إلى الحج**، مخطوط بخزانة أبا عبد الله إدرار.

٢٣- التنيلاني (عبد الرحمن بن عمر)، **فهرسة عبد الرحمن بن عمر التنلاني التواتي**، خزانة الطيب الشاري، كوسام، أدرار.

٢٤- التومي (سعيدان)، **سكان تديكلت والقدماء والاتكال على النفس**، دار هومة، الجزائر، ٢٠٠٥م.

٢٥- ابن تغريبردي (يوسف)، **النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة**، تح: مصطفى السقا، وكامل المهندس، مطبوعات دار الكتب والوثائق القومية، مصر، ١٩٦٩م.

٢٦- جاك (ثيري)، **تاريخ الصحراء الليبية في العصور**

الوسطى. تر: جاد الله (عزوز الصلحي)، ط ٢، منشورات اللجنة الشعبية العامة للثقافة والأعلام، ليبيا، ٢٠٠٨م.

٢٧- جعفري (أحمد أبي الصافي)، **الحركة الأدبية في أقاليم توات من القرن ٧هـ حتى نهاية القرن ١٣هـ**، ج٢، منشورات الحضارة، الجزائر، ٢٠٠٩م.

٢٨- جعفري (أمبارك)، **العلاقات الثقافية بين توات والسودان الغربي خلال القرن الثاني عشر الهجري**، وزارة الثقافة، الجزائر، ٢٠٠٩م.

٢٩- الحاج (بن أبي الشيخ أمحمد)، **قصيدة في مدح الحجاز**، مخطوط بخزانة أبي نعامة، أقبلي، أدرار.

٣٠- حملي (الحاج العباس باشا الثاني)، **الرحلة الحجازية**، تح: محمد لبيب (التينوني)، مكتبة الثقافة الدينية، مصر، ١٩٩٥م.

٣١- الحميري (محمد بن عبد المنعم)، **الروض المعطار في خبر الأقطار**، تح: إحسان عباس، مكتبة لبنان، لبنان، ١٩٧٥م.

٣٢- ابن حوقل (أبو القاسم)، **صورة الأرض**، ج١، مطبعة بريل ليدن، ط٢، ١٩٦٨م.

٣٣- حوتية (محمد)، **توات والأزواد خلال القرنين١٢-١٣هـ**، ج١، الجزائر: دار الكتاب العربي، ٢٠٠٧م.

٣٤- ابن خلدون (عبد الرحمن)، **كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر**...مج٦، لبنان: دار الكتب العلمية، ١٩٩٢م.

٣٥- ابن سويسي(محمد)، **العمارة الدينية الإسلامية في منطقة توات، تمنطيط نموذجا** خلال القرون: (٦-١٣) هـ/ (١٢م - ١٩)م إشراف: عبد العزيز لعرج، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في الآثار الإسلامية، جامعة الجزائر، معهد الآثار، ٢٠٠٧م- ٢٠٠٨م.

٣٦- الشابي (سعاد)، دراسة وصفية لخزانة أبي عبد الله، **الملتقى الوطني الثالث البحث العالمي ودوره في خدمة التراث**، ١٥/١٦ أفريل جامعة أدرار.

٣٧- الصديق (حاج أحمد)، **التاريخ الثقافي لإقليم توات**، منشورات مديرية الثقافة ،أدرار، ٢٠٠٥م.

٣٨- الطبري (محمد)، **تاريخ الأمم والملوك**، ج٢، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ٢٠٠٥م.

٣٩- عبد الرحمن (بن عمر التواتي)، **مختصر الدر المصون**، خزانة الشيخ الحاج محمد باي بلعالم، الركينة، أولف، أدرار.

٤٠- عبد الرحمن (السيوطي حسن)، **حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة**، تح: خليل المنصور، ج٤، دار الكتب العلمية، لبنان، ١٩٩٧م.

٤١- عبد العزيز (طريح شرف)، **الجغرافيا المناخية والنباتية** ج٢ ، بلا ناشر، ١٩٧١م.

٤٢- عبد العزيز سيد اعمر، **العلم عماد الدين والإيمان وذكر مناقب العلماء حياة الإسلام**، مخطوط بخزانة زاوية مهدية، أدرار.

٤٣- عرباوي (عمر)، ألقاب أعلام التصوف ،مقاربة سوسيوتاريخية لحضور ألقاب التصوف في المخيال العربي الإسلامي ،الملتقى الدولي الحادي عشر، التصوف في الإسلام والتحديات المعاصرة ،ج٢،ع٢، **منشورات جامعة أدرار**،٢٠٠٨/٢٠٠٩م.

٤٤- عريان الرأس(بن محمد بن حسان)، **الشجرة المرجانية في التعريف بالأسرة البلبالية الركانية**، دار هومة، الجزائر ٢٠١٠م.

٤٥- العسقلاني (أبو الفضل أحمد بن علي)، **التلخيص الحبير في تخريج أحاديث الرافعي الكبير**، باب استحباب خطبة النكاح، ج٢، دار الكتب العلمية، (د.ت).

٤٦- عقباوي (الأمين)، دور كنتة في نشر الإسلام بغرب أفريقيا، مجموعة **محاضرات المهرجان الثقافي للتعريف بتاريخ منطقة توات والدراسات الإسلامية والعربية في أفريقيا**، مركز جمعية الأبحاث التاريخية، أدرار، من ٢٧ إلى ٣٠جانفي، ١٩٨٨م.

٤٧- العلوي سعيد (بن سعيد)، **أوربا في مرآة الرحلة**، منشورات كلية الأدب والعلوم الإنسانية، الرباط، جامعة محمد الخامس المملكة المغربية، ١٩٩٥م.

٤٨- عمر (عبد العزيز)، **قطف الزهرات من أخبار علماء توات**، الجزائر : دار هومة للنشر، ٢٠٠٤م.

٤٩- علي حامد (خليفة الطيف)، **المراكز التجارية الليبية وعلاقتها مع ممالك السودان الأوسط وآثارها على الحياة الاجتماعية خلال القرنين ٨هـ- ٩هـ/١٤م - ١٥م**، منشورات جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، ليبيا، ٢٠٠٣م.

٥٠- العياشي: ينظر:- العياشي(أبوسالم)، **الرحلة العياشية (ماء الموائد)**، ج١، الرباط: دار المغرب، ١٩٧٧م.

٥١- غيتاوي (مولاي التهامي)، **سلسلة النواة في أبرز الشخصيات من علماء وصالحي إقليم توات**، ج١، الجزائر، منشورات الشركة الوطنية للنشر والإشهار، ٢٠٠٥م.

٥٢- أبي الفداء (عماد الدين إسماعيل)، **تقويم البلدان**، مكتبة الثقافة الدينية، مصر، ٢٠٠٦م.

٥٣- فرج (محمود فرج)، **إقليم توات خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر الميلاديين**، الجزائر: د.م.ج، ١٩٨٤.

٥٤- الفلاني (أبو عبد الله بن أحمد)، **الرحلة في طلب العلم**، مخطوط بخزانة مولاي علي سليماني، أدغا.

٥٥- أبو القاسم (الحفناوي)، **تعريف الخلف برجال السلف**، ج١، تح. خير الدين شترة، الجزائر، دار كردادة.

٥٦- القشاط (محمد سعيد)، **صحراء العرب الكبرى**، دار الرواة، ليبيا، ١٩٩٤م.

٥٧- القيسي (ابن أحمد)، **أنس الساري والسارب**، تح وتق: محمد الفاسي، وزارة الدولة المكلفة بالشؤون الثقافية والتعليم الأصلي، فاس، ١٩٦٨م.

٥٨- كروم (عبد الله)، **الرحلات بإقليم توات دراسة تاريخية وأدبية للرحلات المخطوطة**، دار حلب الجزائر، ٢٠٠٧م.

٥٩- لحبيب (بن عزيز)، **بطاقة فنية عن الزاوية الركب النبوي سيدي أمحمد بن عبد الرحمن أبي نعامة بأقبلي**، محاضرة بأدرار، في يوم ٢٠٠٤/٠١/٠٧م.

٦٠- محمد بل وين عثمان فودي، **إنفاق الميسور في تاريخ بلاد التكرور**، تح: بهيجة الشاذلي، الرباط: منشورات معهد الدراسات الإفريقية، الطبعة الأولى، ١٩٩٦.

٦١- محمد (بن عثمان الحشائشي)، **الرحلة الصحراوية**، تر: محمد (المرزوقي)، دار التونسية، تونس، ١٩٨٨م.

٦٢- محمد بن إسماعيل (البخاري)، **صحيح البخاري**، ج٥، كتاب الأدب، باب إكرام الضيف، تح: مصطفى، ديب البغا، ط٢، دار ابن كثير بيروت، ١٩٨٧م.

٦٣- محمد عبد العزيز سيد اعمر، **العلم عماد الدين والإيمان وذكر مناقب العلماء حياة الإسلام**، مخطوط بخزانة زاوية مهدية، أدرار.

٦٤- محمد بن محمد (مخلوف)، شجرة **النور الزكية في طبقات المالكية**، دار الفكر، لبنان، (د، ت).

٦٥- مزيلخ (عاشور)، "الشيخ عبد الرحمن التنيلاني ومنهجيته في تلخيص كتاب الدر المصون للسمين الحلبي"، **مجلة التراث العربي**، ع١٠٧، سوريا، فصلية تصدر عن اتحاد الكتاب العربي، (ب.ت).

٦٦- المقريزي (أحمد)، **المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار**، تح: خليل المنصور، ج٢، دار الكتب العلمية، لبنان، ١٩٩٨م.

٦٧- المهداوي (عبد القادر بن عمر)، **الدرة الفاخرة في ذكر المشايخ التواتية**، مخطوط بخزانة باعبد الله، أدرار.

٦٨- نيكلو (عبد القادر)، الهجرة إلى توات في القرن السابع هجري، **الندوة الربعة للشيخ سيدي مولاي سليمان بن علي**، المسجد الكبير بقصر أولاد اوشن، ١٤/ماي/٢٠٠٩م.

٦٩- الهلالي (أبو العباس أحمد)، **الرحلة الحجازية**، مخطوط بخزانة كوسام، أدرار.

٧٠- الوزان (حسن)، **وصف إفريقيا**، ج٢، تر. محمد حجي ومحمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي، بيروت: ١٩٨٣م.

٧١- ابن الوليد (عبد القادر)، "الوليد أين الوليد"، **مجلة النخلة**، ع٥٤، الجزائر، أدرار، جوان ٢٠٠٨م.

٧٢- يحي (ولد سيد أحمد)، **ديوان الصحراء الكبرى المدرسة الكنتية والقصائد النيرات**، ج١، وزارة الثقافة، الجزائر، ٢٠٠٩م.

صناعة الورق في الحضارة الإسلامية التطور التاريخي، والأفق الحضاري

د. صالح محمد زكي محمود اللهيبي
الشارقة - الإمارات العربية المتحدة

مقدمة

سَعت الأمم منذ بزوغ فجر التاريخ، وإدراك الإنسان لمعنى العلم والقلم، إلى الأخذ بزمام المبادرة؛ لتسنم مقاليد المعرفة، وتثبيت أقدامها على منصة العلم، والإدلاء بدلوها في سباق المعرفة، فتنافست الأمم لقول كلمتها في سفر التاريخ، والإفصاح عما في ذهنها؛ لنقل البشرية من حال إلى حال، حال أوعى وأدرى وأكثر إدراكًا لسبل عمارة الأرض ونفع البشرية، عبر تحويل الفكرة إلى منتج تتحول بعده المعارف والمدارك إلى عالم أوسع وأرحب مما كانت عليه قبل هذا المنتج لاسيما إن كان منتجًا ماديًا من حيث الصنع، معرفيًا وفكريًا من حيث المؤدى، حضاريًا بمخرجاته، إنسانيًا في خدمته، عالميًا بانتشاره، لا يقف عند حد ولا تصده حدود، ومن أمثلة هذه المنتجات (الوَرَق).

إن هذا البحث يتناول صناعة الورق في الحضارة الإسلامية، ابتداءً من كيفية معرفته ووجوده وتطور استخدامه وصولًا للإضافات النوعية الهائلة التي أضافها المصنعون والمفكرون والورّاقون المسلمون للورق، فخرج من بين أيديهم إلى آفاق العالم بأشكال وأحجام وألوان ومسميات واستخدامات شتى، مراعيًا حال الكاتب والمكتوب، مخلدًا علومًا وثقافات ما تزال حتى اليوم مضربًا للمثل كونها الأدق والأجمل.

إن أهمية هذا البحث تتأتى من كونه يعالج المنحنى التاريخي التصاعدي لصناعة الورق، وتدرج المسلمين في استخدامه والإضافات والتحسينات التي أدخلوها عليه، والنقلة الحضارية التي رافقت صناعة الورق، وما انبنى على ذلك من حوار حضاري عز مثيله وعظم معناه ودليله.

والسؤال الذي يسعى البحث للإجابة عنه هو إلى أي مدى طور المسلمون صناعة الورق وما الفائدة التي ترتبت على ذلك، متبعًا المنهجين الوصفي والتحليلي، ومعتمدًا في ذلك على جملة من المصادر والمراجع أهمها كتاب صبح الأعشى في صناعة الإنشا للقلقشندي (ت٨٢١هـ)، وموسوعة الوراقة والوراقين في الحضارة العربية الإسلامية للدكتور خير الله سعيد.

المبحث الأول: صناعة الورق، تأريخها وانتشارها المهني الجغرافي[١]:

أولًا: تاريخ صناعة الورق:

تنافست الأمم وأجناس البشر فيما بينها لإثبات ما تعلموه وتخليده، أو لتأكيد السبق والتقدم وقطع أشواط في ضرب من ضروب الحياة، فظهرت لنا الكتابة كحاجة إنسانية وكمطلب لابد من رسوخه؛ ليحقق النقلة العقلية والقفزة الاجتماعية عبر التطور المعرفي والنمو المرحلي البشري، فكانت الكتابة وكل ما يدور في فضائها من أدوات لازمة أساسًا لإحداث هذه النقلة فبدأ السعي نحو البحث عن الأفضل من أدوات الكتابة؛ لذا نجد من المؤرخين من يشير إلى أن أول من كتب على الطين هو آدم عليه السلام أبو البشر[٢]، وهكذا إشارات تلمح وترسخ لدلالات ومعاني مثيرة ينبغي الوقوف عندها مليًا، وتفكيك معانيها وإدراك مكنوناتها؛ لما لها من رمزية ومعنىً عميق في إثبات أهمية الكتابة ووسائلها، وهو ما يحتم معرفة تطور أدوات الكتابة وصولًا إلى الورق.

كان الأقدمون يصنعون الطين الخاص بالكتابة على شكل قوالب يكتب عليها وهي ما تزال طرية ثم تترك لتجف على الشمس، أو أن يفخر بالنار، وهذا ما أثبتته اللقى والموجودات الآثارية في العراق والشرق الأدنى عبر عشرات الآلاف من ألواح الطين المكتوبة بالخطوط المسمارية، وهي الخطوط المستخدمة من قبل السومريين والأكديين وغيرهم[٣].

وقد استمر تقدم البشرية ورقيها وسعيها الدؤوب في البحث عن وسيلة للتدوين فتوصلت للنحاس، فاستخدم في تدوين الكتابة والزخارف والنقوش والرسوم[٤]، ثم استمرت الرحلة وصولًا إلى الكتابة على الحجر؛ غير أن وزنه الثقيل طغى على أهميته كوسيلة متينة للحفاظ على المكتوب فما لبث أن تُرِك؛ ليتوجه الإنسان إلى الخشب وورق الشجر، كما كتبوا على التوز: وهو الذي تغطى به القسي للبقاء والقوة، ثم جاءت عملية دبغ الجلود والكتابة عليها[٥].

لقد كان للهند دور في هذه الصنعة إذ كان ورّاقوها يستخدمون شجرًا يسمى "تاري": وهو شجر باسق كالنخل والنارجيل، ذو ثمر يؤكل وأوراق طول ذراع، وعرض ثلاثة أصابع مضمومة، كانوا يكتبون عليها، ويضم كتابهم منها خيط ينظمها من ثقبة في أوساطها فينفذ في جميعها، وأما في أواسط الهند وشمالها فإنهم يأخذون من لحاء شجر التوز الذي يستعمل نوع منه في أغشية القسي ويسمونه "بهوج" في طول ذراع وعرض أصابع ممدودة فما دونه، ويعملون به عملًا كالتدهين والصقل يُصلّب به ويُملس ثم يكتبون عليها، وهي متفرقة، يعرف نظامها بأرقام العدد المتوالي، ويكون جملة الكتاب ملفوفة في قطعة ثوب ومشدودة

بين لوحين بقدرهما، واسم هذه الكتب "بوتي" ورسائلهم وجميع أسبابهم تنفذ في التوز أيضًا[٦].

هذا وكان هناك لحاء شجر يعرف بـ(الكاذي)، وهي مكتوبة بالذهب الأحمر، وهذا اللحاء متوفر في الصين والهند، والكاذي هذا نوع من النبات عجيب ذو لون حسن وريح طيبة، لحاؤه أرق من الورق الصيني، يتكاتب فيه ملوك الصين والهند[٧].

أما الصين فكان لها حال خاص بها إذ أنهم يكتبون في ورق يصنعونه من الحشيش والكلأ، وعنهم أُخذت صناعة الورق، وقد تداولها أهل الحضارات المواكبين لهذه النقلة الصناعية الحضارية الكبرى[٨].

هذا وقد عرف استخدام خرق الحرير الأبيض في الهند، واستخدمه الروم، أما الفرس فكانوا يستخدمون جلود البقر والجواميس والغنم ونحوها بعد أن يدبغونها، واستخدم العرب أكتاف الإبل واللخاف – الحجر الأبيض الرقيق"، كما كتبوا في عسب النخل: وهي الجريد الذي لا خوص فيه[٩].

هذا وقد عُرف الورق الخرساني الذي يصنع من الكتان، والأرجح أنه كان يصنع من قبل الورّاقين الصينيين، وكانوا قد صنعوه في خراسان على غرار الورق الصيني وتقليدًا له، كما استخدم المصريون القدامى القرطاس: وهو مصنوع من قصب البردي، ويرجعونه إلى زمن النبي يوسف عليه السلام[١٠]، واستخدم المسلمون زمن عصر النبوة العسب واللخاف[١١].

هذا وقد استخدم الصحابة الرقوق للكتابة، والرق: الصحيفة البيضاء وما يكتب فيه، ويصنع من جلد رقيق، وتؤخذ في الغالب من جلود الحيوانات بعد أن يجرى لها اللازم من الدباغة بالنورة لتجف، غير أن الدباغة الكوفية التي ظهرت في الكوفة بالعراق استبدلت النورة بالتمر؛ مما أكسب الورق ليونة كبيرة[١٢].

كما استخدمت الطروس ومفردها طرس: وهي التي محيت الكتابة التي فيها ثم كتب عليها مجددًا، أي يمكن الكتابة عليه ومسحه وإعادة الكتابة عليه ثانية وتسمى هذه العملة بـ(التطريس)[١٣].

إن عملية التطريس للكتب نتجت عن ظروف طارئة؛ بسبب ما يُلم بسوق الكتب من ظروف تؤدي لشح الورق، فيلجأ الكُتّاب إلى إعادة الكتابة على ذات الورق، ومن الظروف التي اضطرت الكُتّاب لاستخدام التطريس مثلًا الفتنة التي حدثت في عهد الأمين (١٩٣-١٩٨هـ) عندما نهبت الدواوين، فاضطر الناس لاستخدام ذات الورق لسنوات عدة[١٤].

كما استخدمت القراطيس ومفردها قرطاس: وهي الصحيفة التي يكتب بها، والقرطاس: معروف يتخذ من بردي يكون بمصر، والقُرطاس والقَرطاس والقِرطاس كله يعني الصحيفة الثابتة التي يكتب فيها[١٥].

هذا وكانت مصر أم القراطيس، فهي التي كانت تصدره إلى الأقطار كلها، وكان يصنع من بردي مصر[١٦]، وقد اشتهرت مصر أكثر من أي مكان آخر في العالم الإسلامي بصناعتها للقراطيس[١٧].

ويذكر السيوطي أن من خصائص مصر القراطيس: وهو الطوامير، وهي أحسن ما كتب

فيه، وهو من حشيش أرض مصر، وطوله ثلاثون ذراعًا وأكثر في عرض مقداره شبر[18].

ولذا فقد اتخذ المسلمون من أوراق البردي مادة للكتابة عليها في أول الأمر، إذ اعتمدت الخلافة العباسية على قراطيس مصر في الكتابة حتى امتلأت بها أسواق بغداد[19].

وقد ظلت صناعة القراطيس مصرية حتى عهد الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان (٦٥-٨٦هـ)؛ حيث استبدلها عبد الملك، وجعلها تنتج بأياد عربية مسلمة كجزء من عملية تعريب الدواوين والنقود التي قام بها[20].

إن الورق أو الكاغد كان يقصد به ذات الشيء، والكاغد كلفظ ذو أصل فارسي[21]، وهو يتواءم في معناه مع الورق[22] أو القرطاس، ويذكر القلقشندي أن الوَرَق: بفتح الراء: اسم جنس يقع على القليل والكثير، واحده ورقة، وجمعه أوراق، وجمع الورقة ورقات، وبه سُمي الرجل الذي يكتب وَرّاقًا[23]، وأضاف: وقد نطق القرآن بتسميته قرطاسًا وصحيفة، ويسمى أيضًا الكاغد، وكذلك المهراق[24].

غير أن الكاغد أقدم من الورق في استخدامه وتداوله، وهو ما اعتاد الناس عليه، غير أن هذا الاصطلاح شهد تبدلًا وتحولًا بعد أن تغيرت طريقة تصنيعه وأصبح أكثر بياضًا، ومن المحاسن التي رآها المسلمون في الورقة أنها لينة وخفيفة ومطواعة في الاستخدام أكثر من غيرها، مما دفعهم للاعتناء بها واستخدامها الأمر الذي ساعد في انتشار صناعة الكتب المعتمدة على الورقة[25].

وإذا ما أردنا الرجوع إلى الجذر التاريخي لصناعة الورق فسنرجع إلى الصين؛ حيث عرف التجار العرب الورق الصيني واستوردوه منهم، فقد كان التبادل التجاري قائمًا معهم، ولمدينة سمرقند الفضل الأعظم في نشوء صناعة الورق في العالم الإسلامي؛ ذلك أنها أول مدينة إسلامية صنع فيها الورق، وقد فتحت هذه المدينة في العصر الأموي سنة ٨٧هـ[26].

كما أن لسمرقند خصوصية في صناعة الورق على مستوى العالم؛ ذلك أنها امتازت بكواغدها، والتي عرفت بجودتها حتى أنها عطلت قراطيس مصر[27].

إن قصة نقل صناعة الورق للعالم الإسلامي تقوم على غزوة قام بها المسلمون لمدينة (أطلخ) سنة ١٣٤هـ وقادها زياد بن صالح، وهذه الغزوة كانت ضمن حدود الصين، وهذه المدينة عرفت بإتقان أهلها لصناعة الورق، فقام زياد بنقلهم إلى سمرقند وأسكنهم فيها، وقام هؤلاء بدورهم بإنشاء مصانع للورق[28]، ومنها بدأ تصدير الورق لسائر أرجاء العالم الإسلامي، وقد عرف ورق سمرقند بجودته وروعته، حتى أن بعض المؤرخين يشيرون إلى أنها الأفضل على الإطلاق[29].

هذا وقد ازداد الطلب العالمي على ورق سمرقند لاسيما من حاضرة الخلافة العباسية بغداد، والتي كانت تعج بالعلماء وأسواق الورق والكتاتيب والكتب، وقد شجع الخلفاء العباسيون صناعة الورق وتجارته في بغداد فهو من لوازم النهضة العمرانية، إذ لا علم ولا علوم بدونه[30].

ثانيًا: صناعة الورق في بغداد عاصمة الخلافة العباسية:

شهدت بغداد عاصمة الخلافة العباسية ازدهارًا كبيرًا لصناعة الورق وكان ذلك في عهد الخليفة هارون الرشيد (١٧٠-١٩٣هـ)، إذ تؤكد المصادر التاريخية أن ظهور صناعة الورق كان في الربع الأخير من القرن الثاني الهجري(٣١).

وفي زمن الرشيد تم إبدال الرق بالورق في كافة دواوين الدولة؛ حيث أصدر هارون الرشيد أمرًا أن لا يستخدم سوى الورق أو الكاغد في الكتابة؛ تجنبًا لأي حالة تزوير أو غش أو محو والتي كانت ممكنة في الرقوق(٣٢).

إن النقلة الكبرى في صناعة الورق ببغداد كانت في القرن الرابع الهجري؛ حيث ازدهرت صناعة الكتب وانتشرت التآليف والمصنفات وانطلقت الكثير من المدارس، فكانت مصانع الورق منتشرة بكثرة في بغداد، وكانت أزقة بغداد ممتلئة بدكاكين الوراقين ومصانعهم، وتوجد أكثر من إشارة في مصادرنا التاريخية لهذه الحقيقة(٣٣)، فيقول الصولي: "ولم تقتصر سكك الكرخ ودروبه على حوانيت الورق ومصانعه بل تعداه إلى محال أخرى؛ حيث ذكر ياقوت الحموي أن محلة "دار القز" وهي محلة كبيرة ببغداد في طرف الصحراء فيها يعمل الكاغد"(٣٤).

وقد تميزت حاضرة الدولة الإسلامية بغداد بازدهار التجارة عمومًا والورق خصوصًا، فقد راجت تجارة الورق ببغداد، وزاد الطلب عليه؛ لذا ظلت عملية تجارة الورق بين بغداد وأطراف الدولة الإسلامية، وبقية أرجاء العالم قوية ومزدهرة(٣٥)، وقد اشتهرت سمعة الورق البغدادي وذاع صيته؛ حيث امتاز الورق البغدادي بأنه ناصع البياض، غرفًا صقيلًا، متناسب الأطراف، صبورًا على مرور الزمن، كما أنه امتاز بليونة ورِقّة حاشيته، وتناسب أجزائه، وقطعه وافر جدًا، ولا يكتب فيه في الغالب إلا المصاحف الشريفة، وقد يستخدمه كتاب الإنشاء في المكاتبات السلطانية ونحوها(٣٦).

وهذا ما نجده جليًا في كلام ابن خلدون إذ يقول: إن العمران واتساع نطاق الدولة، وكثرة التآليف العلمية والدواوين، وحرص الناس على تناقلها في الآفاق والأمصار، فانتسخت السجلات، وجلدت وجاءت صناعة الوراقين المعانين للإنسان والتصحيح والتجليد وسائر الأمور الكتبية والدواوين، واختصت بالأمصار العظيمة العمران، ولما طمى بحر التآليف والتدوين، وكثر ترسيل السلطان وصكوكه، وضاق الرق عن ذلك، أشار الفضل بن يحيى البرمكي مستشار الدولة العباسية على ضرورة وجود صناعة الكاغد، فصُنِّع، وكتبت فيه الرسائل والصكوك السلطانية، ثم اتخذه الناس من بعده صحفًا لمكتوباتهم السلطانية والعلمية، وبلغت الإجادة في صناعته ما شاءت، ثم غدت صناعة الورق، معروفة ومتداولة، ومن المهن الشريفة، حتى أن إخوان الصفاء عدّوها من الصناعات الروحية، فقد نصت رسائلهم على أن: " صناعة الورق من الصناعات الروحية... ماهيتها من أصول نباتية؛ لأن لحاء النبات يدخل في تركيبها وصناعتها، وقد راجت أيما رواج، وراحت العامة والخاصة من الناس تتعامل بها وتتعاطاها، وما من شك في أن سوق الورّاقين ومهنة الوراقة كانت نتيجة منطقية لهذه القفزة

الحضارية، ساهمت في تنشيط هذه الصناعة بل أن هذه الصناعة ذاتها كانت عامل دعم ووجود وديمومة وتطور لمهنة الوراقة، كما أنها ساهمت في نشر الوعي والثقافة إلى حد كبير"[٣٧].

ثالثًا: صناعة الورق في بلاد المغرب الإسلامي[٣٨]:

لا تشير المصادر التاريخية إلى زمن محدد لصناعة الورق في بلاد المغرب غير أنها كانت موجودة منذ العصور الإسلامية الأولى في المغرب، وهذا ما تؤكده المصادر إذ تشير إلى أن مدينة فاس كانت لا تزال تنتج الورق في المائة التاسعة للهجرة[٣٩]، وكان عبد الله بن محمد بن أبي عبد الله السوسي (ت٨٠٣هـ) صانعًا ماهرًا للورق[٤٠].

غير أن الذي يمكن استنتاجه أن هذه الصناعة بدأت تتراجع في الفترة اللاحقة؛ وهذا ما يمكن استنتاجه من تصنيف القلقشندي للورق المغربي بعد الورق البغدادي ثم الشامي ثم المصري[٤١].

والمتتبع للخط الزمني لصناعة الورق يجد أن هذه المدة شهدت ظهور الورق الإفرنجي، والذي كان يستورد من مدينة البندقية في إيطاليا ومن غيرها من المدن وهو ما أدى لتراجع مكانة الورق المغربي.

إن ظاهرة انتشار الورق الإفرنجي يمكن تلمسها من رسالة ابن مرزوق الحفيد التي سماها: "تقرير الدليل الواضح المعلوم، على جواز النسخ في كاغد الروم" والتي أنجزها عام ٨١٢هـ والتي تؤكد انتشار الورق الإفرنجي في مناطق المغرب، باستثناء فاس والأندلس فإنهما ينتجان الورق[٤٢].

كما أننا نلاحظ أن القلقشندي (ت٨٢١هـ) يشير إلى أن المغاربة حتى زمانه كانوا يستخدمون الرق لكتابة المصحف الشريف، هذا وقد استمرت كتابة الصكوك والعقود على الجلد حتى المائة الثالثة عشرة للهجرة [٤٣] [٤٤].

رابعًا: انتشار صناعة الورق في العالم[٤٥]:

ذكرنا سالفًا أن صناعة الورق كانت قد راجت في بغداد بعد أن استقرت فيها منذ زمن الخليفة هارون الرشيد، ومنها انتقلت بعد ذلك إلى بلاد، الشام والتي أُنشئت فيها المصانع الخاصة بالورق، وبدأت تنتج ورقًا نفيسًا، كما أن هنالك مدنًا شامية امتازت بهذه الصنعة وفي مقدمتها طرابلس، وكما أشارت لذلك مصادر عدة[٤٦].

هذا وقد بدأ صُنّاع الورق من العرب يوسعون تجارتهم وصنعتهم، فأنشأوا مصانع للورق في جزيرة صقلية، ومنها وصلت صناعة الورق إلى باقي المدن الإيطالية.

كما أن بلاد الأندلس اشتهرت بصناعة الورق كما أسلفنا، ومن أشهر المدن الأندلسية بصناعة الورق مدينة (شاطبة)، وقد ذاع صيتها حتى أن ياقوت الحموي ميزها بصناعتها للكاغد الجيد، ومنها يحمل الورق إلى سائر بلاد الأندلس[٤٧].

كما لا يمكن أن يذكر الورق دون الإشارة للقراطيس المصرية التي كانت الأشهر في زمانها.

غير أن متابعة ما يتعلق بجودة الورق المصنع في تلك الأزمنة ترشدنا إلى أن الورق البغدادي كان في الصدارة؛ حيث حافظ على جودته العالية، وهذا ما يشير إليه القلقشندي كما أشرنا سابقًا،

والذي عد الورق البغدادي أولًا، ثم يأتي بعده الورق الشامي ثم المصري، وهو على نوعين: المنصوري والعادي، غير أن المنصوري أكبر قطعًا، وقلّما يصقل وجهاه جميعًا، والورق الذي يصقل وجهاه يسمى عند الوراقين (المصلوح)، كما أن للوارقين المصريين تقسيمات أخرى لأنواع الورق وهي على شكلين: عالٍ ووسط وهناك صنف بالفوّيّ، وهو صغير القطع خشن غليظ خفيف الغرف، لا ينتفع به للكتابة، فيستخدم لأمور أخرى كاستخدام في الحلوى والعطر وغيرهما[٤٨].غير أن الورق المغربي والإفرنجي يصنف على أنه الأرده فهو سريع البلى قليل المكث[٤٩].

خامسًا: أشهر المصنفات التي تناولت صناعة الورق:

تناولت مؤلفات قديمة عدة صناعة الورق وكل ما يتعلق فيها سواء أكان ذلك بالتفصيل أم بشكل مقتضب، وركزت على جوانب عدة منها، ويمكن الإشارة إلى أبرزها فيما يأتي:

١- صبح الأعشى في صناعة الإنشا:

تأليف: أبو العباس أحمد بن القلقشندي (ت٨٢١هـ).

٢- المخترع في فنون الصنع:

مؤلف مجهول، نشر هذا المخطوط في مجلة المورد العراقية، العدد ٤، المجلد ١٤، عام ١٩٨٥م، تحقيق: بدري توفيق.

٣- تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة:

تأليف: أبو الريحان محمد بن أحمد البيروني(ت٤٤٠هـ).

٤- الأوراق:

تأليف: أبو بكر محمد بن يحيى الشطرنجي الكاتب الصولي(ت٣٣٥هـ).

٥- عُمدة الكُتّاب وعدة ذوي الألباب:

تأليف: المعز بن باديس (ت٤٥٤هـ).

٦- خريدة العجائب وفريدة الغرائب:

تأليف: سراج الدين أبو حفص عمر بن الوردي(ت٨٥٢هـ).

٧- فضل القلم والخط وأعمال المواد:

مؤلف مجهول.

٨- صناعة الورق والليق والحبر:

تأليف: محمود خليفة بن سليمان أفندي (لم أعثر على سنة وفاته).

٩- المخترع في فنون الصنع:

تأليف: الملك المظفر يوسف بن عمر الرسولي (ت ٦٩٤هـ).

١٠- القلم والدواة:

تأليف: محمد بن عمر المدائني (لم أعثر على سنة وفاته).

١١- قطف الأزهار في خصائص المعادن والأحجار ونتائج المعارف والأسرار:

تأليف: أحمد بن المغربي(توفي بعد سنة ٨٥٠ هجرية).

١٢- زينة الكَتَبَة:

تأليف: أبو بكر محمد بن زكريا الرازي (ت ٣١١هـ).

١٣- عُمدة الكُتّاب:

التأليف: أبو جعفر النَّحّاس أحمد بن محمد ابن إسماعيل بن يونس المرادي النحوي (ت ٣٣٨هـ).

١٤- الأزهار في عمل الأحبار:

تأليف: محمد بن ميمون الحميري المراكشي (من أهل القرن السابع الهجري).

١٥- تُحف الخواص من طُرف الخواص:

تأليف: أبو بكر محمد بن محمد القللوسي القضاعي (ت ٧٠٧هـ).

١٦- الرسالة العذراء:

تأليف: أبو اليسر محمد بن إبراهيم الشيباني (ت ٢٩٨ هـ).

١٧- عيون الحقائق وإيضاح الطرائق:

تأليف: أبو القاسم محمد بن أحمد السماوي (من أهل القرن السابع الهجري).

١٨- زهرة البساتين في علم المشاتين:

تأليف: محمد بن أبي بكر الزرخوني (ت حوالي ٨٠٨ هـ).

١٩- النجوم الشارقات في ذكر بعض الصنائع المحتاج إليها في علم الميقات:

تأليف: محمد بن أبي الخير الحسني (توفي أواخر القرن العاشر الهجري).

٢٠- جواهر الفنون والصنائع في غرائب العلوم والبدائع:

تأليف: محمد بن محمد أفلاطون الهرمسي (لم أعثر على سنة وفاته).

٢١- التعريف:

تأليف: المقر الشهابي بن فضل الله (من أهل القرن الثامن الهجري).

المبحث الثاني: فن صناعة الورق، التلوين والأنواع والمقاسات[٥٠]:

أولًا: توثيق طرق صناعة الورق:

الطريقة الأولى:

سنتناول في معرض حديثنا عن صناعة الورق مخطوطًا تحدث عن طريقة صناعة الورق بشكل مفصل، وهو بعنوان: " في عمل الكاغد البلدي ووضع الأسرار في الكتب وما يمحو الدفاتر والرقوق" لمؤلف مجهول، وقد وردت كفصل ضمن مخطوطة بعنوان: "المخترع في فنون من الصنع" والتي أوردها قاضي خان (ت٨٧٦هـ)[٥١].

ويقول في (صفة عمل الكاغد البلدي):

" يؤخذ لحاء شجرة المرخ[٥٢] فيُيبّس وتقشّر الظاهرة، فيرمى بها وتؤخذ القشرة الداخلية البيضاء التي خيوطها كانت متينة، فاغسلها بماء حائر[٥٣] تشبه البركة، ويفرش تحته من ورق الشمس ما يقيه من التراب ووسخ البركة، ويكون الماء قدر ما يغمره مواد كثيرة ويغطى فوقه في وسط الماء بورق العِشر عيدان لطاف وعيدان صغار حتى يمنعه ويمنع الورق من الصعود، وحتى لا يبان منه شيء، ولا يطفو فوق الماء، ويقيم في الماء منقعًا أربعة أيام بلياليها، ثم يخرج من حوض الماء، ويعصر ما فيه من الماء، ويترك في زاوية البيت وهو مرصوف كدسًا، شيئًا فوق شيء، ثم يفرش له من ورق العِشر ما

يقيه من تراب البيوت ويبقى محمولًا في الزاوية، مغطى عليه أيضًا بورق العشر، وكأن ورقه ينقص، ثم يخرج من البيت ويضحى بالشمس صفًا أو سقفًا ثم يخضخض ما بقي من التراب في الشمس حتى يجف ولا يبقى فيه من رطوبة الماء شيء، ويجف ثم تغمر القشرة الداخلة بالماء ثانية، وتعصره من الماء، وتُكَبِّبُهُ كببًا صغارًا، ثم تخلى في ركن خزن الكتب، بعضها فوق بعض وتسوى كبة واحدة بعد واحدة، وتنقي ما تبقى فيها من قشور اللحاء الغليظ الأخضر، ومن الوسخ ومن أثر ما تعلق من الماء حتى يصير نقيًا من كل قشر وقش، هذا وهو رطب، وينعّم ما تكون بالظفر حتى يخلو من جميع ما فيه ولا يحتاج إلى أن تكبسه؛ لأن الدق يمسكهُ وينعمه، ويخلطه ثم يضحى بالشمس ثانية، على موضع نظيف أو ثوب حتى لا ينشقه تراب ولا قش، ولا تنسى تذره بالماء ثانية، ثم يطبق وتعصره وتكببه، ثم يعاد عمله الأول، وترده إلى وعائه الذي كان فيه وهو رطب يخرج من الوعاء كبة لينة، وتضع الكبة الأرض مثل حجر الرحا نظيفة، وتستعمل دقماقًا[54] نظيفًا من خشب العتم[55] أو من خشب يكون بوجهين، ويكون بقدر ما وقعه الإنسان بيده، وتُتابع به الضرب، ولا تتعب، ولا تترك الضرب بالدقماق، حتى يمتد ويصير مثل عجين لين في كل يوم تضربه مرة واحدة وتعيده إلى وعائه، لا يزال لذلك خمسة أيام، وبعد الخمسة أيام يقدم بما في وعائه، فتنقعه على مصفاف فيه خشونة نظيف، فإن عدم المصفى كان على حجر مثل حجر خشنة وترشه بالماء، وتعجنه بيدك حتى يختلط شيئًا بشيء، ثم تنزله في الماء في حوض مجتمع فيه الماء من الوسخ، وتحضّه حتى يختلط بالماء ثم تنشفه بحزقة، وهي تجفف الماء حتى يذهب منه جميع الشنة[56] التي فيه، وهي: يبس الشجر وهي اليشنة، وتجمعه كبة كبة ثم تنزله إلى حوض مغضض[57] أكثر من القالب عرضًا وطولًا، نظيفًا من الوسخ فيؤخذ من الماء الصافي في ما يملأه ولا تترك في الماء شيئًا من وعش أو كدر ولا منشور.

ثم ينزل الكبب في الحوض كلها ويخدشها بعود، رأسه فيها أربعة عيدان صلبة مزدوجًا مثل مجدح[58] اللبن، ضربًا جيدًا في الماء، حتى يختلط جميع الكبب في الماء ويبقى مثل الجُفر[59] الذي يدق القطن في الماء، ثم تنشفه بالخرقة ثانية وتعمله كببًا، كل كبة بقدر الأترجة أو كيفما تشاء، وتضع الكبب على حافة الحوض؛ ثم يرجع ينزّل في الحوض من الكبب قطعة قطعة بقدر الليمون المركب أو النار نخبة بشيء، تستعمل منه خمس أوراق، روّها ونقيها وتخدشها من الساعة الثانية بالمخدش، حتى يختلط الشجر المذكور المدقوق في الماء وينزل فيه القالب، ويطلع فيه الشجر بقدر، حتى يطلع متساويًا، وتكون الورقة متساوية في جميع جوانبها، وعلى قدر الحافة التي تريد، فإذا تساوت الورقة في القالب فيكون تحته على الأيسر لوح واطئ على قدر القالب بطوله وعرضه، فتضعه وتفرش فوقه ثوبًا أبيض، وكلما طلع في القالب ورقة، قلب القالب على وجهه الذي فيه الورقة، وامسحه بخرق بكفك مسحتين أو ثلاث، حتى تسقط الورقة من القالب، وتصير ممتدة فوق الثوب، كلما عمل ورقة حطها فوق الأخرى إلى حد مئة ورقة فما فوقها، وكلما نقص الماء الذي بالحوض مما تقدحه بالقالب صُبّ عليه ماءً آخر حتى يكون

الحوض ممتلئ من الماء؛ لأن الشجر وهكذا إذا قلَّ الماء متر نزله ماء آخر كلما نقص، فإذا فرغ من جميع الشجر الحاصل معه في الحوض من الذي رويته ويبقى الورق مرصوفًا بعضه فوق بعض، فتضع فوق الورق خرق نظيف تُغطِّه جميعهُ، وتأخذ حجرًا مسنون الوجه فتضعه على الخرقة التي فوق الورق، وهي ترزم بها جوانب الورق الذي تحت الخرقة، حتى تخرج ما فيه من الماء، ويبقى فيه رطوبة لا غير، ثم ترفع الحجر والخرقة من فوق الورق، ثم ترجع تفرد الورق، كل خمس ورقات أو ما يقابلها وحدها ثم تضعها في الشمس على مصفى نظيف، بحيث لا يناله تراب ولا وسخ، وتخليه حتى يجف، وتبقى فيه رطوبة هينة، فيرفع لورق من المصفى وترجع تفرده ورقة ورقة في موضع نظيف؛ بحيث لا يصله الهواء ولا التراب ولا القش، فتفرش له فوق اللوح الأول خرقة نظيفة وتضعه عليها، وهو يخلصها ورقة ورقة، وتضعها واحدة حتى يكمل الجميع، ثم يرجع نضحه على المصفى في الشمس كل خمس ورقـات وحدها حتى تجف، وتضحى، وتنشف من الماء، ولا يبقى منها رطوبة بالجملة الكافية، ثم ترفعه وترصفه خمس ورقات، حتى تكمله، وتضع عليه اللوح وفوق اللوح حجر ترزمه بها، ثم تُرهك[٦٠] من الذرة البيضاء الرطبة، التي تسمى الغياشي أو الأرزن أو الشريحي الرطب لا يعلب قدر نصف الزبدي البقري لمائة ورقة على حساب ذلك تبدأ بذلك الذرة حتى يزول منشرها ثم تُرهك رهكًا ناعمًا بالمرة لما قدر سبع مرات وتترك إلى أن يحمض إلى يوم ثاني، ثم يُشد بخرقة خشنة حتى يخرج منها دُقّ من الرهيك، ويبقى المقدريزي في قدره، ويوقد عليه؛ لينضج ويصبح مثل طبيخ نشاء الغراء يترك إلى أناة آخر ويؤخذ خرقة، يكبب كبة لها فتعصر، وهو يصنعها في النشاء، ويأخذ منه ما علق بالخرقة، وتمسح به وجه الورقة وتغليها وتمسح بها قفاها، فلا يزال لذلك حتى جميع الورق وجهًا وقفًا عملًا مستويًا بقدر لا يكثر، ولا يقل وهو يضع الورق واحدة فوق أخرى، إلى حد عشرين ورقة أو ثلاثين ورقة.

ثم غرّ مصلحًا الورق المنشا، وروية بغراء النشا، ثم ترفعها على عقّده وتضعه في الشمس على شرشف مُقعّر نظيف من التراب وتلزق أطراف الورق القصّاص، ترطبه بالنشاء حتى لا يطيّرها الريح، ولا نكمشها إلى أن تجف، وينشف النشاء الذي فيها، ثم مرر عليها بسكين رأسه حاد مثل المشرط وتقشع به أطراف الملزقة على القفاص، حتى يخلصها بسهولة، ولا تنحرف من طرفها الملزق إلى طرفها السائب، ثم ترفع الورق سويًا ثانية، ثم تصقِلهُ ورقة ورقة على حجر ملساء مثل الرخامة بحجر آخرى يكون مسنده ملساء مدورة مثل المصقلة أو الخرزة.

أيضًا فِلّ الزجاج أو اللوح بقدر ما يقبض عليها الصانع الورقة على طول وجهه وقفًا، حتى يكمل صفًا لها، ثم يعطفها على وجهها نصفين، ويمسك طرفها فتساوت، حتى لا يَمَل طرفها، ثم تكسر وسطها بالمصقلة، ولا تزال تصقل الجميع وتكسرها ونضعها واحدة فوق واحدة حتى يكمل الجميع، ثم يأخذ عوذًا في قراءة الكتب المختومة، وفي ختامها، فصفتها إذا كان الكتاب طويلًا، طويت درجه حتى تقرأه بالرفق، وحتى يتبين منه فصل لك فيه، فإذا قرأته فأعده في طياته كما كان في حاله الأولى، وأما في ختامه فإذا كان الطالع

طرفه فالحيلة فيه مشه، فإن كان يابسًا فنجزهُ بُخارًا بماء حار، فإنه يلين وينفتح عقد الرواة يسيرًا يسيرًا، إن شاء الله تعالى.

الطريقة الثانية:

وكما أن المشارقة أوضحوا طريقتهم في صناعة الورق فهناك ما ذكره المغاربة بهذا الخصوص، وقد ورد ذكرها في كتاب "عُمدة الكُتّاب"، وتقوم هذه الصناعة على مادة "القنب الأبيض" وتكون على النحو الآتي:

" ينقع القنب ويسرّح حتى يلين، ثم ينقع بماء الجبر ويفرك باليد، ويجفف، وتكرر هذه العملية ثلاثة أيام، ويبدل الماء في كل مرة، حتى يزول الجير منه، ثم يدق في هاون، وهو ندي، حتى لا تبقى فيه عُقدة ثم يحلل في الماء، ويصبح مثل الحرير، ويُصب في قوالب حسب الحجم المراد، وتكون قطع الورق مفتوحة الخيطان، فيرجع إلى القنب ويُضرب شديدًا، ويُغلى في قالب كبير بالماء، ويحرك على وجهيه، حتى يكون ثخينًا، ثم يصب في قالب، ويقلب القالب على لوح، ويلصقه على الحائط حتى يجف ويسقط ويؤخذ له دقيق ناعم ونشاء في الماء البارد، ويغلى حتى يفور، ويُصب على الدقيق، ويحرك حتى يروق، فيطلى به الورق، ثم تلف الورقة على قصبة حتى تجف من الوجهين، ثم يُرش بالماء ويجفف ويصقل"(٦١).

ثانيًا: تلوين الورق(٦٢):

تنبه المسلمون منذ بداية تعاملهم مع الورق إلى الجانب الجمالي في صناعة الورق وضرورة توفره في المنتج الورقي؛ لإضفاء الصفة الجمالية على الورق، وإخراجه من شكله الرتيب إلى أشكال أخرى، أجمل للناظر، وأمتع للنفس؛ لذا باشروا بإضافة مواد وألوان للورق، إذ كان صنّاع الورق يراعون ذوق المستهلكين ورغباتهم؛ لذا نلحظ وجود وصفات وخلطات عدة لتغيير لون الورق(٦٣).

ويمكن أن نجد أسرار هذه الخلطات الخاصة بأصباغ الورق في بعض المؤلفات القديمة التي وصلتنا، فيذكر أحد المعنيين بصناعة الورق قضية التلوين، فيذكر السبيل لإعداد تلك الأصباغ، فيقول: "يؤخذ البقم(٦٤) فيُغلى حتى تخرج خاصيته ويصفى، ويضاف إليه قطعة نطرون مصري، ويُعاد الورق مرارًا حسب اللون المطلوب، أما اللون الوردي المفتوح فيكون من الزعفران والبقم، وأما قشر البصل مع النشأ فهو صباغ غريب، وأما هباب الكوانين "المواقد" يُؤخذ ويعجن عجنًا محكمًا، ثم يذاب بعد العجن في ماء كثير، بحسب ما تريده من اللون في الحقّة "الإناء" والتفل، ثم يُروّق ويصبغ به على العادة.

وأمّا تبن الحمص فلونه أصفر مخضرّ مُفرح.

واعلم أن جميع الألوان يتولد بعضها من بعض، ولابد من بَلّ الورق بماء الشبّ؛ لقبول الألوان، وينشر على القصب الفارسي الغليظ أو على قفص جريد، وينشّف في الظل، فإذا جف اصقلهُ"(٦٥).

ويقول: "إذا أردت ذلك – أي صبغ الورق – خذ الورق، بلّه بماء الشب، ثم يلقى في ماء البقم "للأصفر" أو ماء الزعفران "للأحمر" أو ماء زهرة نيلة هندي، وإن أردت فاختي، ألقِ شيئًا من الجبر أو شيئًا من النيلة الهندي، على درهم من السيلقون(٦٦)، وإن أردت لونه عوديًّا "أي أسود ثقيل"، فاسحق الزرنيخ الأحمر ناعمًا، وألق

عليه أدنى ما يكون من الحِبر، وكذلك ماء السلق المروّق "المصفى" أو في ماء قشور البصل، أو في ماء قشور العصفر، المراد أحمر كان أو أصفر، أو في ماء حطب السنط[٦٧] المغلي"[٦٨].

وهناك وسائل أخرى لتلوين الورق، إذ يقول ورّاق آخر:" صفة صباغ الورق إذا أردت ذلك تقول: خذ ما شئت من ورق ما قبِلَه في ماء مشبب عود القسية، أمّا في ماء البقم وأما الزعفران أو زهرة النيلة، ثم انشر الورق على قصبة فارسية تكون غليظة وتكون في الظِل، فإذا جف اصقله واكتب فيه، فإن أعجبك لونه، وإلا غيره بعد أن تنشفه قبل صقله، فاعلم هذه الحِكَم واكتمها عن غير أهلها"[٦٩].

وهناك طريقة أخرى يذكرها صاحب كتاب (أنواع اللّيق وكيفية إعمالها) عند كلامه عن صفة قطع أوراق الذهب، فيقول: "يؤخذ قطعة جلدة حور[٧٠] تخيطها شبه المخدة الصغيرة، وتحشى قطنًا، وتؤخذ ورقة الذهب بطرف السكين وتعمل على المخدة وتقطع منها بالسكين قدر حاجتك، ثم تأخذ قطنًا وتبلّها بريقك بَلاً خفيف واعملها على الورقة فتشال في القطنة، اعملها على الغري أو الكلخ[٧١] ووكدها – ثبتها – بالقطنة الناشفة، وخليها حتى تجف، واصقلها تجئ فإنه وكذلك تفصل ورق القطنة فاعلم ذلك"[٧٢].

ثالثًا: أنواع الورق:

ذكرنا فيما سبق أن الورق أنواع وأشكال؛ تبعًا للمواد التي يصنع منها، أو البلدان التي أُنتج فيها، أو الأشخاص الذين قاموا بتصنيعه، أو نقلوه إلى بلدانهم وهكذا، وقد ذكر المؤرخون أنواعًا من الورق، ومن أشهر الذين تكلموا في ذلك ابن النديم إذ يذكر أشهرها، وهو الخراساني الذي يُعمل من الكتان، وهناك أصناف أخرى كالسليماني والطلحي والنوحي والفرعوني والجعفري والطاهري[٧٣].

ويصل كوركيس عواد إلى نتيجة مفادها أن هذه الأنواع من الورق نسبت إلى أصحابها في خراسان، فالنوحي وكأنه سمي نسبة إلى نوح الساماني، وهو أحد أمراء الدولة الطاهرية التي حكمت تركستان وفارس، أما الورق الفرعوني فهو نوع آخر نافس ورق البردي في عقر داره، وأقدم نص دون بهذا الورق يعود إلى سنة ١٨٠هـ[٧٤].

أما الورق أو الكاغد المنصوري فينسب إلى أبي الفضل منصور بن عبد الرحيم بن بنت ابن بحير الكاغدي من سمرقند كما يوضح ذلك السمعاني[٧٥].

ويشير كذلك إلى أن الكاغد الحسني ينسب إلى أبي على الحسن بن ناصر الكاغذي المعروف بالدهقان، وقد عُرف هذا الورق بجودته العالية وحسن مانته، وهذا الشخص سمرقندي كذلك، لكن المقريزي يشير إلى أن الورق المنصوري يصنع في الفسطاط دون القاهرة[٧٦].

أما الورق الجعفري فينسب إلى جعفر البرمكي، والورق الجيهاني نسبة إلى مدينة جيهان في خراسان[٧٧] والورق المأموني نسبة إلى الخليفة العباسي المأمون (١٩٨-- ٢١٨هـ)[٧٨].

رابعًا: القطع (مقاييس الورق)[٧٩]:

تنوعت أحجام الورق ومقاييسه، وقد خضع كل ذلك لاعتبارات عدة، في طليعتها طبيعة الجهة المستخدمة للورق سواء أكانت رسمية أم

أحد الوراقين، أم للمراسلات الخاصة ونحو ذلك، فلكل جهة واستخدام نوع ورق خاص به يتناسب مع طبيعة الكتابة والغرض منها، والإمكانية المادية لتحمل تكاليف الورق.

ويلخص المدائني صاحب كتاب القلم والدواة ذلك بقوله إن الكُتّاب كانوا يكتبون إلى الخلفاء في قرطاس من ثلثي طومار – أي الورقة الكاملة – وإلى الأمراء في نصف طومار، وإلى العمال والكتاب في ثلث، وإلى التجار وأشباههم في ربع وإلى الحُسّاب والمسّاح في سدس[٨٠].

ويذكر أن هذه المقادير لقطع الورق في القديم، وهي: الثلثان، والنصف، والثلث، والربع والسدس، ومنها استخرجت المقادير متخذة القطع البغدادي أساسًا في التقسيم والقطع والمفاضلة؛ لأنه يحتمل المقادير بخلاف غيره[٨١].

هذا وقد كانت أبرز المقادير حتى زمن القلقشندي في القرن التاسع الهجري والمستعملة في دواوين الدولة كما يأتي[٨٢]:

قطع البغدادي الكامل:

وعرض دَرْجِه، عرض البغدادي بكماله، وهو ذراع واحد بذراع القماش المصري، وطول كل وصل من الدرج المذكور ذراع ونصف بالذراع المذكور، وفي هذا النوع كانت تكتب عهود الخلفاء وبيعاتهم، وعهود أكابر الملوك، والمكاتبات إلى الطبقة العليا من الملوك كأكابر الخاقانات من ملوك الشرق.

قطع البغدادي الناقص:

وعرض درجه دون عرض البغدادي الكامل بأربعة أصابع مطبوقة، وفيه يكتب للطبقة الثانية من الملوك، وأحيانًا يكتب فيه للطبقة العليا منهم إذا حصل عوزٌ في البغدادي الكامل.

قطع الثلثين من الورق المصري:

والمراد به ثلثا الطومار من كامل المنصوري، وعرض درجه ثلثا ذراع بذراع القماش المصري، وفيه تكتب مناشير الأمراء المقدّمين، وتقاليد النواب الكبار والوزراء، وأكابر القضاة ومن في معناهم، ولم تجر العادة بكتابة مكاتبة عن الأبواب السلطانية فيه.

قطع النصف:

والمراد به قطع النصف من الطومار المنصوري، وعرض درجه نصف ذراع بالذراع المذكور، وفيه تكتب مناشير الأمراء الطلبخاناه، ومراسيم الطبقة الثانية من النوّاب، والمكاتبات إلى الطبقة الثانية من الملوك.

قطع الثُلث:

والمراد به ثُلث القطع المنصوري، وعرض درجه، ثلث ذراع بالذراع المذكور، وفيه تكتب مناشير أمراء العشرات، ومراسيم صغار النواب والمكاتبات إلى الطبقة الرابعة من الملوك.

القطع المعروف بالمنصوري:

وعرضه تقدير ربع ذراع بالذراع المذكور، وفيه تكتب مناشير المماليك السلطانية، ومقدمي الحلقة ومناشير عشرات التركمان ببعض الممالك الشامية وبعض التواقيع ما في معنى ذلك.

القطع الصغير:

ويقال فيه قطع العادة، وعرض درجه تقدير سدس ذراع بالذراع المذكور، وفيه تكتب عامة المكاتبات لأهل المملكة وحكامها، وبعض التواقيع

والمراسيم الصغار، والمكاتبات إلى حكام البلاد بالممالك، وما يجري هذا المجرى، وقد كان هذا القطع والذي قبله في أول الدولة التركية طول كل وصل منه شبران وأربع أصابع مطبوقة.

قطع الشامي الكامل:

وعرض درجه عرض الطومار الشامي في طوله، وهو قليل الاستعمال بالديوان، إلا أنه ربما كتب فيه بعض المكاتبات.

القطع الصغير:

وهو في عرض ثلاثة أصابع مطبوقة من الورق المعروف بورق الطير، وهو صنف من الورق الشامي رقيق للغاية، وفيه تكتب ملطفات الكتب وبطائق الحمام.

هذا وقد كانت بلاد المغرب والسودان والفرنج تستخدم في الغالب عند الكتابة طومار واحد يزيد طوله على عرضه قليلًا، ما بين صغير وكبير، بحسب الحاجة من كل مكتوب[٨٣].

أما بلاد الشام ومصر فكان لهم مقاديرهم الخاصة، فقد كانوا يستخدمون قطع الشامي الكامل، وقطع نصف الحموي، وقطع العادة من الشامي، وقطع ورق الطير[٨٤].

هذا وكانت أحجام ومقاسات الورق تؤثر في أنواع الأقلام والخطوط المستخدمة؛ حيث يروي القلقشندي عن الشهابي صاحب كتاب التعريف قوله: "إن القطع البغدادي قلم مختصر الطومار، ولقطع الثلثين قلم الثلث الثقيل، ولقطع النصف قلم الثلث الخفيف، ولقطع الثلث قلم التوقيعات، ولقطع العادة، قلم الرقّاع، .... ومن ذلك يعلم ما يناسب كل القطع المستعملة بدواوين الإنشاء في مصر والممالك الشامية، فيناسب الشامي الكامل نصف الحموي والعادة، من الشامي قلم الرقاع؛ لأنهما في معنى القطع المنصوري، والعادة في الديار المصرية، أما قلم الجناح لكتابة بطائق الحمام به، أما ما يكتب به الخلفاء أسماؤهم في الزمن القديم فبقلم الطومار، وهو القلم الجليل الذي لا قلم فوقه[٨٥].

كما اعتنى الكُتّاب بالجوانب الذوقية والجمالية بشكل كبير، وكل هذا يرتبط بنوع الورق وقياسه، فحاشية الكِتاب مثلًا كان بعض الكُتّاب يقدرها بالربع من عرض الدّرج، وهو اعتبار حسن لا يكاد يخرج عن القانون[٨٦].

ويضيف القلقشندي عن جماليات الكتابة وعلاقتها بالورق قائلًا: "أما مقدار البياض قبل البسملة، فيختلف في السلطانيات باختلاف قطع الورق، فكلما عظم قطع الورق كان البياض فيه أكثر، فقطع البغدادي يترك فيه ستة أوصال بياضًا، وتكتب البسملة في أول السابع، وقطع الثلثين يترك فيه خمسة أوصال، وقطع المنصوري العادة تارة يترك فيه ثلاثة أوصال، وتارة يترك فيه وصلان بحسب ما تقتضيه الحال، وقطع الشامي الكامل في معنى قطع المثلث، وقطع نصف الحموي والعادة من الشامي في معنى القطع المنصوري والعادة في البلدي، وربما اجتهد الكاتب في زيادة بعض الأوصال ونقصانها، بحسب ما تقتضيه الحل[٨٧].

وأما البُعد ما بين السطور فيختلف باختلاف حال المكتوب واختلاف قطع الورق، ففي الكتب الرسمية "السلطانيات" شكل غير المراسلات الأخرى[٨٨].

الخلاصة:

تناولنا فيما مضى من صفحات صناعة الورق في الحضارة الإسلامية وقد توصلنا من خلال الدراسة لما يأتي:

١- شهدت صناعة الورق تطورًا كبيرًا عبر العصور إذ انتقلت من حال إلى حال، غير أن الفضل في اكتشافها يعود إلى الصينين، إلا أن المسلمين تمكنوا من تطويرها والإبداع فيها بشكل كبير.

٢- تعد سمرقند مركز انطلاق صناعة الورق في الحضارة الإسلامية؛ إذ تركزت فيها صناعة الورق ثم انتقلت إلى بقية أجزاء الدولة الإسلامية.

٣- دخلت الكتابة عبر تاريخها بتطور كبير إذ شهدت الحضارة الإسلامية استخدام الجلود والرقاق والحجر والعظام والرقوق والطروس حتى استقر الأمر على الكاغد أو الورق.

٤- يعد عصر الخليفة هارون الرشيد زمن انتقال صناعة الورق إلى العاصمة العباسية بغداد؛ حيث شاعت وذاعت وتطورت عبر العصور.

٥- تفنن الكُتّاب والصُناع والورّاقون المسلمون في صناعة الورق، فزينوه وحسنوه، وأضافوا إليه الكثير حتى ظهرت لنا أنواع عدة من الورق.

٦- تعددت أنواع ومساحات الورق وقياساته واستخدم كل نوع في حاجة معينة.

الحواشي

(١) خير الله سعيد، موسوعة الوراقة والوراقين في الحضارة العربية الإسلامية، ط١(بيروت، مؤسسة الانتشار العربي، ٢٠١١م) ج٣، ص٩.

(٢) أبو الفرج محمد بن إسحاق بن النديم (ت٣٨٥هـ)، الفهرست، بلا.ط (مصر، المطبعة الرحمانية، د.ت) ص٣١.

(٣) كوركيس عواد، الورق أو الكاغد – صناعته في العصور الإسلامية، بحث منشور في مجلة المجمع العلمي العربي، دمشق، تموز، ١٩٤٨م، ج٣، م٢٨، ص٤٠٩ وما بعدها.

(٤) ابن النديم، الفهرست، ص٣١؛ سعيد، موسوعة الوراقة، ج٣، ص١٠.

(٥) ابن النديم، الفهرست، ص٣١؛ سعيد، موسوعة الوراقة، ج٣، ص١٠.

(٦) أبو الريحان محمد بن أحمد البيروني (ت ٤٤٠هـ)، تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة، بلا.ط (طبعة لايبسك، ١٩٤٥م) ص٨١.

(٧) أبو الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودي (ت٣٤٦هـ)، مروج الذهب ومعادن الجوهر، بلا.ط (باريس، دار المعرفة، ١٩٨٢م) ج٢، ص٢٠٢؛ سعيد، موسوعة الوراقة، ج٣، ص١٠.

(٨) أبو العباس أحمد القلقشندي (ت٨٢١هـ)، صبح الأعشى في صناعة الإنشا، بلا.ط (القاهرة، دار الكتب المصرية، ١٩٢٠م) ج٢، ص٤٧٥.

(٩) سعيد، موسوعة الوراقة، ج٣، ص١٠.

(١٠) ابن النديم، الفهرست، ص٣١.

(١١) القلقشندي، صبح الأعشى، ج٢، ص٤٧٥.

(١٢) سعيد، موسوعة الوراقة، ج٣، ص١٠.

(١٣) أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور (ت ٧١١ هـ)، لسان العرب، بلا.ط (بيروت، دار

صادر، د.ت) مادة (طرس).

(١٤) خير الدين الزركلي، الأعلام، ط٥ (بيروت، دار العلم للملايين، ١٩٨٠م) ج٣، ص١٠٤.

(١٥) ابن منظور، لسان العرب، مادة (قرطس).

(١٦) القلقشندي، صبح الأعشى، ج٢، ص٤٧٤.

(١٧) سعيد، موسوعة الوراقة، ج٣، ص٢٠.

(١٨) جلال الدين عبد الرحمن السيوطي (٩١١هـ)، حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، بلا.ط (مصر، دار إحياء الكتب العربية - عيسى البابي الحلبي وشركاه – ١٩٦٧م) ج٢، ص١٧٣.

(١٩) أبوبكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي (ت٤٦٣ هـ)، تاريخ بغداد، ط١ (القاهرة، مكتبة الخانجي، ١٩٣١م) ج٩، ص٨٦.

(٢٠) طه الحاجري، الورق والوراقة في الحضارة الإسلامية، مجلة المجمع العلمي العراقي، المجلد ١٣، ١٩٦٥م، ص١٣٣.

(٢١) مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي (ت٨١٧هـ)، القاموس المحيط، ط١(بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٩٨٦م) مادة – الكاغد.

(٢٢) المصدر نفسه، مادة ورق.

(٢٣) القلقشندي، صبح الأعشى، ج٢، ص٤٧٦.

(٢٤) سعيد، موسوعة الوراقة، ج٣، ص٢٤.

(٢٥) المصدر نفسه، ص٢٥.

(٢٦) البلاذري، فتوح البلدان، ص٥٩٢.

(٢٧) أبو منصور عبد الملك الثعالبي (ت ٤٢٩ هـ)، ثمار القلوب في المضاف والمنسوب، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، بلا.ط (القاهرة، دار النهضة المصرية، ١٩٦٥م) ص٥٤٣.

(٢٨) سعيد، موسوعة الوراقة، ج٣، ص٢٥.

(٢٩) سراج الدين أبو حفص عمر بن الوردي (ت ٨٥٢هـ)، خريدة العجائب وفريدة الغرائب، بلا.ط (القاهرة، ١٩٦٠م) ص٢٣١.

(٣٠) ابن خلدون، المقدمة، ص٤٢١.

(٣١) ابن خلدون، المقدمة، ص٤٢١؛ سعيد، موسوعة الوراقة، ج٣، ص٢٧.

(٣٢) القلقشندي، صبح الأعشى، ج٢، ص٤٧٥-٤٧٦.

(٣٣) عواد، الورق، ص٤٢٦.

(٣٤) أبو بكر محمد بن يحيى الصولي (ت٣٣٥ هـ)، الأوراق، تحقيق: ج هيورث، ط١ (القاهرة، مطبعة الصاوي، ١٩٣٦م) ص٢٦١.

(٣٥) القلقشندي، صبح الأعشى، ج٢، ص٤٧٦.

(٣٦) القلقشندي، صبح الأعشى، ج٢، ص٤٧٦؛ سعيد، موسوعة الوراقة، ج٣، ص٢٨.

(٣٧) ابن خلدون، المقدمة، ص٤٢١؛ سعيد، موسوعة الوراقة، ج٣، ص٢٦.

(٣٨) ينظر: محمد المنوفي، تاريخ الوراقة المغربية، ط١(الرباط، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، ١٩٩١م) ص٥٧ وما بعدها.

(٣٩) ابن مرزوق الحفيد (ت ٨٤٢هـ)، الدليل الواضح المعلوم على جواز النسخ في كاغد الروم، نسخة مطبوعة على الآلة الكاتبة، مأخوذة من موقع خزانة المذهب المالكي، ص ١٠ وما بعدها.

(٤٠) شمس الدين أبو الخير محمد بن عبد الرحمن السخاوي (ت٩٠٢هـ)، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، بلا.ط (بيرت، دار مكتبة الحياة، د.ت) ج٥، ص٥٧.

(٤١) صبح الأعشى، ج٢، ص٤٧٧.

(٤٢) أبو العباس أحمد بن يحيى الونشريسي (ت ٩١٤هـ)، المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى أهل إفريقية والأندلس والمغرب، تحقيق: محمد حجي، بلا.ط (المملكة المغربية، دار الغرب الإسلامي، ١٩٨١م) ج١، ص٦٦ وما بعدها.

(٤٣) صبح الأعشى، ج٢، ص٤٧٧.

(٤٤) ينظر: المنوفي، تاريخ الوراقة، ص٥٨.

(٤٥) محمد ماهر حمادة، المكتبات في الإسلام نشأتها وتطورها ومصادرها، بلا.ط(بيروت، ١٩٧٠م) ص ٧٢-٧٣.

(٤٦) عبد المجيد بركو، المخطوط العربي في عصر الوراقين، مجلة الرافد، الشارقة، العدد ٧٠، يونيو ٢٠٠٣، ص٩٠.

(٤٧) معجم البلدان، ج٣، ص٣٠٩؛ جوستاف لوبون، حضارة العرب، ترجمة: عادل زعيتر، ط٢(مصر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مكتبة الأسرة، ٢٠٠٠م) ص ٤٨٢.

(٤٨) سعيد، موسوعة الوراقة، ج٣، ص٣٤.

(٤٩) القلقشندي، صبح الأعشى، ج٢، ص٤٧٧.

(٥٠) ينظر: سعيد، موسوعة الوراقة، ج٣، ص٢٩ وما بعدها.

(٥١) ينظر: مجلة المورد، بغداد، العدد ٤، المجلد ١٤، ١٩٨٥م، ص٢٧٥ وما بعدها.

(٥٢) هو شجر النار، يتفرش ويطول في السماء؛ (ينظر: الزبيدي، تاج العروس، مادة (مرخ)).

(٥٣) ماء حائر: أي ماء مجتمع في الحوض؛ (ينظر الزبيدي، تاج العروس، مادة (حير)).

(٥٤) محفة، مطرقة من الخشب ذات رأسين ؛ (ينظر: رينهارت بيتر آن دُوزِي (ت ١٣٠٠هـ)، تكملة المعاجم العربية، ترجمه وعلق عليه:محمَّد سَليم النعَيمي و جمال الخياط، ط١، (العراق، وزارة الثقافة والإعلام، ١٩٧٩م) ج٤، ص ٣٨٤).

(٥٥) وهو المأخوذ من شجر الزيتون الجبلي؛ (ينظر: أحمد عيسى، أسماء النبات، بلا.ط (دمشق، ١٩٧١م) ص٢٧.

(٥٦) وهي أجزاء شعرية تتعلق بأصول الأشجار، وهي بيضاء نقية؛ (جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت ٩١١هـ)، المزهر في علوم اللغة وأنواعها، المحقق: فؤاد علي منصور، ط١ (بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٩٨م) ج١، ص٤٠٣.

(٥٧) أي كثير الماء؛ (ابن منظور، لسان العرب، مادة غضض).

(٥٨) وهو خلط الشيء بالماء واللبن ونحوها؛ (ينظر: أبو نصر إسماعيل بن حماد الفارابي الجوهري (ت ٣٩٣هـ)، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، ط٤(بيروت، دار العلم للملايين، ١٩٨٧ م) ج١، ص٣٥٧).

(٥٩) هو خيوط من القطن تكون حزمة؛ (ينظر: : محمد بن محمد بن عبد الرزاق الزَّبيدي (ت ١٢٠٥هـ)، تاج العروس من جواهر القاموس، بلا.ط (الكويت، دار الهداية، ١٩٦٦م) ج١٠، ص٤٤٨.

(٦٠) أي تطحن؛ (ينظر: أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي (ت ٣٢١هـ)، جمهرة اللغة، المحقق: رمزي منير بعلبكي، ط١ (بيروت، دار العلم للملايين، ١٩٨٧م) ج٢، ص٨٠٠.

(٦١) المعز بن باديس (ت ٤٥٤ هـ)، عُمدة الكُتّاب وعُدة ذوي الألباب، حقّقه وقدم له: نجيب مايل الهروي، عصام مكّية، ط١ (إيران، مجمع البحوث الإسلامية، ١٤٠٩ هـ) ص١٥ ؛ وينظر: سعيد، موسوعة الوراقة، ج٣، ص٣٣؛ علي جمعان الشكيل، صناعة الورق في الحضارة الإسلامية، مجلة آفاق الثقافة والتراث، الإمارات، العدد ٣١، السنة الثامنة، ٢٠٠٠، ص١١٨ وما بعدها.

(٦٢) سعيد، موسوعة الوراقة، ج٣، ص٣٤ وما بعدها.

(٦٣) المصدر نفسه، ج٣، ص٣٤.

(٦٤ البغ: من اللُّقَامَةُ مَا يَسْقُطُ مِنَ الصُّوفِ إِذَا طُرِقَ؛ (ينظر: أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي (ت٣٩٥هـ)، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، بلا.ط (بيروت، دار

الفكر، ١٩٧٩م) ج١، ص٢٧٥.

(٦٥) أحمد بن عوض المغربي (توفي بعد سنة ٨٥٠ هجرية)، قطف الأزهار في خصائص المعادن والأشجار ونتائج المعارف والأسرار، تحقيق: بدري توفيق، مجلة المورد العراقية، العدد ٣، المجلد٢، عام ١٩٨٣م، ص٢٥١ وما بعدها.

(٦٦) السيلقون: هو أكسيد الرصاص الأحمر يستخدم في الطلاء وفي الأكسدة؛ (ينظر: مجموعة مؤلفين، المعجم الوسيط، بلا.ط (القاهرة، مجمع اللغة العربية، دار الدعوة، د.ت) ج١، ص٤٤٥.

(٦٧) السنط: قَرَظٌ يَنْبُتُ بمصر، قال الدينوري: بالصعيد، وهو أجود حطبهم، يزعمون أنه أكثره ناراً؛ (ينظر: الزبيدي، تاج العروس، ج١٩، ص٣٨٨).

(٦٨) المغربي، قطف الأزهار، ص٢٥١.

(٦٩) الشكيل، صناعة الورق، ص١٢٢.

(٧٠) المصدر نفسه، ص١٢٢.

(٧١) الكلخ: صمغٌ طبي يُستخرج من أنواع نباتية من جنس الفيرولة، ويُعرف في مصر بالكَلَخ، أو علك الكَلَخ؛(ينظر: أحمد مختار عبد الحميد عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة، ط١ (مصر، عالم الكتب، ٢٠٠٨م) ج٣، ص٢٤٤٤.

(٧٢) الشكيل، صناعة الورق، ص١٢٢؛ سعيد، موسوعة الوراقة، ج٣، ص٣٥-٣٦.

(٧٣) الفهرست، ص٣١-٣٢.

(٧٤) دائرة المعارف الإسلامية، ترجمة أحمد الشنتاوي وآخرون، مادة (كاغد).

(٧٥) الأنساب، ج١٠، ص٣٢٧.

(٧٦) تقي الدين أحمد بن علي المقريزي (ت ٨٤٥ هـ)، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، بلا.ط (مصر، مطبعة النيل، ١٣٦٤هـ) ج٢، ص١٨٩؛ سعيد، موسوعة الوراقة، ج٣، ص٣٦-٣٧.

(٧٧) معجم البلدان، ج٢، ص٢٠٢.

(٧٨) عواد، صناعة الورق، ص٤٢٣؛ سعيد، موسوعة الوراقة، ج٣، ص٣٦.

(٧٩) سعيد، موسوعة الوراقة، ج٣، ص٣٥ وما بعدها.

(٨٠) القلقشندي، صبح الأعشى، ج٦، ص١٨٩.

(٨١) المصدر نفسه، ج٦، ص١٨٩.

(٨٢) المصدر نفسه، ج٦، ص١٩٠ وما بعدها.

(٨٣) المصدر نفسه، ج٦، ص١٩٣.

(٨٤) المصدر نفسه، ج٦، ص١٩٢.

(٨٥) المصدر نفسه، ج٦، ص١٩٤-١٩٥.

(٨٦) المصدر نفسه، ج٦، ص١٩٥.

(٨٧) المصدر نفسه، ج٦، ص١٩٥.

(٨٨) المصدر نفسه، ج٦، ص١٩٦.

المصـادر والمراجع

ابن باديس، المعز (ت ٤٥٤ هـ):

١- **عُمدة الكُتّاب وعُدة ذوي الألباب، حقّقه وقدم له: نجيب مايل الهروي، عصام مكّية، ط١ (إيران، مجمع البحوث الإسلامية، ١٤٠٩هـ).**

بركو، عبد المجيد:

٢- **المخطوط العربي في عصر الوراقين، مجلة الرافد، الشارقة، العدد ٧٠، يونيو ٢٠٠٣م.**

البيروني، أبو الريحان محمد بن أحمد (ت ٤٤٠هـ):

٣- **تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة، بلا.ط (طبعة لايبسك، ١٩٤٥م).**

الثعالبي، أبو منصور عبد الملك (ت ٤٢٩ هـ):

٤- **ثمار القلوب في المضاف والمنسوب، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، بلا.ط (القاهرة، دار النهضة المصرية، ١٩٦٥م).**

الجوهري، أبو نصر إسماعيل بن حماد الفارابي

(ت ٣٩٣هـ):

٥- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، ط٤(بيروت، دار العلم للملايين، ١٩٨٧م).

الحاجري، طه:

٦- الورق والوراقة في الحضارة الإسلامية، مجلة المجمع العلمي العراقي، المجلد ١٣، ١٩٦٥م.

الحفيد، ابن مرزوق (ت ٨٤٢هـ):

٧- الدليل الواضح المعلوم على جواز النسخ في كاغد الروم، نسخة مطبوعة على الآلة الكاتبة، مأخوذة من موقع خزانة المذهب المالكي.

حمادة، محمد ماهر:

٨- المكتبات في الإسلام نشأتها وتطورها ومصادرها، بلا.ط(بيروت، ١٩٧٠م).

الخطيب البغدادي، أبوبكر أحمد بن علي (ت٤٦٣ هـ):

٩- تاريخ بغداد، ط١ (القاهرة، مكتبة الخانجي، ١٩٣١م).

١٠- دائرة المعارف الإسلامية، ترجمة: أحمد الشنتناوي وآخرون.

ابن دريد، أبو بكر محمد بن الحسن الأزدي (ت ٣٢١هـ):

١١- جمهرة اللغة، المحقق: رمزي منير بعلبكي، ط١ (بيروت، دار العلم للملايين، ١٩٨٧م).

دُوزِي، رينهارت بيتر آن (ت ١٣٠٠هـ):

١٢- تكملة المعاجم العربية، ترجمه وعلق عليه:محمَّد سَليم النعَيمي و جمال الخياط، ط١، (العراق، وزارة الثقافة والإعلام، ١٩٧٩م).

الرازي، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني (ت٣٩٥هـ):

١٣- معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، بلا.ط (بيروت، دار الفكر، ١٩٧٩م).

الزّبيدي، محمد بن محمد بن عبد الرزاق (ت ١٢٠٥هـ):

١٤- تاج العروس من جواهر القاموس، بلا.ط (الكويت، دار الهداية، ١٩٦٦م).

الزركلي، خير الدين:

١٥- الأعلام، ط٥ (بيروت، دار العلم للملايين، ١٩٨٠م).

سعيد، خير الله:

١٦- موسوعة الوراقة والوراقين في الحضارة العربية الإسلامية، ط١ (بيروت، مؤسسة الانتشار العربي، ٢٠١١م).

السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (ت ٩١١هـ):

١٧- حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم،، بلا.ط (مصر، دار إحياء الكتب العربية - عيسى البابي الحلبي وشركاه – ١٩٦٧م).

١٨- المزهر في علوم اللغة وأنواعها، المحقق: فؤاد علي منصور، ط١ (بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٩٨م).

السخاوي، شمس الدين أبو الخير محمد بن عبد الرحمن (ت٩٠٢هـ):

١٩- الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، بلا.ط (بيرت، دار مكتبة الحياة، د.ت).

الشكيل، علي جمعان:

٢٠- صناعة الورق في الحضارة الإسلامية، مجلة آفاق الثقافة والتراث، الإمارات، العدد ٣١، السنة الثامنة، ٢٠٠٠م.

الصولي، أبو بكر محمد بن يحيى (ت٣٣٥ هـ):

٢١- الأوراق، تحقيق: ج هيورث، ط١(القاهرة، مطبعة الصاوي، ١٩٣٦م).

ابن النديم، أبو الفرج محمد بن إسحاق (ت٣٨٥هـ):

٢٢- الفهرست، بلا.ط (مصر، المطبعة الرحمانية، د.ت).

عواد، كوركيس:

٢٣- الورق أو الكاغد – صناعته في العصور الإسلامية، بحث منشور في مجلة المجمع العلمي العربي، دمشق، تموز، ١٩٤٨م.

عمر، أحمد مختار عبد الحميد:

٢٤- معجم اللغة العربية المعاصرة، ط١ (مصر، عالم الكتب، ٢٠٠٨م).

عيسى، أحمد:

٢٥- أسماء النبات، بلا.ط (دمشق، ١٩٧١م).

القلقشندي، أبو العباس أحمد (ت٨٢١هـ):

٢٦- صبح الأعشى في صناعة الإنشا، بلا.ط (القاهرة، دار الكتب المصرية، ١٩٢٠م).

الفيروز آبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب (ت٨١٧هـ):

٢٧- القاموس المحيط ط١(بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٩٨٦م).

لوبون، جوستاف:

٢٨- حضارة العرب، ترجمة: عادل زعيتر، ط٢ (مصر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مكتبة الأسرة، ٢٠٠٠م).

مجموعة مؤلفين:

٢٩- المعجم الوسيط بلا.ط (القاهرة، مجمع اللغة العربية، دار الدعوة، د.ت).

المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين بن علي (ت٣٤٦هـ):

٣٠- مروج الذهب ومعادن الجوهر، بلا.ط (باريس، دار المعرفة، ١٩٨٢م).

المغربي، أحمد بن عوض (توفي بعد سنة ٨٥٠ هجرية):

٣١- قطف الأزهار في خصائص المعادن والأشجار ونتائج المعارف والأسرار، تحقيق: بدري توفيق، مجلة المورد العراقية، العدد ٣، المجلد٢، عام ١٩٨٣م.

المقريزي، تقي الدين أحمد بن علي (ت ٨٤٥ هـ):

٣٢- المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، بلا.ط (مصر، مطبعة النيل، ١٣٦٤هـ).

ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم (ت ٧١١ هـ):

٣٣- لسان العرب، بلا.ط (بيروت، دار صادر، د.ت).

المنوفي، محمد:

٣٤- تاريخ الوراقة المغربية، ط١ (الرباط، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، ١٩٩١م).

ابن الوردي، سراج الدين أبو حفص عمر (ت ٨٥٢هـ):

٣٥- خريدة العجائب وفريدة الغرائب، بلا.ط (القاهرة، ١٩٦٠م).

الونشريسي، أبو العباس أحمد بن يحيى (ت ٩١٤هـ):

٣٦- المِعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى أهل إفريقية والأندلس والمغرب، تحقيق: محمد حجي، بلا.ط (المملكة المغربية، دار الغرب الإسلامي، ١٩٨١م).

الإِيضَاحُ التَّامُّ
لِبَيَانِ مَا يَقَعُ فِي أَلسِنَةِ العَوَام

وَيَحْصُل به الإِحْرَام لِتَكْبِيرِ الملكِ العَلَّام والسَّلام الذي هو للصَّلاة ختام

لِشِهَابِ الدِّينِ أحمدَ بنِ أحمدَ بنِ بدرِ الدِّين الطِّيبيِّ الدِّمَشقيِّ الصالحيِّ

القاري الفقيه النَّحوي (ت ٩٨١هـ)

دراسة وتحقيق

د. طه محمد فارس

الإِيضَاحُ التَّامُّ لِبَيَانِ مَا يَقَعُ فِي أَلسِنَةِ العَوَام

المقدّمة

الحمد لله، والصّلاة والسّلام على سيدنا رسول الله ومن والاه،

وبعد،

فإنّه لا تخفى على مسلم مكانةُ فريضة الصّلاة في الإسلام، فهي عمودُ الإسلام وركنُه، والعنوانُ الأبرز في شخصية المسلم، وبصلاحها يصلح العمل كلُّه، وبفسادها يفسد العمل كلُّه.

أثنى الله تعالى في كتابه على المقيمين لها، ليبيّن لنا بأنّ المطلوب في الصّلاة الإقامةُ لا الأداء، وإقامتُها تستدعي من كلّ مسلم أن يأتي بالصّلاة على الوجه الأكمل الذي أراده الله تعالى، مُراعياً فيها الشروطَ والأركانَ[1] والسُّنَنَ والآداب، مُتّبِعاً فيها ما جاء عن رسول الله ﷺ؛ لا مُبْتَدِعاً.

ومن المعلوم أنّ قبولَ كلّ عمل يتوقّف على شرطين:

الأوّلُ: صحّة النيّة؛ لأنّ الأعمال بالنيّات.

والثاني: موافقة العمل لما شرعه الله تعالى.

فإنِ انتفى أحدُ هذين الشرطين فلا يوافق العمل محلاًّ للقبول.

ولكي يحقّقَ المسلمُ شروطَ العمل المقبول لا بُدّ له من العِلم؛ لأنّ العلم إمامُ العمل، وكلُّ من يعمل بغير علم يعرض أعمالَه للفساد والبطلان.

وقد أراد الشيخ الفقيه القارئ النحوي شهابُ الدّين الطّيبي بنظمه - الذي بين أيدينا - أن ينبّه إلى جملة من الأخطاء التي تعتري صلاة بعضِ المسلمين، وذلك فيما يخصُّ تكبيرة الإحرام، ولفظَ السّلام فيها، وتكبيرات الانتقال، إضافة إلى جملة من المواضيع المتعلّقة بتصحيح الألفاظ في الأذان والذكر.

وهو موضوع في غاية الأهميّة، يحتاجُه كلُّ مسلم، في كلّ صلاة من صلواته، خصوصاً بعد أن فشا اللّحْنُ والجهل عند كثير من النّاس، فَصِحّةُ الدُّخول بالعمل والخروج منه ضمانٌ لقبوله، فإذا دخل المصلّي إلى صلاته بلفظ فاسد، أو خرج منها بلفظ فاسد، عرّض صلاتَه للفساد وعدم القبول، وأضاع عملَه وجهده، ووجب عليه قضاء ما صَلّى.

وقد مزج الناظم في تناوله لهذا المواضيع بين فنون متعدّدة، وهي الفقه والتجويد والتفسير والقراءات، مما يدل على سعة علمه، وعلو شأنه في العلم.

وقد حملني على تحقيق هذا النظم، والاهتمام به، وإخراجه في أحسن صورة، شخصية ناظمه الذي

---

(١) لم أذكر الواجبات، وقد انفرد الحنفية بالتمييز بينها وبين الأركان في الصلاة.

كان يُشَبَّه بالحسن البصري في علمه وزهده وورعه، وأهمية موضوع النظم وحاجة الناس إليه، مع فشو الجهل، وانتشار اللَّحن حتى على ألسنة بعض الخواص، ممن يتصدَّرُون للإمامة والأذان وشعائر الإسلام.

وقد جعلت دراستي وتحقيقي لهذا النظم في قسمين، الأول: قسم ترجمة المؤلف ودراسة المخطوط والثاني: قسم التحقيق.

أما القسم الأول: فجعلته في مبحثين:

المبحث الأول: تكلَّمتُ فيه عن المؤلف (اسمه ونسبه ولقبه، مولده ونشأته، أسرته، علمه ومكانته، أخلاقه وسيرته، مذهبه الفقهي، عمله ونشاطه، شيوخه، تلامذته، مؤلفاته، شعره، وفاته).

المبحث الثاني: تكلَّمتُ فيه عن مخطوط الإيضاح التام (عنوان المخطوط ونسبته إلى مؤلفه، نسخ المخطوط ووصفه، موضوع المخطوط عملي في المخطوط، نماذج من صور المخطوط).

وأما القسم الثاني: فهو لتحقيق منظومة (الإيضاح التام).

والله أرجو أن أكونَ قد وُفقت في إخراج هذا النَّظم على أكمل وجه، وأن يحقق الهدف والغاية التي قصد إليها ناظمُه، وأن لا يحرمني أجر المجتهد فيما أصبت وفيما أخطأت، نِعْمَ من يُسْأَل ربُّنَا ونِعْمَ النصيرُ إلٰهُنا، والحمد لله ربِّ العالمين.

وكتبه

طه محمد فارس

٨ رمضان ١٤٣٦هـ

٢٥ / ٦ / ٢٠١٥م

قسم ترجمة المؤلف

ودراسة المخطوط

المبحث الأول

ترجمة ناظم قصيدة (الإيضاح التام) [1]

أولاً: اسمُه ونسبه ولقبه:

أحمد بن أحمد بن بدر الدين، الطيبي، الصالحي، الدمشقي، شهاب الدين، وقد لُقِّبَ بالطيبي؛ لأن والده كان يبيع الطيب في محل له في السوق المقابل للباب الغربي للجامع الأموي، المسمى: بباب البريد[2].

ثانياً: مولدُه ونشأتُه:

ولد في دمشق سنة (٩١٠هـ)، في بيت علم وقرآن، فأخذ عن والده وتفقَّه عليه، وقرأ عليه القرآن بقراءاته المختلفة، ثمّ سعى لأخذ العلم عن علماء دمشق.

ثالثاً: أسرته:

ترجع أصول أسرته إلى قرية في فلسطين بين نابلس والقدس، تسمى: القَنْدَقُومِيَّة، وقد قَدِم جدُّه منها إلى دمشق، بينما كان أبوه أحمد صغيراً.

رابعاً: علمُه ومكانتُه:

كان الطيبي عالماً عاملاً، علّامة قارئاً، فقيهاً نحوياً، فاضلاً صالحاً، واعظاً زاهداً، قيل عنه: إنَّهُ جمال الزَّمان دِيْنَاً وعِلماً، وقد اشتُهِر بالفضل من صغره، يقرأ القراءاتِ العشر ويُقْرِئ بها، مع علم واسع في النَّحو والفقه الشافعي، واهتمام بالحديث، وهو صاحب التَّصانيف المفيدة، والتحقيقات الفريدة، والدُّرَر النَّضيدة[3].

خامساً: أخلاقه وسيرته:

كان دَيِّناً وَرِعاً، زاهِداً مُتَقَشِّفاً، مُجتهداً في العبادة ممّا لا يدرك به، قائماً بالحقِّ؛ لا تأخذه بالله لومة

---

(١) انظر: تراجم الأعيان للبوريني ١: ٩ـ ١٥، الكواكب السائرة للغزي ٣: ١١٤، شذرات الذهب لابن العماد ١٠: ٥٧٦، معجم المؤلفين لكحالة ١: ١٤٦، الأعلام للزركلي ١: ٩١.

(٢) انظر: تراجم الأعيان للبوريني ١: ٩ـ ١٥.

(٣) انظر: تراجم الأعيان للبوريني ١: ٩ـ ١٥، الكواكب السائرة للغزي ٣: ١١٤، شذرات الذهب ١٠: ٥٧٦.

لائم[4]، قال عنه عصريُّه[5]: "كان ممَّن يُسْتَسْقَى به الغيثُ في زمانه، وممَّن يُقَاسُ بالحسن البصري بين أقرانه"[6].

سادساً: مذهبُه الفقهي:

كان أوَّل ما تفقَّه على والده أحمد، وقد كان شافعياً، فلزم الشيخ مذهب والده، وتفقَّه وأفتى بِهِ، وألَّفَ ونظم الرسائل في الفقه الشافعي.

سابعاً: عَمَلُه ونشاطه:

تولَّى الشيخ الطيبي إمامة الجامع الأموي الكبير في دمشق دهراً طويلاً، وخطب به زمناً، وأقرأ فيه القرآن والقِراءات، ودَرَّس فيه بضعاً وثلاثين سنةً، كما تولَّى التدريس في دار الحديث الأشرفية، ثمّ بالرِّباط النَّاصِري، ثم بالمدرسة العادلية الصغرى، والجامع المنجكي في محلة مسجد الأقصاب، إلى جانب ذلك كان يتولَّى كتابةَ الأوقاف لأُمراء بني مَنجَك في دمشق، ويدرك بكتابته هذه رزقه.

ثامناً: شيوخُه:

كان والده هو أول من تلقى عليه القرآن بقراءاته، والفقه الشافعي، ثم قرأ على شيوخ دمشق، وكان منهم: الشيخ شمس الدِّين محمد بن عبد الرحمن الكفرسوسي الشافعي (ت٩٣٢هـ)، والشيخ أبي عبد الله كمال الدين محمد بن حمزة بن أحمد الحسيني (ت٩٣٣هـ) مفتي دار العدل بدمشق، والشيخ كريم الدين عبد الكريم بن عبد القادر بن عمر الجعبري (ت٩٣٣هـ) وقد أخذ عنه الحديثَ ومصنفاتِ ابن الجزري، والشيخ تقي الدين محمد بن محمد البلاطنسي(ت٩٣٦هـ)، والشيخ تقي الدين أبي بكر محمد ابن يوسف القاري (ت٩٤٥هـ)، والشيخ محمد بن محمد التونسي المالكي الملقب بمغوش (ت٩٤٧هـ)، والشيخ علاء الدين علي بن حسن الجراعي الدمشقي الشافعي (ت٩٤٩هـ) المشهور بالقيمري لسكناه في منطقة القيمرية، والشيخ بدر الدين أبي البركات محمد بن محمد بن محمد بن أحمد الغزي العامري القرشي الشافعي (ت٩٨٤هـ).

تاسعاً: تلامذته:

حرص الشيخ الطيبي على تعليم الطُّلّاب، مع الشفقة الكاملة، والألطاف الوافرة؛ لا سيما الغرباء منهم، فقد كان يخصُّهُم بمزيد من العِناية والرِّعاية، وقد أخذ عنه جماعةٌ من الأفاضل، منهم: ولدُه الشيخ أحمد، والشيخ إبراهيم بن محمد البيكار المقدسي الدمشقي (ت٩٥٧هـ)، والشيخ محيي الدين أحمد ابن يحيى الأيدوني (ت٩٧٨هـ)، والشيخ أحمد العيثاوي (ت٩٧٩هـ) مفتي الشافعية بدمشق، والشيخ محمد بن علي القابوني (ت٩٨٠هـ)، والشيخ عماد الدين محمد بن محمد الحنفي (ت٩٨٦هـ)، والشيخ إسماعيل النابلسي (ت٩٩٣هـ) مفتي الشافعية في زمانه، والشيخ أحمد الوفائي مفتي الحنابلة بدمشق،

(٤) انظر: تراجم الأعيان ١: ١٤ ـ١٥.

(٥) الحسن بن محمد البوريني (ت١٠٢٤هـ).

(٦) انظر: تراجم الأعيان ١: ٩.

والشيخ حسن بن محمد البوريني (ت ١٠٢٤هـ)، وقد كان صغيراً [٧].

عاشراً: مؤلفاته:

للشيخ شهاب الدِّين الطِّيبي عدد من المؤلفات، أكثرُها نظم، تدور موضوعاتها ما بين القراءات والفقه والوعظ ولا يزال أكثرها مخطوطاً، ومنها ما هو مطبوع، وسأتناول أولاً المخطوط منها، ثُمَّ أتبعه بالمطبوع:

أ ـ مؤلفاته المخطوطة:

١ـ **منظومة فيمن يستحقُّ الحَضَانة** (في الفقه الشافعي): وقد وقفتُ لها على نُسختين خطِّيَّتين، نسخة المكتبة الأزهرية برقم (١٢٩٣٩٧)؛ ويوجد منها صورة في مركز جمعة الماجد بدبي برقم: (٦٣٣٩٩٦)؛ ونسخة في جامعة برنستون في الولايات المتحدة الأمريكية برقم (٥٩٨)؛ ويوجد منها صورة بمركز جمعة الماجد برقم: (٢٢٣٨٨٢).

٢ـ **المواعظ السَّنِيَّة في الخطب الطِّيبية أو المنبريَّة** (وعظ): وهي من مخطوطات مكتبة تشستربتي ـ إيرلندا ـ دبلن برقم: (٤٢٦٦)، ويوجد منها صورتان لنسختين مختلفتين في مركز جمعة الماجد بدبي، رقم: (٢٥٤٩٤٦) و(٢٢٥١١٩)[٨].

٣ـ **شروط الجمعة عند الإمام الشافعي** (فقه): من مخطوطات مكتبة تشستربتي ـ دبلن برقم: (٤٢٦٦)؛ ويوجد منها صورة في مركز جمعة الماجد بدبي، برقم: (٢٢٥١٢٠).

٤ـ **توضيح منظومة السخاوي في المتشابه** (علم متشابه القرآن): من مخطوطات المكتبة الظاهرية ـ دمشق برقم (٣٥٧)، ويوجد صورة منها في مركز جمعة الماجد بدبي، برقم: (٢٢٥٥٧٣).

٥ـ **بلوغ الأماني في قراءة ورش من طريق الأصبهاني** (قراءات): من مخطوطات المكتبة الظاهرية ـ دمشق، برقم: (٥٢٧٣)، وفي مركز جمعة الماجد بدبي برقم: (٢٢٧١٩١) [٩].

٦ـ **الإبانة في مسائل الحضانة** (منظومة في الفقه): من مخطوطات الظاهرية ـ دمشق، برقم: (٥٨٩٦)، ويوجد صورة منها في مركز جمعة الماجد بدبي برقم: (٢٣٠٣٠٤).

٧ـ **ترتيب المستحقين للحضانة** (فقه): من مخطوطات الظاهرية ـ دمشق برقم: (٥٨٩٦)، ويوجد صورة منها في مركز جمعة الماجد بدبي برقم: (٢٣٢٠٧٤).

٨ـ **شرح رسالة أرسلان** (تصوُّف وأخلاق): يوجد منها نسختان خطيتان، نسخة في المكتبة الظاهرية بدمشق برقم: (١١٣٢٧)، ونسخة في مكتبة الدولة ببرلين ـ ألمانيا، وصورتهما في مركز جمعة الماجد بدبي أرقامهما على التوالي: (٢٣٣٩٧٩) و(٦٨٥٨٢٢).

---

(٧) انظر: تراجم الأعيان ١: ١٠، والكواكب السائرة ٣: ١١٥.

(٨) انظر: تراجم الأعيان ١: ١٢، ومعجم المؤلفين لكحالة ١: ١٤٦ ـ١٤٧، والأعلام للزركلي ١: ٩١.

(٩) انظر: الكواكب السائرة ٣: ١١٥، معجم المؤلفين لكحالة ١: ١٤٦ ـ١٤٧، والأعلام للزركلي ١: ٩١.

٩- **مذهب حمزة في تحقيق الهمزة** (قراءات): من مخطوطات المكتبة الظاهرية بدمشق برقم: (٥٨٩٦)؛ وصورتها في مركز جمعة الماجد بدبي برقم: (٢٣٦٣٨٤)[١٠].

١٠- **التنوير فيما زاد النشر على الحرز والتيسير** (قراءات): لها عدة نسخ مخطوطة، نسخة في دار الكتب المصرية برقم: (٢٧٥)، ونسخة ثانية من مؤسسة إحياء التراث في فلسطين - القدس برقم:(٣٦٧)، ونسخة من مكتبة الدولة ببرلين - ألمانيا، وصور النسخ في مركز جمعة الماجد بدبي بالأرقام الآتية على التوالي: (٢٥٠٠٥٦) و(٢٥٩٦٩٦) و(٦٩٥٧٩٠).

١١- **نجاح الناسك في إيضاح المناسك** (فقه شافعي): من مخطوطات المكتبة البديرية في القدس المحتلة برقم: (٣٦٠)؛ وصورتها في مركز جمعة الماجد بدبي برقم: (٢٦١٥٧٥)[١١].

١٢- **الألغاز الجزرية والأجوبة عليها** (تجويد): من مخطوطات الخزانة العامة في المغرب - الرباط برقم: (٣٠٢)، وفي مركز جمعة الماجد بدبي برقم: (٥٨٢٠٤٥).

١٣- **الصحيفة فيما يحتاج إليه الشافعي في تقليد أبي حنيفة** (فقه): ويوجد منها عدد من النسخ المخطوطة، من المكتبة الأزهرية بالقاهرة، ومن مكتبة الدولة ببرلين، ومن مركز زايد للتراث بالعين - الإمارات، ومن بيت الغزي في اليمن (زبيد)، وأرقامها مصوراتها على التوالي في مركز جمعة الماجد بدبي: (٦٥٢٥٦٢) و(٦٧٠٠٠٠) و(٦٨٢٨٨٩) و(٦٧٧١٥٩) و(٦٧٨٣٤٦) و(٤١٧٢٣١) و(٤١٨٨٩٠) و(٤٢٠٥٦٨) و(٤٢٠٥٦٨) و(٤٢٥٠٨٤)[١٢].

١٤- **أشكال المنطق الأربعة**[١٣]: وقد ذكره البوريني والغزي وكحالة، ولم أقف له على نسخة مخطوطة[١٤].

١٥- **نهاية المحتاج للدماء الواجبة على المعتمر والحاج**: وقد ذكره الغزي (ت١٠٦١هـ) [١٥].

١٦- **الزوائد السنية على الألفية**[١٦].

١٧- **السُّكَّرُ المرشُوش في تاريخ الشيخ مغوش**: وهي ترجمة لشيخه محمد بن محمد التونسي المالكي الملقب بمغوش (ت٩٤٧هـ)[١٧].

١٥- **الإيضاح التام لبيان ما يقع في ألسنة العوام ويحصل به الإحرام لتكبير الملك العلام** (فقه وتجويد

---

(١٠) انظر: الأعلام للزركلي ١: ٩١.

(١١) انظر: تراجم الأعيان ١٢:١؛ والكواكب السائرة ٣: ١١٥؛ ومعجم المؤلفين لكحالة ١: ١٤٦-١٤٧؛ والأعلام للزركلي ١: ٩١. قال الغزي في الكواكب: مختصر مناسك ابن جماعة في المذاهب الأربعة.

(١٢) انظر: الكواكب السائرة ٣: ١١٥؛ معجم المؤلفين لكحالة ١: ١٤٦-١٤٧.

(١٣) وقد ذكره الغزي بعنوان: رفع الإشكال في حل الإشكال.

(١٤) انظر: تراجم الأعيان ١: ١٢؛ والكواكب السائرة ٣: ١١٥؛ ومعجم المؤلفين لكحالة ١: ١٤٦-١٤٧.

(١٥) انظر: الكواكب السائرة للغزي ٣: ١١٥.

(١٦) انظر: المصدر السابق ٣: ١١٥.

(١٧) انظر: المصدر السابق.

وتفسير): وهي موضوع دراستنا وتحقيقنا، وسنتناولها بالتفصيل عند دراستها[١٨].

ب ـ مؤلفاته المطبوعة:

١ـ منظومة المفيد في علم التجويد: وقد قام بتحقيق هذه المنظومة الدكتور أيمن رشدي سويد، ونشرت في دار الغوثاني للدراسات القرآنية ـ دمشق، طُبع سنة: ١٤٢٧هـ ـ ٢٠٠٧م. وهناك شرح وتعليق على هذا النظم بعنوان: إسعاف الظمي بالتعليق على نظم الطيبي؛ لإسلام بن نصر الأزهري، نشر مكتبة أولاد الشيخ للتراث ـ القاهرة، طُبع سنة:(٢٠١٢م).

حادي عشر: من شعره:

اشتهر الشيخ شهاب الدِّين الطيبي بنظم العلوم، من فقه وقراءات، كقصيدته التي بين أيدينا (الإيضاح التام)، وقد أُثِرَت عنه نتف شعرية، من ذلك قوله:

لـثـلاثٍ يـطـلـبُ الـدُّنـيـا الـفـتـى ... لـلـغـنـى والـعـزُّ أو أن يـسـتـريـحْ
عِـــزُّه فـي الـزّهـد والـقَـنْـعُ غِـنـىً ... وقـلـيـلُ الـسَّـعـي فـيـهـا مُـسـتـريـحْ

وقال أيضاً:

إن كـنـت تـبـغـي أن تـنـل الـرِّضَـى ... وراحــــةَ الـقـلـبِ مــعَ الأنـس
فـكــن مـــع الـلــهِ بـــلا خـلـقـه ... وكـــن مـــعَ الـخَـلـق بـــلا نـفـس

وقال أيضاً:

عـجـبـتُ لـمـديُـون تـزايـدَ عُـسْـرُه ... وأعـيـاهُ وامـتـدَّت عـلـيـه مَـذاهـبُـه
لـقـد بـاتَ مَـدْيُـونـاً فـأصـبـحَ دائـنـاً ... يـطـالـب مــن بـالأمـس كـان يـطـالـبـه

ثاني عشر: وفاته:

توفي يوم الأربعاء ثامن عشر ذي القعدة الحرام سنة (٩٧٩هـ)[١٩]، وقيل: (٩٨١هـ)[٢٠]، وصلَّى عليه محمد بدر الدِّين الغَزِّي[٢١]، وقد دفن بباب الفراديس، في تربة مَرج الدَّحداح بدمشق، بالقرب من قبر الشيخ أبي شامة، وقد كانت له جنازة مشهودة.

* * *

(١٨) انظر: الكواكب السائرة ٣: ١١٥، الأعلام للزركلي ١: ٩١.

(١٩) انظر: الكواكب السائرة للغزي ٣: ١١٤، شذرات الذهب ١٠: ٥٧٦ وقال: وهو الصحيح، ومعجم المؤلفين لكحالة ١: ١٤٦.

(٢٠) انظر: تراجم الأعيان للبوريني ١: ٩ـ ١٥، الأعلام للزركلي ١: ٩١.

(٢١) كما ذكر الشيخ نجم الدين الغزي في الكواكب السائرة ٣: ١١٦.

المبحث الثاني

دراسة مخطوط (الإيضاح التام)

أولاً: عنوان المخطوط ونسبته إلى مؤلِّفه:

وقع اختلاف في عنوان المخطوط بين نسختيه، ففي النسخة الظاهرية كان العنوان: (القَول التَّامُّ لِبَيَانِ مَا يقع في أَلسِنَةِ العَوَام وَيَحْصُل به الانخِرَام لتكبير الملك العلَّام وكلمة الإسلام والسلام الذي هو للصلاة ختام)، أما في نسخة جامعة طوكيو فكان العنوان: (الإيضاح التام لبيان ما يقع في ألسنة العوام ويحصل به الإحرام لتكبير الملك العلام والسلام الذي هو للصلاة ختام).

كما وقع الاختلاف في عنوان النظم عند من ترجم للشيخ الطِّيبي، فذكر الغزي النظم بعنوان: (الإيضاح التام في تكبيرة الإحرام والسَّلام)[٢٢]، وأمَّا صاحب إيضاح المكنون فذكره بعنوانين، الأول: (الإيضاح التَّام في تكبيرة الإحرام والسلام)، والثاني: (الإيضاح التَّام لبيان ما يقع في ألسنة العوام من التغيير في التكبير وكلمتي الشهادة والسلام)[٢٣]، وأمَّا صاحب كتاب الأعلام فذكره بعنوان: (الإيضاح التام لبيان ما يقع في ألسنة العوام)[٢٤].

والملاحظ أنَّ الكلَّ متَّفق على موضوع النظم، وإن اختلفتِ العناوين الشارحة، وقد اخترت أن يكون عنوان الرسالة ما ذكر في نسخة جامعة طوكيو، وذلك لتمامه وتوافق أكثر من ترجموا للمؤلف على جزئه الأكبر.

أما نسبة النَّظم لشهاب الدِّين أحمد بن أحمد الطيبي، فنستطيع الجزم بها من خلال طريقين، الأول: تصريح الناظم بذلك في البيت (١٤١) من منظومته، والثاني: اتفاق كلمة من ترجم له، أو ذكر النَّظم، على نسبته له.

ثانياً: نسخ المخطوط ووصفه:

للمخطوط الذي بين أيدينا نسختان[٢٥]:

النسخة الأولى: من معهد الثقافة والدِّراسات الشرقية بجامعة طوكيو، اليابان، وهي برقم: (MS٢٩)، والنسخة المصورة في مركز جمعة الماجد برقم: (٢٩٤٩٨٠)، وقد رمزت لها بالحرف (أ)، وجعلتها أصلاً للتَّحقيق، لتمامها، ودقة ضبطها، فهي نسخة نفيسة، ربما تكون بخطِّ مؤلفها[٢٦].

تقع هذه النسخة في أربعة أوراق، في كلِّ صفحة منها (١٧) سطراً، كُتِبَت بخط نسخي واضح، وضبطت ضبطاً كاملاً، واتَّبع كاتبُها نظام التعقيبة، وقد أُلحق في هامشها أبيات منها، وفي هامشها

(٢٢) انظر: الكواكب السائرة ٣: ١١٥.

(٢٣) انظر: إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون ١: ١٥٤.

(٢٤) انظر: الأعلام للزركلي ١: ٩١.

(٢٥) وقد ذكر صاحب إيضاح المكنون على كشف الظنون أن لها نسخة مخطوطة في الزيتونة.

(٢٦) وذلك لضبطها، وإلحاق بعض الأبيات في هوامشها، وبيان معاني بعض مفرداتها.

تعليقات وشروح قليلة، مجموع الأبيات فيها: (١٤٣) بيتاً، وقد سقط منها ثلاثة أبيات، وهي: (٩٥) و(١٤٥) و(١٤٦).

النسخة الثانية: من المكتبة الظاهرية بدمشق، وهي برقم: (١٠٣٥١)، والنسخة المصورة في مركز جمعة الماجد بدبي برقم: (٢٤٤٦١٥)، وقد رمزت لها بالحرف (ب).

تقع هذه النسخة في أربعة أوراق، في كلِّ صفحة منها (٢٥) سطراً، مكتوبة بخط نسخي معتاد، وعلى هوامشها بعض التعليقات والشروح، وقد ذكر الناسخ بعض التصحيحات والخلافات في رواية بعض الأبيات، واتبع نظام التعقيبة، وكتب عناوين الفقرات فيها بلون مغاير، ومجموع الأبيات التي ذكرت فيها: (١٣٦) بيتاً.

وقد صرَّح ناسخها في نهاية النظم باسمه وبوقت نسخه له، فقال: "تمَّ نسخه بعد العصر نهار الأحد في يوم ٢٦ من صفر الخير لسنة[٢٧] ثمان وعشرين وألف، على يد الفقير صالح ابن الشيخ عبد الغني ابن الشيخ عبد القادر السقطي، عفا الله عنهما ورحمهما وجعل الجنة مأواهما، آمين، والحمد لله رب العالمين".

وأشار الناسخ إلى أن المخطوط نسخ من خط المؤلف.

ثالثاً: موضوع المخطوط (النظم):

المخطوط الذي بين أيدينا هو منظومة من بحر الرجز، لناظمه الإمام أحمد بن أحمد الطِّيبي الشافعي، تحدَّث فيها عن موضوع مُهم يتعلق بأعظم ركن من أركان الإسلام بعد الشهادتين وهي الصلاة، وتعرَّض لما يقع من بعض المصلين من أخطاء ولحن يتعلق بتكبيرة الإحرام والسَّلام من الصلاة، مما يعود بالضَّرر على صحَّة الصلاة، وقد مزج في تناوله لهذا الموضوع بين فنون عدة، وهي الفقه والتجويد والتفسير والقراءات.

وقد قدَّم لنظمه بمقدمة تحدَّث فيها عن الموضوع وأهميته، ثم تناول صور الخلل والانحراف في لفظ تكبيرة الإحرام، وما يجب على المصلي من تصحيح لفظ تكبيرة الإحرام، ثم تعرَّض للردِّ على شبهة يهودية تتعلَّق بلفظ تكبيرة الإحرام، ثم تناول تصرفات بعض جهلة المتصوفة وأخطائهم في لفظ التهليلة أثناء الذكر، ثم تحدَّث عن وجوب قضاء الصلاة على ذلك المُخِلِّ بلفظ تكبيرة الإحرام مهما كثر ذلك منه، ثمَّ تحدَّث عن لفظة السَّلام وما يقع فيها من أخطاء، وما يترتب على هذه الأخطاء من خلل في الصلاة، وبعد ذلك لخَّص الأحكام التي تناولها ممَّا يتعلق بتكبيرة الإحرام والسَّلام.

وعرَّج بعدها على ما يجب على المؤذنين معرفته وتصحيحه من ألفاظ الأذان وكلماته، وخطر الخطأ في ألفاظ الأذان، ولم يفته الحديث عن مكانة الأذان والمؤذنين.

أخيراً: ختم بخاتمة حضَّ فيها على النُّصح لكلِّ مسلم يقع بمثل هذه الأخطاء، وأرَّخ لتاريخ نظمه على طريقة حروف الجمل، مع ذكر اسمه في نهاية النظم.

---

(٢٧) وقد كُتب التاريخ رقماً: ١٣٢٨هـ، ويبدو لي أن فيه خطأ.

رابعاً: عملي في المخطوط:

١ـ نَسْخُ مخطوط (الإيضاح التَّام ..)، متَّبعاً الطرق الإملائية الحديثة في الكتابة.

٢ـ المقارنة بين نسختي المخطوط، وإثبات الفروق الواقعة بينهما.

٣ـ ضبط ألفاظ النظم ضبطاً كاملاً، مع التَّدقيق في صحَّة وزن الأبيات.

٤ـ توثيق الأحكام المذكورة من كتب الشافعية المعتمدة أولاً لالتزام الناظم به، ثمَّ بيان آراء المذاهب الفقهية المعتمدة ما استطعت إلى ذلك سبيلاً.

٥ـ توثيق ما ذكر في النظم مما يتعلق بالقراءات والتفسير والعقيدة.

٦ـ وضع عناوين توضيحية بين قوسين مغلقين لكلِّ مقطع من مقاطع النظم.

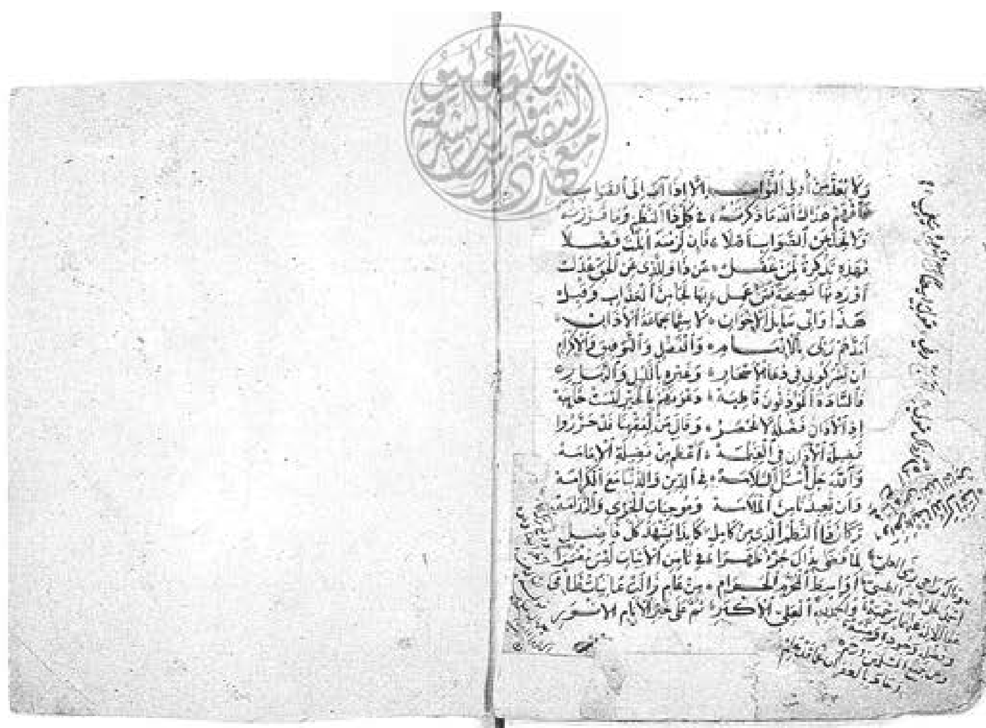
٧ـ وضعُ رقم ورقة المخطوط مع جهتها، بين قوسين مغلقين [ ] على جانب الصفحة، والإشارة إلى بداية صفحة المخطوط بخط مائل /.

٨ـ وضع فهرس لمصادر ومراجع التحقيق والدراسة والتعليق.

خامساً: نماذج من صور المخطوط:



الصفحة الأولى من نسخة معهد دراسات الثقافة الشرقية - جامعة طوكيو



الصفحة الأخيرة من نسخة معهد دراسات الثقافة الشرقية - جامعة طوكيو

الصفحة الأولى من نسخة المكتبة الظاهرية بدمشق

الصفحة الأخيرة من نسخة المكتبة الظاهرية بدمشق

قسم التحقيق لأرجوزة

[أ/١]

الإيضاح التام

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه أستعين، ربِّ يسر:

١- اللهُ جلَّ[1] وتعالى أكبرُ ... مِن كلِّ شيءٍ قَدْرُهُ لا يُقْدَرُ

٢- أحْمَدُهُ مُكَبِّراً جَلالَهُ ... مُسْتَغْفِراً وشَاكِراً إفْضَالَهُ

٣- ثمَّ إلى مَنْ أوْضَحَ الحقَّ بِهِ ... نبيِّنا مُحَمَّدٍ وحِزْبِهِ

٥- أُهْدِي صَلاةً مَعْ سَلامٍ سَرْمَدَا ... مَا نَالَ طَالِبُ الهِدَايَةِ الهُدَى

[موضوع الأرجوزة وسببها]

٦- وبَعْدُ، قد أوردتُ في ذَا النَّظمِ ... فَائِدةً فَاصْغِ لَهَا بِالفَهْمِ[2]

٧- ثُمَّ إذَا فَهِمْتَهَا فَانْشُرْهَا ... وللَّذِي تَخْفَى عَلَيْهِ اذْكُرْهَا[3]

٨- لأنَّ في ذاكَ عظيمَ الأجْرِ ... مِن رَبِّ الأربابِ الجَوادِ البَرِّ[4]

---

(١) بإشباع اللام ليستقيم الوزن.

(٢) التزم الناظم في هذه القصيدة بمذهب الإمام محمد بن إدريس الشافعي رحمه الله.

(٣) لأن هذا الفعل هو من باب النصح الذي حث عليه الإسلام، فقد قال النبي ﷺ: "الدين النصيحة" أخرجه مسلم في الإيمان برقم ٥٥.

(٤) فقد ورد في الحديث عن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: "إن الله وملائكتَهُ وأهلَ السموات والأرضين حتى النَّملة في جُحْرِها، وحتى الحوت ليُصَلُّون على مُعَلِّمِ الناس الخير". أخرجه الترمذي في فضل الفقه على العبادة برقم ٢٦٨٥، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ١: ٣٣٣ برقم ٥١٣ وقال: رواه الطبراني في الكبير وفيه القاسم أبو عبد الرحمن: وثقه البخاري وضعفه أحمد.

٩- هِيَ أَنَّ بَعْضَ النَّاسِ فِي التَّكبِيرِ[٥] أَتَــوْا بِـمَـا أَدَّى إِلَـى الـتَّـغْـيِـيـرِ[٦]

١٠- فَمِنْهُمْ مَـنْ زَادَ حَـرْفـاً نَقَـلَهْ[٧] ومِـنْـهُـمْ مَـنْ زَادَ حَـرْفـاً أَبْـطَـلَـهُ[٨]

١١- ومِنْـهُ حَـرْفٌ بَعضُهُمْ قَدْ أَبْدَلَـهُ[٩] فَـنَـقَـلَ الـمـعـنـى، وَقِـيْـلَ عَـطَّـلَـهُ

١٢- فَـبَطَـلَـتْ صَلاتُـــهُـم بِـكِـلْـمَـةْ[١٠] وَانـتَـقَـمَ الـشَّـيْـطَـانُ أَيَّ نِـقْـمَـةْ

١٣- فَـأَلـحَقَ الـمُـحَـافِـظَ الـمُـوَاظِـبَـا[١١] بِـتَـارِكٍ لـهـا[١٢] أَضَــاعَ الـوَاجِـبَـا

---

(٥) أي: في افتتاح الصلاة بتكبيرة الإحرام، أو بتكبيرة الافتتاح، أو التحريمة كما يسميها فقهاء الحنفية، وهي قول المصلي في افتتاح صلاته: (اللهُ أكبَرُ)، وقد ذهب جمهور الفقهاء من المالكية والشافعية والحنابلة ومحمد بن الحسن من الحنفية إلى أن تكبيرة الإحرام فرض من فروض الصلاة، أمَّا الشيخان من الحنفية فذهبوا إلى أنَّها شرط من شروط الصلاة. وتظهر فائدة الخلاف فيمن شرع بالتكبيرة قبل زوال الشمس بلحظة ثم زالت، فالجمهور يقولون ببطلان الصلاة لأنه أتى بجزء منها قبل دخول الوقت، أما الحنفية فيقولون بصحتها لأن التحريمة شرط، ولا يضر تقدم الشرط. استدل الجمهور لقولهم بحديث علي رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال: "تحريمها التكبير وتحليلها التسليم" أخرجه أبو داود برقم ٦١، والترمذي برقم ٣، وغيرهما بإسناد صحيح، وأخرجه الحاكم في المستدرك ١: ٢٢٣ برقم ٤٥٧ وقال: صحيح الإسناد على شرط مسلم ووافقه الذهبي. أما الشيخان من الحنفية فاستدلا على كون التحريمة شرط بقوله تعالى: ﴿ وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ ﴾ [الأعلى:١٥]، فإنه تعالى عطف الصلاة عليها، والعطف يقتضي المغايرة بين المعطوف والمعطوف عليه، فالشيء لا يعطف على نفسه، كما أنه ليس من عطف الكل على الجزء. أمَّا لفظ التحريمة لمن يقدر عليه فيكون بقول: (الله أكبر) وهو قول الجمهور ووافقهم أبو يوسف، وذهب الحنفية إلى أنها تنعقد بكل لفظ يقصد به التعظيم، كالتهليل والتسبيح. استدلَّ الجمهور لقولهم بفعل النبي ﷺ أنَّه كان يفتتح الصلاة بالتكبير" أخرجه أحمد في المسند ٦: ٣١ وأبو داود برقم ٧٨٣ وابن حبان في صحيحه برقم ١٧٦٨، فهو دليل على تعيُّن لفظ التكبير دون غيره من ألفاظ التعظيم، كما استدلوا بحديث رفاعة في قصة المسيء صلاته الذي أخرجه أبو داود برقم ٨٥٧ بلفظ: "لا تتم صلاة أحد من النَّاس حتى يتوضَّأ فيضع الوضوء مواضعه ثم يكبر"، ورواه الطبراني في الكبير برقم ٤٥٢٨ بلفظ: "ثم يقول: الله أكبر..". انظر: حاشية الطحطاوي ص١٤٥، الذخيرة للقرافي٢: ١٦٧، منح الجليل١: ٢٤١، المجموع للنووي ٣: ١٧٥، تحفة المحتاج ١: ٣٦٥، فتح الباري ٢: ٢١٧، المغني لابن قدامة ١: ٥٤٤، كشاف القناع ٢: ١٦.

(٦) أي: تغيير حروف لفظ تكبيرة الإحرام.

(٧) أي: زاد حرفًا على تكبيرة الإحرام، فأدت هذه الزيادة إلى تغيير المعنى، مثل زيادة همزة في لفظ الجلالة، فيصبح استفهاماً: آلله، أو زيادة ألف بعد الباء من أكبر، فيصبح: أكبار، وسيأتي بيانه. قال في هامش النسخة (أ): قوله نقله: أي نقل معناه إلى معنى آخر.

(٨) في هامش النسخة (أ): قوله أبطله: أبطل معناه حتى صار لفظاً لا معنى له. قلت: وذلك كأن يولد واواً من هاء لفظ الجلالة، أو يضيف واواً بعد لفظ الجلالة مسكِّناً الهاء.

(٩) وذلك كأن يقول: وكبر، أو أجبر (مع إشمام الجيم بالشين)، فيبدل الهمز واواً، أو الكاف جيماً مُشمومة بالشين، أو الكاف قافاً من كلمة أكبر، كما يفعله البعض. قال في المحيط البرهاني ٢: ٣٣: ولو قال: الله أقبر، يصير شارعاً، فإن العرب قد تبدل الكاف قافاً. ولكن هذا ليس موضع اتفاق.

(١٠) وذلك لفساد الفريضة التي تنعقد بها الصلاة، وهي تكبيرة الإحرام.

(١١) وَظَبَ على الشيء وُظوباً، وَوَاظَبَ:أي لزمه وداومه، وتعهَّده، والمواظبة: المثابرة على الشيء والمداومة عليه. لسان العرب: مادة وظب.

(١٢) أي: بتارك للصلاة.

١٤- وَلَمْ يَنَلْ فَاعِلُهَا[١٣] إلاَّ النَّصَبْ[١٤] ولا يُلامُ إنْ بَكَى أَوِ انْتَحَبْ[١٥]

١٥- ومَا نَجَا مِن ذَاكَ إلاَّ مَنْ هُدِي وَوَضَحَتْ لَهُ طَرِيقُ الرُّشْدِ

[صور التغيير المنكر للفظ التكبيرة]

١٦- وذَاكَ في خَمْسَةِ أَلْفَاظٍ جَرَى تَغْييرُهم لَهُ[١٦] على مَا اشْتُهِرَا

١٧- فَنَقَلُوا مَعْنَاهُ[١٧] في لَفْظَيْنِ وَأَبْطَلُوا المعنى بِآخَرَيْنِ

١٨- وَنَقَلُوا أَوْ عَطَّلُوا في الآخِرِ وَكُلُّهَا اعْدُدْهَا مِنَ المَنَاكِرِ

١٩- لأَوَّلُ: مَدُّ هَمْزَةِ الجَلالَهْ وذَلكَ اسْتِفْهَامُ ذِي الجَهَالَهْ[١٨]

٢٠- إذْ لا يَشُكُّ مُسْلِمٌ أنَّ الحَق أَكْبَرُ مِنْ كُلِّ كَبِيْرٍ حَقَّا

٢١- والثَّانِ: أَكْبَارُ بِمَدِّ البَاءِ وذَاكَ فَاسِدٌ بِلا خَفَاءِ[١٩]

٢٢- لأنَّهُ جَمْعٌ لِقَوْلِهِم: كَبَرْ والكَبَرُ: الطَّبْلُ[٢٠]، وَمَن يَنْوِهْ كَفَرْ[٢١]

٢٣- والثَالِثُ: اللَّفْظُ الَّذِي قَدِ انْتَشَرْ في النَّاسِ، مَعْ أنَّ فَسَادَهُ ظَهَرْ

٢٤- لِكَوْنِهِ مُبْتَدَأً بِلا خَبَرْ فَاعْرِفْهُ وَاحْذَرَنَّهُ كُلَّ الحَذَرْ[٢٢]

---

(١٣) أي: فاعل الصلاة، لبطلان ما يدخل به إليها.

(١٤) أي: التعب. مختار الصحاح ص ٦٨٨.

(١٥) لعظم ما حل به من المصيبة.

(١٦) أي: للفظ تكبيرة الإحرام.

(١٧) أي: معنى تكبيرة الإحرام.

(١٨) وهو أن يقول مكبراً: ءآلله أكبر، انظر: المجموع للنووي ٣: ١٧٧، حاشية الطحطاوي على مراقي الفلاح ص١٥٠، الفواكه الدواني ١: ٤٥٦، حاشية الدسوقي ١: ٣٧٤، كشاف القناع ٢: ١٧. وقال الطحطاوي في حاشيته على المراقي ص١٥٠: "فيه لا يكون شارعًا في الصلاة وتبطل الصلاة بحصوله في أثنائها لو صحت أولاً، قاله المؤلف في شرح رسالته الكنوز".

(١٩) انظر: المجموع للنووي ٣: ١٧٧، المحيط البرهاني ٢: ٣٣، وحاشية الطحطاوي على المراقي ص١٥٠، الفواكه الدواني ١: ٤٥٦، حاشية الدسوقي ١:٣٧٤، كشاف القناع ٢: ١٧. ويرى الحنابلة أيضاً أن مد همزة أكبر مبطل للتحريمة ولا تنعقد معه الصلاة، لأنه أصبح استفهاماً.

(٢٠) قال ابن منظور في لسان العرب ٥: ١٢٥: الكَبَرُ: نبات له شوك، والكَبَرُ: طبل له وجه واحد، وقيل: هو الطبل ذو الرأسين، وجمعه: كِبارٌ، مثل: جَمَلٍ وجِمالٍ. وقال الفيومي في المصباح المنير ٢: ٥٢٤: قد يجمع على أَكْبارٍ، مثل: سبب وأسباب، ولهذا قال الفقهاء: لا يجوز أن يمدّ التكبير في التحرم على الباء لئلا يخرج عن موضوع التكبير إلى لفظ (الأكْبارِ) التي هي جمع الطبل.

(٢١) لأن قصد السخرية باسم من أسماء الله تعالى، أو بصفة من صفاته، أو بأمر من أوامره، أو بوعده ووعيده، كل ذلك كفر لا خلاف فيه، سواء صدر ذلك عن اعتقاد أو عناد أو استهزاء، لا عن خطأ وجهل وإكراه. انظر: تفسير الرازي ٢: ٢٨٠، الإعلام بقواطع الإسلام ص١١١. أما ما كان من خطأ الألفاظ فإنه لا يوجبُ الكفر، لأن قائلَهُ لم يقصده، فهو مؤمنٌ على حالِهِ، إلا أنه يؤمرُ بالاستغفار. انظر: حاشية الطحطاوي على الدر المختار ٢: ٤٨٦.

(٢٢) وهو أن يزيد المكبر بين جزئي التكبير المكون من جملة إسمية واواً ساكنة أو متحركة مع إسكانه لهاء لفظ الجلالة، فيقول: اللهْ وأكبر.

٢٥- وَهُوَ المَزِيدُ فِيهِ وَاوٌ فُتِحَتْ ... مِنْ بعدِ هاءِ اللهِ، والهَا أُسْكِنَتْ

٢٦- فَلَمْ يَكَدْ يُسْمَعُ مِمَّنْ كَبَّرا ... إِلَّا يَقُولُ مُعْلِنَاً وأَكْبَرا[٢٣]

٢٧- /على رُؤُوسِ الخَلْقِ في الأَذَانِ ... وغَيْرِهِ في السِّرِ والإِعْلانِ [ب/ ١]

٢٨- ورُبَّمَا يُوهِمُ بَعْدَ أَكْبَرْ ... تقديرَ لَفْظٍ مِنْهُ، وَهُوَ مُنْكَرْ[٢٤]

٢٩- ولا يَظُنُّ مُسْلِمٌ بِأَنَّ ثَمْ ... أَكْبَرَ مِنْ إِلهِنَا بَارِي النَّسَمْ

٣٠- ومَنْ يَكنْ مُعْتَقِداً هَذَا فَقَدْ ... حَادَ عَنِ الصَّوَابِ، والحقَّ جَحَدْ[٢٥]

٣١- بَلْ إِنَّ ذَا التركيب ممَّا أُهْمِلا[٢٦] ... إذ كان من مَعْنَى التَّمَامِ قد خَلا[٢٧]

٣٢- [ولَيْسَ يَسْتَقِيمُ إنْ نَوَى أَجَلْ ... مِنْ قَبْلِ وَاوٍ زَادَ، بَلْ يَبْقَى الخَلَلْ[٢٨]

٣٣- أي: لَيْسَ يُبْنَى مَا جَرَى اللَّفْظُ بِهِ ... عَلَى مُقَدَّرٍ لَهُ بِقَلْبِهِ

٣٤- ولَو يَسُوغُ ذَا لَقَالَ المُثْبِتُ ... نَوَيْتُ نَفْيَاً قَبْلَ أَنْ أَتثَبَّتُ

٣٥- وإِنَّمَا ذَا اللَّفظُ قولٌ أُهْمِلا ... وكَانَ مِن مَعْنَى التَّمَامِ قَد خَلَا][٢٩]

---

(٢٣) انظر: المجموع للنووي ٣: ١٧٧؛ روضة الطالبين ١: ٣٥٤. قال الطحطاوي في حاشيته على المراقي ص١٥٠: قوله (أن يأتي بجملة تامة من مبتدأ وخبر) هو ظاهر الرواية عن الإمام؛ قال البجرمي على الخطيب ٢: ١١: "وظاهر إطلاقهم أن الجاهل إذا أتى بالواو بين الكلمتين لا يضر وإن لم يكن معذوراً بخلاف العالم بذلك"، وقال النفراوي المالكي في الفواكه الدواني ١: ٤٥٦: "وأما زيادة واوٍ قبل همزة أكبر، أو قلب الهمزة واوًا، أو إشباع الهاء من الله، أو وقفة يسيرة بين الله وأكبر، أو تحريك الراء، فلا يبطل به الإحرام"؛ وفي حاشية الدسوقي ١:٣٧٤: وقد تعقب ذلك بعضهم بقوله: الظاهر أنه مضر إذ لا يعطف الخبر على المبتدأ، على أن اللفظ متعبد به. أما لو أشبع هاء الجلالة وزاد واواً فهو مفسد للتكبيرة بلا خلاف عندهم، كما ذكر النفراوي في الفواكه ١: ٤٥٦.

(٢٤) قال ابن منظور في اللسان ٥: ١٢٥: وأما قول المصلي الله أكبر وكذلك قول المؤذن، ففيه قولان: أحدهما أن معناه: الله كبير، فوضع أفعل موضع فَعِيل، كقوله تعالى: ﴿وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾ أي: هو هَيِّنٌ عليه... والقول الآخر: أن فيه ضميراً، المعنى: الله أَكْبَرُ كَبير، وكذلك الله الأَعَزُّ، أي: أَعَزُّ عزيز... وقيل معناه: الله أكبر من كل شيء؛ أي: أعظم، فحذف لوضوح معناه، وأكبر خبر، والأخبار لا ينكر حذفها، وقيل معناه: الله أكبر من أن يُعْرف كُنْه كبريائه وعظمته، وإنما قُدِّر له ذلك، وأُوِّلَ لأن (أفعل) فعل يلزمه الألف واللام، أو الإضافة كالأكبر وأكبر القَوْم..

(٢٥) قال النووي في المجموع ٣: ١٨٠: ذكر الأزهري وغيره من أهل العربية في قوله: (الله أكبر) قولين لأهل العربية؛ أحدهما: معناه الله كبير...، والثاني معناه: الله أكبر كبيرًا، كقولك: هو أعز عزيز ...، وقيل قول ثالث معناه: الله أكبر من أن يشرك به أو يذكر بغير المدح والتمجيد والثناء الحسن، قال صاحب التحرير في شرح صحيح مسلم: هذا أحسن الأقوال لما فيه من زيادة المعنى لاسيما على أصلنا، فإنا لا نجوز الله كبير أو الكبير بدل الله أكبر، وأما قولهم: الله أكبر كبيرًا، فنصب كبيرًا على تقدير: كبَّرت كبيرًا. وقال أيضاً في روضة الطالبين ١: ٣٥٣: ولو قال: الله الأكبر، أجزأه على المشهور. كما لو قال: الله أكبر من كلِّ شيء، أو: الله أكبر وأجل وأعظم. وقال الهيتمي في تحفة المحتاج ١: ٣٦٦: ولا تضر زيادة لا تمنع الاسم، أي: اسم التكبير، بأن كانت بعده مطلقاً أو بين جزأيه، كالله أكبر من كل شيء.

(٢٦) وفي نسخة (ب): بل إن ذا اللفظ يعد مهملا.

(٢٧) وفي نسخة (أ): معناه إذا ليس مفيد حصلا.

(٢٨) أي قوله: الله أكبر أجل، كما لا تنعقد الصلاة بقوله الله أجل عند الجمهور، خلافاً لأبي حنيفة ومحمد.

(٢٩) الأبيات بين قوسين (٣٢ ـ٣٣ ـ٣٤ ـ٣٥) سقطت من نسخة (ب).

٣٦. والرابعُ: الزَّائِدُ وَاوًا حَصَلَتْ ... سَاكِنَةً مِن ضَمَّةِ الهَا أُشْبِعَتْ(٣٠)

٣٧. لأنَّهُ غَيَّرَ بالزِّيَادَةْ ... إسمَ الإلَهِ فاقْتَضَى فَسَادَهْ(٣١)

٣٨. [وقِيلَ: ذَاكَ جَمْعُ لَاهٍ حُذِفَتْ ... نُونٌ لَهُ ولامُهُ قَدْ غُلِّطَتْ(٣٢)](٣٣)

٣٩. فَهَذِهِ الأَرْبَعَةُ المسَطَّرَهْ(٣٤) ... تُغَيِّرُ المعْنَى كَمَا قَدْ قَرَّرَهْ

٤٠. النَّوَوِيُّ(٣٥)، فَالصَّلاةُ لا تَصِحّ ... بِهَا(٣٦)، ولا الأذَانُ(٣٧)، وَهُوَ مُتَّضِحْ

٤١. ولا إقَامَةٌ ولا ثَوَابُ ... فيها، ولكِنْ يُخْتَشَى العِقَابُ(٣٨)

٤٢. على الَّذِي يَقُولُهَا ما لَمْ يُرِدْ ... بَيَانَ بُطْلَانٍ لها إذْ يَنْتَقِدْ(٣٩)

٤٣. فإنْ يَقَعْ ذَاكَ في الإحْرَامِ(٤٠) فَلا ... تَنعَقِدُ الصَّلاةُ حَقًّا مُسْجَلا

٤٤. وإن يَكُنْ في غَيْرِهِ(٤١) قَدْ حَصَلا ... وَلَوْ بِلَفْظِ الصَّلاةَ أَبْطَلا(٤٢)

---

(٣٠) وهو أن يشبع المكبر ضمة الهاء من لفظ الجلالة فيتولد من ذلك حرف واو.

(٣١) أي: فساد المعنى. قال في المجموع ٣: ١٨٠: "لو أخل بحرف واحد من التكبير لم تنعقد صلاته وهذا لا خلاف فيه، لأنه ليس بتكبير". ويرى الحنفية والمالكية عدم بطلان التحريمة بذلك وإن كان خطأ لغة. انظر: حاشية الطحطاوي على مراقي الفلاح ص١٤٩، الفواكه الدواني ١: ٤٥٦، أما الحنابلة فقيدوا بطلان لفظ التحريمة بالمد بفساد المعنى فقال ابن قدامة الحنبلي في المغني ١: ٥٤٢: "ويبين التكبير ولا يمد في غير موضع المد فإن فعل بحيث تغير المعنى .. لم يجز".

(٣٢) اللَّهْو: ما لَهَوْتَ به ولَعِبْتَ به وشغَلَك من هوى وطَرَبٍ ونحوهما، وجمع لاه: لاهون. انظر: لسان العرب، مادة: لها.

(٣٣) هذا البيت سقط من (ب).

(٣٤) وخلاصة الأحوال المنكرة التي ذكرها في تكبيرة الإحرام: ١ـ مد لفظ الجلالة بهمزة استفهام في أوله ٢ـ مد باء أكبر بالألف ٣ ـ إضافة حرف واو بعد لفظ الجلالة ٤ـ إشباع هاء لفظ الجلالة بالواو.

(٣٥) يحيى بن شرف، النووي، الشافعي، أبو زكريا، محيي الدين (٦٣١ - ٦٧٦هـ): شيخ الإسلام، علامة بالفقه والحديث، من كبار فقهاء الشافعية، من كتبه: منهاج الطالبين، والمجموع شرح المهذب للشيرازي، وروضة الطالبين. طبقات الشافعية للسبكي ٨: ٣٩٥، الأعلام للزركلي ٨: ١٤٩.

(٣٦) لعدم انعقاد الصلاة والدخول فيها.

(٣٧) وذلك لإتيانه بمعان فاسدة، أما مجرد التمطيط بالأذان فمكروه. انظر: مغني المحتاج للشربيني ١: ٣٢٥.

(٣٨) وقد سبق ذكر كلام النووي من كتابيه المجموع وروضة الطالبين.

(٣٩) انظر: فتح الباري ١١: ١٠٨.

(٤٠) أي: في تكبيرة الإحرام، أو التحريمة.

(٤١) أي: إن يكن التغيير في غير تكبيرة الإحرام، كتكبيرات الانتقال.

(٤٢) وذلك لإتيانه بلفظ يغير المعنى.

٤٥. لِأَنَّهُ أَتَى بِلَفْظٍ أُهْمِلا ... كَمَا عَرَفْتَهُ فَكَانَ مُبْطِلا

٤٦. مَا لَمْ يَكُنْ قَدْ سَبَقَ اللِّسَانُ ... أَوْ كَانَ قد طَرَا لَهُ النِّسْيَانُ(٤٣)

٤٧. أَوْ كَانَ جَاهِلًا قَرِيبَ العَهْدِ ... بِالدِّينِ(٤٤)؛ لا بَعِيدُهُ مَعْ عَمْدِ(٤٥)

٤٨. والخامسُ: الذي يَقُولُ: اللهُ ... وَكْبَرْ، جَلَّ في سَنَا عُلاهُ

٤٩. نَصَّ على فَسَادِ هَذَا اللَّفْظِ ... بَعْضُ مِنَ الأَعْيَانِ أَهْلِ الحِفْظِ(٤٦)

٥٠. وحُكْمُهُ مَا مَرَّ في مَا قَبْلَهُ ... كَمَا ذَكَرْنَا فَاحْذَرَنَّ فِعْلَهُ(٤٧)

٥١. وذَا تَرَى الجُهَّالَ في الإقَامَهْ ... تَقُولُهُ لا تَخْتَشِي مَلامَهْ

٥٢. وبعضُ مَنْ لمالكٍ(٤٨) قَدْ قَلَّدَا ... صَحَّح هذا اللَّفْظَ(٤٩)، إذ(٥٠) قَدْ وَرَدَا

٥٣. إبْدَالُ همزةٍ من(٥١) الوَاوِ كَمَا ... في عَكْسِهِ، نحوُ: وشاح بهما(٥٢)

٥٤. وَأُقِّتَتْ وَوُقِّتَتْ سِيَّانِ ... بالهَمْزِ والواو قِرَاءَتَانِ(٥٣)

٥٥. وَرَدَّهُ البَعْضُ بأَنَّ وَكْبَرْ ... دُوَيْبَةٌ(٥٤)، ومَنْ عَنَاهَا يَكْفُرْ(٥٥)

---

(٤٣) ففي الحديث عن ابن عباس رضي الله عنهما أنَّ النبيَّ ﷺ قال: "إنَّ اللهَ وَضَعَ عن أمتي الخطأَ والنِّسيان وما استُكرِهوا عليه" أخرجه ابن ماجه في طلاق المكره والنسيان ١: ٦٥٩ برقم ٢٠٤٥ قال في الزوائد: إسناده صحيح إن سلم من الانقطاع، وأخرجه ابن حبان في صحيحه ١٦: ٢٠٢ برقم ٧٢١٩، قال ابن حجر ٥: ١٦١: "رجاله ثقات إلا أنَّه أُعِلَّ بعلَّة غير قادحة، فإنَّه من رواية الوليد عن الأوزاعي عن عطاء عن ابن عباس".

(٤٤) لغلبة الظن بجهله بمثل هذه التفاصيل من الأحكام العملية، قال السيوطي في الأشباه والنظائر ص٣٥٧ ـ ٣٥٨: "كل من جهل تحريم شيء مما يشترك فيه غالب الناس لم يقبل، إلا أن يكون قريب عهد بالإسلام، أو نشأ ببادية بعيدة يخفى فيها مثل ذلك".

(٤٥) ويخرج بهذا القيد: الخطأ والنسيان، والعجز.

(٤٦) هذه الصورة من صور التغيير في تكبيرة الإحرام هي موضع خلاف بين الفقهاء، قال النووي في المجموع ٣: ١٨٠: "نص الشافعي والأصحاب أنه لو أخل بحرف واحد من التكبير لم تنعقد صلاته، وهذا لا خلاف فيه؛ لأنه ليس بتكبير"، إلا أنه قال البيجرمي في حاشيته على الخطيب ٢: ١١: "وَيُغْتَفَرُ فِي حَقِّ الْعَامِّيِّ إبْدَالُ هَمْزَةِ أَكْبَرُ وَاوًا، وَفِي حَقِّ الْعَامِّيِّ إبْدَالُ كَافِ أَكْبَرُ هَمْزَةً لِعَجْزِهِ كَمَا فِي الْمَدَابِغِيِّ عَلَى التَّحْرِيرِ".

(٤٧) أي: عدم انعقاد الصلاة وبطلانها.

(٤٨) أي: إمام دار الهجرة مالك بن أنس الأصبحي الحميري رحمه الله (ت١٧٩هـ).

(٤٩) قال القرافي في الذخيرة ٢: ١٦٨: "وأما قول العامة: الله وكبر، فله مدخل في الجواز؛ لأن الهمزة إذا وليت الضمة جاز أن تقلب واواً".

(٥٠) في نسخة (ب): إن.

(٥١) في نسخة (ب):مع، وما أثبته أصح.

(٥٢) أي: بالألف والواو، فيقال: أشاح، وشايح، وشاح، وتفيد معنى الجد والحذر والإعراض، وأشاح بوجهه عن الشيء: نحاه، أو جد في الإعراض عنه. انظر: لسان العرب، مادة: شيح.

(٥٣) وهما متواترتان من العشرة، من قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا الرُّسُلُ أُقِّتَتْ ﴿١١﴾ ﴾ [المرسلات: ١١]، قرأ أبو عمرو البصري: ﴿ وَإِذَا الرُّسُلُ أُقِّتَتْ ﴾، وقرأ أبو جعفر المدني: ﴿ وَإِذَا الرُّسُلُ أُقِّتَتْ ﴾.

(٥٤) لم أقف على هذا المعنى.

(٥٥) وهذا على فرض صحة هذا المعنى وقصده.

٥٦ـ	وعَلَّ ذَا يشْرطُ في مَا ذُكِرَا	ألاَّ يُرَى المعْنَى بِهِ مُغَيَّرَا(٥٦)
٥٧ـ	/كَمَا أَتَى فِي ذَاكَ أَنَّ حَمْزَة(٥٧)	إِنْ غُيِّرَ المعْنَى يُبِيْنُ الهَمْزَة(٥٨)
٥٨ـ	فَلَمْ يَقُلْ فِي لأُجِلَّ(٥٩) لِيَحِلّ	بالْيَا إِذِ المَعْنَى بِذَاكَ يَنْتَقِلْ(٦٠)
٥٩ـ	وامْتَنَعَ الإبدالُ(٦١) لِلسُّوسِيِّ(٦٢) فِيْ	مُؤْصَدَةٍ(٦٣) رِءْيَا(٦٤) لِذَاكَ فَاقْتَفِي
٦٠ـ	وَذَاكَ فِي القُرْآنِ، وَالتَّكْبِيرُ:	لَفْظٌ بِهِ يُعَظَّمُ القَدِيرُ
٦١ـ	فاحْذَرْ ـ هَدَاكَ اللهُ جَلَّ ـ واجْتَنِبْ	جَمِيْعَ ذِي الخَمْسَةِ الأَلْفَاظِ تُصِبْ(٦٥)
٦٢ـ	وكُلَّمَا تَسْمَعُ شَيْئاً مِنْهَا	مِنْ أَحَدٍ فَوَاجِبٌ أَنْ تَنْهَى(٦٦)

---

(٥٦) فالضابط الجامع لكل ما سبق: هو الإتيان بلفظ بغير المعنى المقصود.

(٥٧) حمزة بن حبيب بن عمارة بن إسماعيل الكوفي الزيّات (٨٠ ـ ١٥٦هـ). انظر: معرفة القراء الكبار ١: ١١١، سير أعلام النبلاء ٧: ٩٠، غاية النهاية ١: ٢٦١، الأعلام للزركلي ٢: ٢٧٧.

(٥٨) فلحمزة في الوقف على الكلمات التي تحوي همزة في أولها خُلف وتفصيل. أمّا التي تحوي همزةً في وسطها أو في آخرها فله التسهيل، قال الشاطبي في حرز الأماني:

وعن حمزةٍ في الوقف خُلفٌ وعنده روى خَلفٌ في الوصل سكتاً مُقلَّلا

وحمزةُ عندَ الوقفِ سهَّلَ همزَهُ — إذا كان وَسْطاً أو تَطَرَّفَ منزلا

فأَبدله عنه حرفَ مدٍّ مُسكَّناً — ومن قبله تحريكه قد تنزلا

انظر: فتح الوصيد في شرح القصيد للسخاوي ٢: ٣٣٢ ـ ٣٤٥.

(٥٩) أي: عند الوقف على كلمة: ﴿وَلِأُحِلَّ﴾ من قوله تعالى: ﴿وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ ۚ﴾ [آل عمران: ٥٠].

(٦٠) لانتقال الفعل من المتكلم إلى الغائب.

(٦١) الإبدال: هو تغيير الهمزة لحرف من جنس حركة ما قبلها.

(٦٢) صالح بن زياد بن عبد الله، أبو شعيب السوسيّ الرَّقّيّ (... ـ ٢٦١هـ). انظر: معرفة القراء الكبار ١: ١٩٣، سير أعلام النبلاء ١٢: ٣٨٠، تاريخ الإسلام ٢٠: ١٠٨، غاية النهاية ١: ٣٣٢ ـ ٣٣٣، الأعلام للزركلي ٣: ١٩١.

(٦٣) وذلك في قوله تعالى: ﴿عَلَيْهِمْ نَارٌ مُّؤْصَدَةٌ﴾ [البلد: ٢٠]، ﴿إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ﴾ [الهمزة: ٨]. فقد قرأهما بإثبات الهمز، وكذا حفص وحمزة ويعقوب وخلف العاشر، وقرأهما الباقون: عَلَيْهِمْ نَارٌ مُّوصَدَةٌ.

(٦٤) في قوله تعالى: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هُمْ أَحْسَنُ أَثَاثًا وَرِءْيًا﴾ [مريم: ٧٤] فقد قرأها بالهمز، وقرأ قالون وابن ذكوان وأبو جعفر: ﴿وَرِيًّا﴾ وكذا حمزة وقفاً. قال الشاطبي في حرز الأماني مبيناً مذهب السوسي في الهمز المفرد:

وتُؤوي وتُؤويه أخفُّ بهمزِهِ — ورئياً بتركِ الهمزِ يُشْبِهُ الامْتِلا

ومُؤْصَدةٌ أوصدتُ يشبه كلُّه — تخيُّره أهلُ الأداءِ معلَّلا

(٦٥) وهي: ١ـ مد همزة الجلالة للاستفهام ٢ـ مد باء أكبر بالألف ٣ـ إضافة حرف عطف بين جزئي جملة التكبير ٤ـ إشباع الهاء من لفظ الجلالة ٥ـ تغيير همزة أكبر إلى واو، فتصبح: وكْبَرْ.

(٦٦) وذلك قياماً بواجب النصح، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ففي الحديث عن رسول الله ﷺ أنه قال: "مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ، وَذَلِكَ أَضْعَفُ الْإِيمَانِ". أخرجه مسلم في الإيمان برقم ٤٩.

٦٣. إِذْ كُلُّ مَن يَسْكُتُ عَن حَقٍّ بِلا   عُذْرٍ فَشَيْطَانٌ كَمَا قَدْ نُقِلا[67]

٦٤. فَاخْشَ[68] مِنَ السُّكُوتِ عَن هَذَا الضَّرَرْ   في الدِّينِ، والآتي بِهَا[69] على خَطَرْ

٦٥. إِذْ مَنْ يَكُنْ مُسْتَفْهِمًا ضَلُولُ[70]   ومَنْ يَقُلْ: مَعْبُودُنَا طُبُولُ[71]

٦٦. أَوْ حَيَوَانٌ[72]، لو يَظُنُّ في الوَرَى   أَكْبَرَ مِنْ رَبِّ العِبَادِ كَفَرَا[73]

[توجيهات للإتيان بتكبيرة الإحرام]

٦٧. فَلا تُغَيِّرِ اسْمَ مَوْلاكَ وَقُلْ:   اللهُ أَكْبَرُ[74]، فَادْرِ عَنْ ذَا لا تَخُلْ

٦٨. فَضُمَّ هَاءَ اللهِ ضَمًّا يَظْهَرْ   لا مُشْبِعًا[75]، وبَعْدَهُ قُلْ: أَكْبَرْ[76]

(٦٧) لعله يشير إلى قول: (من سكت عن الحق فهو شيطان أخرس)، وهو ليس بحديث، ولم يثبت بسند لا صحيح ولا ضعيف، بل هو من قول بعض العلماء، وقد نسبه أبو القاسم القشيري في رسالته إلى أبي علي الدقاق. انظر: الرسالة القشيرية ١: ٣٣٤.

(٦٨) وفي نسخة (ب): فاحذر.

(٦٩) أي: بهذه الصور المنكرة من تكبيرة الإحرام.

(٧٠) وذلك في حالة إضافة همزة استفهام للفظ الجلالة في أول تكبيرة الإحرام.

(٧١) وذلك عندما يمد المكبر حرف الباء من كلمة أكبر، بالألف، فتصبح: أكبار.

(٧٢) أي: عند قول المكبِّر: وكْبر، على فرض صحة المعنى الذي ذكره، أن (وكبر): اسم لدابة.

(٧٣) فلِلّه تعالى الكمال المطلق في الذّات والصّفات والأفعال، فمن اعتقد مشابهاً له، أو نقصاً في ذاته أو صفاته كفر بلا خلاف. انظر: الشفا للقاضي عياض ٢: ١٠٦٧، وتفسير الرازي ٢: ٢٨٠، منح الروض الأزهر ص٥٢٨.

(٧٤) قال النووي في المجموع ٣: ١٧٧: "ويتعين لفظ التكبيرة، ولا يجزئ ما قرب منها، كقوله: الرحمن أكبر، والله أعظم، والله كبير، والرب أكبر وغيرها"، وقال: "فإذا قال: الله الأكبر، انعقدت على المذهب الصحيح"، وقال: "فليقطع الهمزة من قوله: الله أكبر، ويخففها، فلو وصلها فهو خلاف الأولى". وقصر المالكية والحنابلة في الراجح عندهم صحة التحريمة على لفظ: الله أكبر، وأجاز أبو يوسف من الحنفية كل لفظ فيه التكبير، أما أبو حنيفة ومحمد فذهبوا إلى أن الصلاة تنعقد بكل لفظ يقصد به التعظيم، كالتهليل والتسبيح. انظر: المحيط البرهاني ٢: ٣٢، الذخيرة للقرافي ٢: ١٦٧، منح الجليل ١: ٢٤١، حاشية العدوي ١: ٢٢٦، المغني لابن قدامة ١: ٥٤٠، كشاف القناع ٢: ١٦، الإنصاف للمرداوي ٢: ٤١.

(٧٥) فلفظ الجلالة في التكبير مبتدأ مرفوع، وخبره أكبر، وإشباع ضم الهاء يؤدي إلى تولد حرف الواو، وهو مغير للمعنى ومبطل لتكبيرة الإحرام عند الجمهور باستثناء المالكية، وقد سبق الكلام عن ذلك. انظر: الفواكه الدواني للنفراوي ١: ٤٥٦.

(٧٦) قال في مغني المحتاج ١: ٣٤٥: "ولو لم يجزم الراء من أكبر لم يضر، خلافاً لما اقتضاه كلام ابن يونس في شرح التنبيه". وأما الاستدلال بحديث: "التكبير جزم" فلا يصح ولا أصل له إنما هو من كلام النخعي، كما نبه على ذلك ابن حجر في التلخيص الحبير ١: ٥٥٠.

٦٩- [وَلَا تَـزِدْ أَوَّلَـهُ وَاوًا(٧٧)، وَلَا تَفْصِلْ بِسَكْتٍ بَيْنَ جُزْئَيْهِ اعْلَمَا(٧٨)](٧٩)

٧٠- وَلَا يَضُرُّ فِيْهِ(٨٠) مَدُّ اللَّامِ لَكِنَّ الأَوْلَى القَصْرُ فِي الإِحْرَامِ(٨١)

٧١- وَفِي سِوَاهُ(٨٢) فَيُمَدُّ فِيهِ مِنْ كُلِّ رُكْنٍ لِلَّذِي يَلِيْهِ(٨٣)

٧٢- وَلْيَجْتَنِبْ تَشْدِيْدَهُ لِلْبَاءِ(٨٤) وَهَكَذَا تَشْدِيْدَهُ لِلرَّاءِ(٨٥)

٧٣- إِذْ قَالَ بَعْضٌ: إِنَّ ذَا فِيْهِ مُضِرْ فَاحْذَرْ، وإِنْ لَمْ يَكُ ذَا القَوْلُ شُهِرْ(٨٦)

---

(٧٧) وهو أن يقول المكبر: واالله أكبر، ذكر الشربيني منع ذلك في مغني المحتاج١: ٣٤٤ وعزاه للقفال في فتاويه. ومذهب المالكية والحنابلة المنع مطلقاً، لأنهم لا يجيزون في التحريمة إلا اللفظ المأثور. انظر: الذخيرة ٢: ١٦٧، المغني لابن قدامة ١: ٥٤٠.

(٧٨) قال في المجموع ٣: ١٧٧: "ولا يقف بين جزئي التكبير ولا يزيد زيادة تغير المعنى، فإن وقف أو زاد همزة أو همزتين ... لم يصح تكبيره"، وانظر: روضة الطالبين ١:٣٣٧، وذهب المالكية إلى عدم بطلان تكبيرة الإحرام بالفصل اليسير بين جزئي التكبير، قال النفراوي في الفواكه الدواني ١: ٤٥٦: "وأما زيادة واوٍ قبل همزة أكبر، أو قلب الهمزة واوًا، أو إشباع الهاء من الله، أو وقفة يسيرة بين الله وأكبر، أو تحريك الراء، فلا يبطل به الإحرام".

(٧٩) هذا البيت سقط من نسخة (ب)، والكلمة الأخيرة من البيت غير واضحة، وقد قدرتها تقديراً.

(٨٠) أي: في لفظ تكبيرة الإحرام.

(٨١) أي: مد اللام من لفظ الجلالة. نقل النووي في مجموعه ٣: ١٧٧ عن الجويني قوله: "ولا يجوز المد إلا على الألف التي بين اللام والهاء، ولا يخرجها بالمد عن حدِّ الاقتصاد للإفراط"، وقال أيضاً ٣: ١٨١: "المذهب الصحيح المشهور أنه يستحب أن يأتي بتكبيرة الإحرام بسرعة ولا يمدها لئلا تزول النية". وقال في كشاف القناع ٢: ١٦: "ولا تضر زيادة المد على الألف بين اللام والهاء، لأنها إشباع، وحذفها أولى، لأنه يكره تمطيط التكبير". وانظر: روضة الطالبين ١: ٣٣٧، والاختيار للموصلي ١: ١٦١.

(٨٢) أي: فيما سوى الإحرام في الصلاة.

(٨٣) قال النووي في المجموع ٣: ١٨١: "وأما تكبيرات الانتقالات كالركوع والسجود ففيها قولان، القديم: يستحب أن لا يمدها، والجديد الصحيح: يستحب مدها إلى أن يصل إلى الركن المنتقل إليه، حتى لا يخلو جزء من صلاته من ذكر". وهو مذهب جمهور الحنفية والمالكية والحنابلة، ويستثني المالكية المد في قيام المصلي من القعدة على رأس اثنتين فلا يكبر إلا إذا استوى قائماً، لأنه كمفتتح للصلاة. انظر: حاشية الطحطاوي ص١٥٤، حاشية الدسوقي ١: ٣٩٩، مطالب أولي النهى ١: ٤٤٢.

(٨٤) انظر: تحفة المحتاج ١: ٣٦٥، قال الشربيني في مغني المحتاج ١: ٣٤٤: "ولو شدد الباء من أكبر، ففي فتاوى ابن رزين أنها لا تنعقد، ووجهه واضح، لأنه لا يمكن تشديدها إلا بتحريك الكاف، لأن الباء المدغمة ساكنة، والكاف ساكنة، ولا يمكن النطق بهم، وإذا حركت تغير المعنى". وانظر حاشية البيجرمي على الشربيني ٢: ١١. ويرى المالكية عدم إضرار ذلك بتكبيرة الإحرام انظر: حاشية الدسوقي ١: ٣٧٤.

(٨٥) انظر: مغني المحتاج ١: ٣٤٥، والفواكه الدواني ١: ٤٥٦، وحاشية الدسوقي ١: ٣٧٤. ونقل الرملي عن ابن العماد وغيره: أن تكرير الراء لا يضر، لأن الراء حرف تكرير، وزيادته لا تغير المعنى. انظر: نهاية المحتاج ١: ٤٤٠.

(٨٦) في نسخة (ب): اشْتُهِر.

٧٤- [وَقَطْعُ هَمْزَةِ الجَلالَةِ اسْتُحِبْ(٨٧) فيه كَجَزْمِ رَائِـهِ، ولا يَـجِـبْ(٨٨)](٨٩)

[شبهة يهودية والردُّ عليها]

٧٥- وقَدْ حَكَى لي بَعْضُ مَنْ قَدْ أَسْلَمَا مِنَ اليَهُودِ الخَائِضِيْنَ في عَمَى

٧٦- أَنَّـهُـمُ لَنَـا يَـقُـوْلُـونَ: وَرَدْ عَـنْـكُـمْ جُحُـودُ أَنَّ لـلـهِ وَلَـدْ

٧٧- كَـفَّـرْتُـمُ مَـنْ جَـعَـلَ الـعُـزَيْـرَا(٩٠) أَوِ المَسِيْحَ ابْـنَـاً لَـهُ تَـكْـفِـيْـرَا(٩١)

٧٨- وأَنْـتُـمُ جَـعَـلْـتُـمُ مُـحَـمَّـدَا نَـبِـيَّـكُـمْ أَعْـظَـمَ مَـنْ قَـدْ عُـبِـدَا

٧٩- لَـهُ يُـصَـلِّـي الـلـهُ والـمَـلائِـكَـهْ فـي آيَـةٍ قَـدْ قُـلْـتُـمُ مُـبَـارَكَـهْ(٩٢)

٨٠- صَـرَّحْـتُـمُ بِـذَا وَمَـنْ قَـدْ كَـبَّـرْ مِـنْـكُـمْ نَـوَاهُ قَـائِـلاً: وَأَكْـبَـرْ(٩٣)

٨١- أَيْ: أَنَّـهُ أَكْـبَـرُ إِذْ قَـدْ صَـلَّـى بِـزَعْـمِـكُـمْ لَـهُ الـعَـلِـيُّ الأَعْـلَـى

٨٢- فَحَمَلُوا جَـهْـلاً، رُمُـوا بَـهَـالِـكَـهْ(٩٤)، صَـلاةَ ذِي الـجَـلالِ والـمـلائِـكَـهْ

٨٣- عـلـى الَّـتِـي تُـقْـرَنُ بـالـصِّـيَـامِ(٩٥) وَجَـعَـلُـوا (عَـلـى) بـمـعـنـى الـلاَّمِ(٩٦)

(٨٧) ووصلها هو خلاف الأولى. انظر: المجموع ٣: ١٧٧، ومغني المحتاج ١: ٣٤٥، حاشية البجرمي على الشربيني ٢: ١١.

(٨٨) أي: جزم راء أكبر. قال في مغني المحتاج ١: ٣٤٥: "ولو لم يجزم الراء من أكبر لم يضر خلافاً لما اقتضاه كلام ابن يونس في شرح التنبيه". وكذا قال الحنفية. انظر: مجمع الأنهر في شرح ملتقى الأبحر ١: ١٣٨.

(٨٩) ليس في نسخة (ب).

(٩٠) ذكر الطبري في تفسيره ١٤: ٢٠٢، والبغوي كذلك ٤: ٣٧: "عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: إنما قالت اليهود عزير ابن الله من أجل أن عزيرًا كان فيهم وكانت التوراة عندهم والتابوت فيهم، فأضاعوا التوراة وعملوا بغير الحق، فرفع الله عنهم التابوت وأنساهم التوراة ونسخها من صدورهم، فدعا الله عزيرٌ وابتهل إليه أن يرد إليه الذي نسخ من صدورهم، فبينما هو يصلي مبتهلاً إلى الله تعالى، نزل نور من السماء فدخل جوفه فعادت إليه التوراة، فأذن في قومه، وقال: يا قوم قد آتاني الله التوراة ردَّها إليَّ! فطق به الناس يعلمهم، فمكثوا ما شاء الله تعالى، ثم إن التابوت نزل بعد ذهابه منهم، فلما رأوا التابوت عرضوا ما كان فيه على الذي كان يعلمهم عزير فوجدوه مثله، فقالوا: ما أوتي عزير هذا إلا أنه ابن الله".

(٩١) ذكر الله تعالى ذلك في قوله: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ۝٣٠﴾ [التوبة: ٣٠]

(٩٢) وذلك في قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ۝٥٦﴾ [الأحزاب: ٥٦].

(٩٣) فحملوا لفظ: وأكبر، في التحريمة على النبي ﷺ، وهذا أمر لا يخفى على عاقل فساده، ولا نعلم في ملة الإسلام أحداً أراده.

(٩٤) بهامش نسخة (أ): قوله بهالكه: أي تهلكه، كقول الشاعر: ومهمة هالك من تعرَّجا.. يريد: مهلك. قاله في الصحاح.

(٩٥) أي: فريضة الصلاة، وقد أشير للجمع بينهما في قوله تعالى: ﴿السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ ۝١١٢﴾ [التوبة: ١١٢] على فرض تفسير لفظ: ﴿السَّائِحُونَ﴾ بالصائمين، كما ذهب إلى ذلك جمع من الصحابة والتابعين: كابن عباس وابن مسعود والحسن البصري وابن جبير وقتادة وآخرون. انظر: تفسير البغوي ٤: ٩٩، وزاد المسير ٢: ٣٠٣. وأما الأحاديث في ذلك فكثيرة.

(٩٦) في قوله تعالى: ﴿يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ ۝٥٦﴾ [الأحزاب: ٥٦].

٨٤- /وَأَيَّـــدُوا(٩٧) بِـخَـطَـإِ الـمُـكَـبِّـرِ مَـا اخْـتَـلَـقُـوهُ، وهـو مِـنْ ذَاكَ بَـرِي

٨٥- وقَــدَّرُوا فِـيْـهِ عَـقِـيْـبَ أكبرُ لَـفْـظَـةَ: (مِـنْـهُ) لِـيَـتِـمَّ الـمـنْـكَـرُ(٩٨)

٨٦- فَـنَـفَـرُوا بِـذَا عـنِ الإسْــلامِ فَــاحْــذَرْ وُقِـيْـتَ خَـطَـأَ الـكَـلامِ

٨٧- كَـيْ لا تَـكُـونَ آثِـمَـاً مُـنَـفِّـرَا عَـن دِيـنِ الاسْــلامِ فَـتَـحْـوِي ضَـرَرَا

٨٨- وإنَّـمَـا مَـعْـنَـى صَـلاَةِ الـلـهِ: رَحْـمَـتُـهُ(٩٩)، أَخْـبِـرْ بِـذَاكَ الـلاَّهِـي

٨٩- وإنَّ مَـعْـنَـاهَـا(١٠٠) مِـنَ الـمَـلائِـكَـهْ إيـجَـادُ الاسْـتِـغْـفَـارِ فَـاتْـبَـعْ سَـالِـكَـهْ

٩٠- هَـذَا، وَلَا يَـلْـزَمُ بَـعْـدَ أَكْـبَـرُ تَـقْـدِيرُ (مِـنْـهُ) مِـثْـلَ مَـا قَـدْ ذَكَـرُوا(١٠١)

[الرَّدُّ على بِدَعِ بعض جُهَّال المتصوفة]

٩١- ثُـمَّ الـيَـهُـود لـو تَـرَى صَـنِـيْـعَـا جُـهَّـالِ مَـكَّـةَ اكْـثَـرُوا الـتَّـشْـنِـيْـعَـا

٩٢- أعـنـي الَّـذِيـنَ صَـوَّرُوا فـي الـوَرَقِ نَـعْـلَـيْ رَسُـولِ الـلـهِ خـيـرِ مُـتَّـقِـي

٩٣- وَكَـتَـبُـوا اسـمَ الـلـهِ جَـلَّ فِـيهِمَا وآيَــةَ الــقُــرآنِ مِـن تَـحْـتِـهِـمَـا

٩٤- وذَا قَـبِـيْـحٌ خَـارِجٌ عَـنِ الأَدَبْ بَـلْ فِـعْـلُـهُ مُـحَـرَّمٌ فَـلْـيُـجْـتَـنَـبْ(١٠٢)

٩٥- [وبَـعْـضُ مَـنْ يُـنْـسَـبُ لـلـتَّـصـوُّفِ وَعَـزَبَ(١٠٣) الـصَّـوَابُ عنه وَخَـفِـي](١٠٤)

٩٦- مِـن فَـرْطِـه فـي الـحُـمْـقِ والـجَـهَـالَـهْ يـزيـدُ فـي تـهـلِـيْـلِـه(١٠٥) جَـلَالَـهْ(١٠٦)

---

(٩٧) أي: رأيهم الفاسد.

(٩٨) فيصبح التقدير على قولهم: الله وأكبر (منه).

(٩٩) روى شيخ المفسرين الطبري ٢٠: ٣٢٠: عن ابن عباس رضي الله عنهما في تفسير الآية:﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ..﴾ قال: "يباركون على النبي ﷺ". ثم قال: وقد يحتمل أن يقال: إن معنى ذلك: أن الله يرحم النبي، وتدعو له ملائكته ويستغفرون؛ وفي تفسير البغوي ٦: ٣٧٢: الصَّلاةُ مِنَ اللَّهِ: الرَّحْمَةُ، وَمِنَ الْمَلَائِكَةِ: الِاسْتِغْفَارُ.

(١٠٠) أي: صلاتهم على النبي ﷺ. وقد ورد في الآيات الكريمة استغفار الملائكة عليهم السلام للمؤمنين عموماً، فقال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا ۝٧﴾ [غافر: ٧]، وقال تعالى: ﴿وَالْمَلَائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَن فِي الْأَرْضِ أَلَا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ۝٥﴾ [الشورى: ٥].

(١٠١) وقد سبق في البيت (٢٨) وما بعده من هذه المنظومة بيان حكم التقدير، فينظر.

(١٠٢) لما فيه من امتهان لاسم الله تعالى وكلامه.

(١٠٣) لعل الصواب أن تكون: قَدْ عَزَبَ الصواب عنه وخفي... وذلك مراعاة للوزن، أو تشبع فتحة العين بالألف، فيصبح: مفتعلن مفاعلن مفتعلن. ومعنى عَزَبَ: بَعُدَ وغاب، ويقال: عَزَبَ يَعْزُبُ، ويَعْزِبُ. انظر: مختار الصحاح ص٤٦٧، والمصباح المنير ٢: ٤٠٧.

(١٠٤) هذا البيت من نسخة (ب)، وقد سقط من نسخة (أ).

(١٠٥) أي: في قوله: لا إله إلا الله، وتسمى تهليلة.

(١٠٦) أي: لفظ اسم الجلالة: الله.

٩٧- مـن بـعـدِ قَـوْلِ لا إلـهَ جَهْلا   وهـو صـريـحُ الـكُـفـرِ لَـيْـسَ إلا[١٠٧]

٩٨- وبَـعْـضُـهُـمْ يَـحْـذِفُ إذْ يُـهَـلِّلُ   لَـفْـظَـةَ (إلاَّ) مـنـهُ[١٠٨] إذْ يَـسْـتَـعْـجِلُ

٩٩- حتى يُـقَـالَ: جَـدَّ ذا في الـذِّكـرِ   وإنَّـمَـا أتَـى بِـلـفْـظِ الـكُـفْـرِ

١٠٠- فَـمَـن يَـزِدْ أو يَـنْـتَـقِـصْ مَـا ذُكِـرَا   مِـن بـعـدِ مـا يُـنـهَـى عِـنَـاداً كَـفَـرَا[١٠٩]

[أخطاء لفظ السّلام في الصّلاة]

١٠١- وبَـعْـضُـهُـمْ يُـخْـطِـئُ فـي الـسَّـلامِ   بِـحَـذْفِ هَـمْـزِهِ وَحَـذْفِ الـلامِ[١١٠]

١٠٢- أيْ: مَن تَحَلُّلِ الـصَّـلاةِ[١١١]، وَهْوَ لا   يَـكْـفِـي، وَمَـا صَـلَّـى بِـذَاكَ بَـطَـلا[١١٢]

١٠٣- والـرَّافِـعِـيُّ[١١٣] صَـحَّـحَـهُ إنْ نَـوَّنَـهُ   وَالـنَّـوَوِيُّ رَدَّهُ وَوَهَّـنَـهُ[١١٤]

١٠٤- أمَّـا إذَا خَـلا مِـنَ الـتَّـنْـوِيـنِ   لَـمْ يَـكْـفِ جَـزْمَـاً[١١٥] فَـاتَّـبِـعْ تَـبْـيِـيـنِـي[١١٦]

---

(١٠٧) وهو لفظ كفري، إلا أن قائله لا يكفر إلا مع القصد. قال ابن تيمية في منهاج السنة ٥: ٢٤٠: "لا يلزم إذا كان القول كُفْراً أن يكفر كلُّ من قاله مع الجهل والتأويل، فإنَّ ثبوتَ الكُفر في حَقِّ الشخص المُعَيَّن، كثبوت الوعيد في الآخرة في حَقِّه، وذلك له شروطٌ وموانع".

(١٠٨) أي من قوله: لا إله إلا الله.

(١٠٩) وفي نسخة (ب): من بعد علمه بهذا كفرا. قلت: وذلك لزوال عذره بالعلم، وإصراره على ذلك.

(١١٠) أي يقول: سلام عليكم، وينبغي أن يكون التسليم بلفظ: (السلام عليكم ورحمة الله)، مرتباً معرفاً، وأقله: السلام عليكم، ولو زاد بركاته لا يضر.

(١١١) التحلل من الصلاة بالتسليمة الأولى فرض عند جمهور علماء المالكية والشافعية والحنابلة، وكذا التسليمة الثانية عند الحنابلة في رواية، في غير نافلة وجنازة، وذهب الحنفية إلى أن التسليمتين كلاهما واجبتان، استدلوا بقول النبي ﷺ: "تحريمها التكبير وتحليلها التسليم" أخرجه أبو داود برقم ٦١، والترمذي برقم ٣، وغيرهما بإسناد صحيح، واستدل الحنفية على عدم الفرضية بأن النبي ﷺ لم يعلمه للأعرابي، وحملوا النص على الوجوب. انظر: الاختيار ١: ١٨٧، مراقي الفلاح مع حاشية الطحطاوي ص١٦٨، الذخيرة ٢: ١٩٨، حاشية العدوي ١: ٢٤٥، المجموع ٣: ٣١٦، روضة الطالبين ١: ٣٧٢، الإنصاف ٢: ١١٧.

(١١٢) قال النووي في المجموع ٣: ٣١٦: "أقله أن يقول: السلام عليكم، فلو أخل بحرف من هذه الأحرف لم يصح سلامه.."، وهو المذهب عند المالكية والحنابلة، انظر: الذخيرة ٢: ١٩٩، حاشية العدوي ١: ٢٤٥، كشاف القناع ٢: ٦٣.

(١١٣) عبد الكريم بن محمد، أبو القاسم الرافعي القزويني (٥٥٧-٦٢٣ هـ): الفقيه الشافعي الكبير، كان له مجلس بقزوين للتفسير والحديث، من كتبه: المحرر في الفقه، وفتح العزيز في شرح الوجيز للغزالي في الفقه. الأعلام للزركلي ٤: ٥٥.

(١١٤) أي لو قال المصلي: سلامٌ عليكم. قال النووي ٣: ٣١٧: "وإن قال: سلام عليكم بالتنوين فوجهان مشهوران.. أحدهما يجزئه ويقوم التنوين مقام الألف واللام .. وهو الأصح عند جماعة من الخراسانيين منهم إمام الحرمين والبغوي والرافعي، والثاني: لا يجزئه، وهو الأصح المختار، ممن صححه الشيخ أبو حامد والبندنيجي والقاضي أبو الطيب، هذا هو الأصح ..". وانظر: روضة الطالبين ١: ٣٧٢.

(١١٥) وذلك بأن يقول: سلامُ عليكم، قال النووي في المجموع ٣: ٣١٦: "لو قال: السلام عليك، أو قال: سلامي عليك، أو سلام الله عليكم، سلامُ عليكم بغير تنوين، أو السلام عليهم، لم يجزه بلا خلاف..".

(١١٦) وقال في هامش (أ) و (ب): وفي نسخة: فذاك لا يكفي لدى الشيخين.

١٠٥- وَحَيْثُ لَمْ يَحْصُلْ بِهِ التَّحَلُّلُ   فَهْوَ يَقِيْنَاً لِلصَّلاةِ مُبْطِلُ[117]

١٠٦- ومُوجِبُ البُطْلانِ أنَّهُ دَعَا   مُخَاطِبَاً، ولَيْسَ مَا قَدْ شُرِعَا[118]

١٠٧- إلاَّ إذَا يَنْسَى الصَّلاةَ أَوْ سَبَقْ   لِسَانُهُ وبَعْدُ بِالحَقِّ نَطَقْ[119]

١٠٨- وهَكَذَا الَّذِي يَكونُ جَهِلا   إنْ كَانَ فِي الدِّينِ قَرِيبَاً دَخَلا

١٠٩- /فَلا تَقُلْ إلَّا السَّلامُ بِالألِفْ   وَالَّلامِ فَافْهَمْ وَاحْفَظَنَّ مَا وُصِفْ[120]

[أ / ٣]

[خلاصة أحكام التحريمة والسّلام في الصلاة]

١١٠- وحَاصِلُ الكَلامِ أنَّ مَنْ يَزِدْ   حَرْفَاً فِي الإحْرَامِ فَلَيْسَ تَنْعَقِدْ[121]

١١١- وَمَنْ يَزِدْهُ فِي سِوَى الإحْرَامِ   أَبْطَلَ مَا صَلَّى عَلى التَّمَامِ[122]

١١٢- وَمَنْ يَدَعْ مِمَّا بِهِ الخِتَامُ   حَرْفَيْنِ لَمْ تَصِحَّ[123]، والسَّلامُ

١١٣- فَاعْرِفْ هُدِيْتَ الحَرْفَ والحَرْفَيْنِ[124]   واحْذَرْ وَحَذِّرْ مِنْ كِلا الشَّيْئينِ[125]

[أخطاء بعض الذاكرين]

١١٤- ومَن يُهَلِّلْ فَيَزِدْ جَلالَهْ   بَعْدَ الإلَهِ فَهْوَ ذُو جَهَالَهْ[126]

١١٥- كَذَا الَّذِي يَحْذِفُ إلاَّ مِنْهُ   فَمُخْطِئٌ فَلْيَرْجِعَنَّ عَنْهُ[127]

[قضاء صلاة المخطيء في التحريمة والسلام]

١١٦- فَقُلْ لِمَن يُخْطِئُ فِيْ إحْرَامِهْ   بِذَاكَ أَوْ يُخْطِئُ فِي سَلامِهْ

١١٧- يَقْضِي صَلاةَ كُلِّ فَرْضٍ صَلَّى   مَعْ ذَاكَ فَوْرَاً[128]؛ لا تَعُدَّ الجَهْلا

١١٨- عُذْرَاً لَهُ فِي ذَاكَ كَي أَنْ يَقْضِيْ   عَلَى التَّرَاخِيْ ذَاكَ لَكِنْ فَاقْضِي

(١١٧) وهو مذهب جمهور الفقهاء كما ذكرت قبل قليل، باستثناء الحنفية.

(١١٨) أي: باللفظ الوارد عن رسول الله ﷺ.

(١١٩) قال النووي في المجموع ٣: ٣١٦: "فإن قاله سهواً لم تبطل صلاته، ولكن يسجد للسهو وتجب إعادة السلام، وإن قاله عمداً بطلت صلاته إلا في قوله: السلام عليهم، فإنها لا تبطل..".

(١٢٠) وفي نسخة (ب): أصِفْ.

(١٢١) وذلك: بزيادة همزة الاستفهام على أحد جزئي التكبيرة، أو زيادة الواو قبلهما أو بينهما، أو بإشباع هاء لفظ الجلالة بالواو، أو بمد الباء بالألف.

(١٢٢) أي: في تكبيرات الانتقال بين الأركان.

(١٢٣) أي: تسليمة التحلل من الصلاة، فيقول: سلامٌ عليكم.

(١٢٤) أي: زيادة حرف في تكبيرة الإحرام، أو نقصان حرفين من التسليمة.

(١٢٥) وفي نسخة (ب): من كلام الشين.

(١٢٦) وذلك بزيادة لفظ الجلالة بعد (إله) من قوله: لا إله إلا الله.

(١٢٧) وذلك بحذف (إلا)، من قوله: لا إله إلا الله، استعجالاً بالذكر، كما يفعله بعض جهلة المتصوفة.

(١٢٨) وذلك على القول ببطلان التحريمة أو التسليمة، وكلاهما ركن وفرض على مذهب الجمهور، فإن بطل أحدهما وجب القضاء، مالم يكن ذلك عجزاً عن الإتيان بهما، أو جهلاً لقرب عهد بالإسلام، وقد سبق بيانه.

١١٩- عَلَيْهِ لِلتَّقْصِيْرِ في التَّعَلُّمِ   بِالفَوْرِ في القَضَا على التَّحَتُّمِ

١٢٠- وَلَوْ يَكُونُ ذَاكَ في الآلافِ   مِنَ الفُرُوْضِ، فَاجْتَنِبْ خِلَافِي

[ما تجب معرفته على المؤذنين]

١٢١- وَمَنْ يَكُن يُبَاشِرُ الأَذَانَا   فَوَاجِبٌ أَنْ يَعْرِفَ الأَرْكَانَا(١٢٩)

١٢٢- لَهُ(١٣٠)، فَإِن حَرَّفَهُ وَقَالَ مَا   يُغيِّرُ المَعْنَى(١٣١)، عَصَى وأَثِمَا(١٣٢)

١٢٣- فَإِن يَكُن ذَاكَ لمَعْلُومٍ(١٣٣) جَرَى(١٣٤)   كَانَ حَرَامَاً أَخْذُ مَا قَدْ قُرِّرَا(١٣٥)

١٢٤- وَلَا يُعَدُّ مِن أُوْلِي الثَّوَابِ   إِلَّا إِذَا آبَ إِلَى الصَّوَابِ

[خاتمة المنظومة]

١٢٥- فَافْهَمْ هَدَاكَ اللهُ مَا ذَكَرْتُهُ   في كُلِّ ذَا النَّظْمِ وَمَا قَرَّرْتُهُ

١٢٦- وَلَا تَجِدْ عَنِ الصَّوَابِ أَصْلا   فَإِنْ لَزِمْتَهُ أُثِبْتَ فَضْلا

١٢٧- فَهَذِه تَذْكِرَةٌ لِمَنْ غَفَلْ   عَنْ ذَا، وَلِلَّذِي عَنِ الحَقِّ عَدَلْ

(١٢٩) وأركان الأذان: ألفاظه وكلماته، مرتبة متوالية، خالية من اللحن، يرتلها ويقف على أواخر كل جملة منه سلكًا استحباباً، وقد اختلفت أقوال جمهور الفقهاء في ألفاظ الأذان، فذهب الحنفية والحنابلة إلى أن ألفاظ الأذان خمسة عشر لفظاً، وهي: (الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، أشهد أن لا إله إلا الله، أشهد أن لا إله إلا الله، أشهد أن محمداً رسول الله، أشهد أن محمداً رسول الله، حي على الصلاة، حي على الصلاة، حي على الفلاح، حي على الفلاح، الله أكبر، الله أكبر، لا إله إلا الله)، وذهب المالكية إلى أن ألفاظه سبعة عشر، وذلك بحذف تكبيرتين من أوله وترجيع الشهادتين، أما الشافعية فألفاظ الأذان عندهم تسعة عشر مع ترجيع الشهادتين، والترجيع سنة عند المالكية والشافعية لحديث أبي محذورة، ومباح عند الحنابلة، فلو تركه صح الأذان، وكذا التثويب في صلاة الفجر (الصلاة خير من النوم) مرتين، سنة عند الجمهور. انظر: الاختيار ١: ١٤٠، المجموع ٣: ٦٩، الذخيرة ٢: ٤٤، الإنصاف للمرداوي ١: ٤١٢.

(١٣٠) أي: أركان الأذان.

(١٣١) وقد سبقت صور من التغيير بلفظ التكبير، إلا أن هناك صور أخرى من التغيير تختص بالأذان، كمد همزة أشهد استفهاماً، أو تحويل الدال [من أشهد إلى تاء، أو الوقوف على: لا إله، ثم البدء بـ: إلا الله، عدم إدغام التنوين من (محمداً) بالراء، مد الحاء من (حي)، أو إسقاط الهاء من (الصلاة)، أو إسقاط الحاء من (الفلاح) فتصبح الفلا. انظر: الذخيرة ٢: ٥٧.

(١٣٢) لمجيئه بمعان منافية للحق والصواب.

(١٣٣) في نسخة (ب): بمعلوم.

(١٣٤) أي: بأجر يجريه ولي الأمر عليه من بيت مال المسلمين. والأصل أن كل طاعة يختص بها المسلم فلا يجوز الاستئجار عليها، كالإمامة والأذان والحج وتعليم القرآن والجهاد، إلا أن المتأخرين من الفقهاء أجازوا الاستئجار على الطاعات، على تفصيل عندهم، ومنع ذلك الحنابلة، والأصل في المنع هو حديث عثمان بن أبي العاص رضي الله عنه قال: قلت: يا رسول الله اجعلني إمام قومي، فقال: "أنت إمامهم، واقتد بأضعفهم، واتخذ مؤذنًا لا يأخذ على أذانه أجرًا" أخرجه أحمد في المسند ٤: ٢١، وأبو داود برقم ٥٣١، والترمذي برقم ٢٠٩ وقال: حسن صحيح، والنسائي برقم ٦٧٢، والحاكم برقم ٧٢٢ وقال: إسناده صحيح على شرط مسلم ووافقه الذهبي. وانظر: الدر المختار للحصكفي ١: ٥٨٨، الذخيرة ٢: ٦٦، المجموع ٣: ٩٤-٩٥، روضة الطالبين ١: ٣١٥، كشاف القناع ١: ٣٦٤.

(١٣٥) أي: من الأجر له، وذلك لعدم أهليته للقيام بالعمل الذي استؤجر من أجله.

١٢٨- أَوْرَدتُّهَا نَصِيحَةً فَمَنْ عَمِلْ بِهَا نَجَا مِنَ الْعَذَابِ وَقُبِلْ

١٢٩- هَذَا، وإنِّي سَائِلُ الإِخْوَانِ لَا سِيَّمَا جَمَاعَةَ الأَذَانِ

١٣٠- أَمَدَّهُم رَبِّي بِالإِنْعَامِ وَالفَضْلِ والتَّوْفِيْقِ وَالإِكْرَامِ

١٣١- أَن يُشْرِكُوْنِي فِي دُعَا الأَسْحَارِ[١٣٦] وَغَيْرِهِ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ[١٣٧]

١٣٢- فَالسَّادَةُ المُؤَذِّنُونَ قَاطِبَهْ دَعْوَتُهُمْ بِالخَيْرِ لَيْسَتْ خَائِبَهْ[١٣٨]

١٣٣- إِذِ الأَذَانُ فَضْلُهُ لا يُحصَرُ[١٣٩] وقَالَ مَنْ لِفِقْهِنَا قَدْ حَرَّرُوا:

١٣٤- /فَضِيلَةُ الأَذَانِ فِي القِيَامَهْ[١٤٠] أَعْظَمُ مِنْ فَضِيلَةِ الإِمَامَهْ[١٤١]

[ب/٣]

١٣٥- واللهَ جَلَّ أَسْأَلُ السَّلامَهْ فِي الدِّيْنِ والدُّنْيَا مَعَ الكَرَامَهْ

١٣٦- وأَنْ يُعِيْذَنَا مِنَ المَلَامَهْ وَمُوْجِبَاتِ الخِزْيِ وَالنَّدَامَهْ

١٣٧- وَكَانَ ذَا النَّظْمُ الَّذِي مِنْ كَامِلِ كَمَا بِذَا يَشْهَدُ كُلُّ فَاضِلِ

١٣٨- لَمَّا قَضَى بِذَاكَ جُزْءٌ ظَهَرَا فِي ثَامِنِ الأَبْيَاتِ لَيْسَ مُضْمَرَا

١٣٩- وآخر أيضًا لذاك أثبتا في سابع[١٤٢] من بعد الثمانين أتى

---

(١٣٦) فسؤال الدعاء من أهل الصلاح من المؤمنين مستحب مشروع، فقد ثبت عَنْ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قَالَ: اسْتَأْذَنْتُ النَّبِيَّ ﷺ فِي الْعُمْرَةِ فَأَذِنَ لِي، وَقَالَ: "لا تَنْسَنَا يَا أُخَيَّ مِن دُعَائِكَ"، فَقَالَ كَلِمَةً مَا يَسُرُّنِي أَنَّ لِي بِهَا الدُّنْيَا. أخرجه أبو داود في الصلاة برقم ١٤٩٨، والترمذي في الدعوات برقم ٣٥٦٢، وابن ماجه في المناسك برقم ٢٨٩٤.

(١٣٧) فعن أبي الدرداء رضي الله عنه أن النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَقُولُ: "دَعْوَةُ الْمَرْءِ الْمُسْلِمِ لِأَخِيهِ بِظَهْرِ الْغَيْبِ مُسْتَجَابَةٌ، عِنْدَ رَأْسِهِ مَلَكٌ مُوَكَّلٌ كُلَّمَا دَعَا لِأَخِيهِ بِخَيْرٍ قَالَ الْمَلَكُ الْمُوَكَّلُ بِهِ: آمِينَ وَلَكَ بِمِثْلٍ" أخرجه مسلم فالذكر والدعاء برقم ٢٧٣٣.

(١٣٨) ففي مسند الإمام أحمد ٣: ٣٤٢ عن جابر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: "إذا ثُوِّب بالصَّلاة فُتحتْ أبوابُ السماءِ واستُجيْبَ الدُّعاء" والحديث حسن لغيره، وفي المستدرك للحاكم ١: ٧٣١ برقم ٢٠٠٤ عن أبي أمامة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: "إذا نادى المنادي فتحت أبواب السماء واستجيب الدعاء.." وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

(١٣٩) والأحاديث في فضل المؤذنين كثيرة، منها: عن سَعِيدٍ الْخُدْرِيَّ رضي الله عنه قَالَ: قال رسول الله ﷺ: "إِنَّهُ لا يَسْمَعُ مَدَى صَوْتِ الْمُؤَذِّنِ جِنٌّ وَلَا إِنْسٌ وَلَا شَيْءٌ إِلَّا شَهِدَ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ". أخرجه البخاري في الأذان برقم ٥٨٤. وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: "لو يعلمُ النَّاسُ ما في النِّداء والصفِّ الأوَّل ثمَّ لم يجدوا إلاَّ أن يستهموا عليه لاستهموا" رواه البخاري برقم: ٥٩٠، ومسلم برقم: ٤٣٧.

(١٤٠) احتجَّ من رجَّح الأذان على الإمامة بما سبق ذكره من الأحاديث، وبحديث معاوية رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: "المؤذنون أطولُ النَّاس أعناقًا يوم القيامة" رواه مسلم في صحيحه برقم٣٨٧.

(١٤١) ذهب الحنفية إلى أفضلية الإمامة على الأذان لمواظبة النبي ﷺ عليها والخلفاء الراشدين من بعده، واختلف القول عند المالكية والشافعية، وصحح النووي في المنهاج تفضيل الأذان على الإمامة، وهو أصح الروايتين عن أحمد. انظر: الدر المختار ١: ٥٦؛ وحاشية الطحطاوي ص ١٢٨؛ والذخيرة ٢: ٦٢؛ روضة الطالبين ١: ٣١٤؛ مغني المحتاج ١: ٣٢٥؛ كشاف القناع ٢٧٤ -٢٧٥.

(١٤٢) في نسخة (ب): في الثاني من بعد الثمانين أتى

١٤٠- أَوَاسِطَ المُحَرَّمِ الحَرَامِ مِن عَامِ زَالَتْ عَاتِيَاتُ (ظَامِي)[١٤٣]

١٤١- وقَالَه رَاجِي رِضَى العَلِيّ: (أحمدُ نَجْلُ أحمدَ الطُّيبِيّ)

١٤٢- عَفَا الإلَهُ عَنْهُمَا بِرَحْمَتِهْ وَفَضْلِهِ وَجُودِهِ وَمِنَّتِهْ

١٤٣- [وعن جميعِ المسلمين ورَحِم وجَادَ بالغُفْرَان عَمَّا قد عَلِمْ][١٤٤]

١٤٤- وَالحَمْدُ للهِ العَلِيِّ الأكبَرِ ثُمَّ عَلَى خَيْرِ الأَنَامِ الأَنْوَرِ

١٤٥- [نَبِيِّنَا الهَادِي الشَّفِيْعِ أَحْمَدَا مِنْهُ صَلاةٌ مَعَ سَلامٍ سَرْمَدَا

١٤٦- وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَمَن تَبِعْ مَا انقَادَ مُسْلِمٌ لِحَقٍّ وسَمِعْ][١٤٥]

---

(١٤٣) وهذا تأريخ على طريقة الحروف الأبجدية: (أبجد هوز حطي كلمن سعفص قرشت ثخذ ضظغ)، حيث يقابل كل حرف منها برقم، فالحروف العشرة الأولى تقابل بأرقام الآحاد، والعشرة الثانية بالعشرات، أما بقية الحروف فتقابل بالمئات، فكلمة ظامي تؤرخ لفراغه من نظم هذه الأرجوزة، ظ= ٩٠٠، أ = ١، م= ٤٠، ي= ١٠، ومجموعها يساوي: ٩٥١، وهو التأريخ الهجري للانتهاء من هذه الأرجوزة: أواسط شهر المحرم من سنة ٩٥١هـ.

(١٤٤) هذا البيت ليس في نسخة (ب).

(١٤٥) هذا البيت والذي قبله من نسخة (ب)، وقد سقطا من نسخة (أ).

فهرس المصادر والمراجع

- الاختيار لتعليل المختار، للإمام عبد الله بن محمود الموصلي (ت٦٨٣هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، أحمد برهوم، عبد اللطيف حرز الله؛ نشر دار الرسالة العالمية - دمشق؛ ط١/ ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م.
- الأشباه والنظائر في قواعد وفروع فقه الشافعية، للإمام جلال الدين عبد الرحمن السيوطي ت٩١١هـ تحقيق محمد المعتصم بالله البغدادي، نشر دار الكتاب العربي، ط١/١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.
- الأعلام، لمحمد خير الدين الزركلي، نشر دار العلم للملايين - بيروت، الطبعة الخامسة عشر.
- الإعلام بقواطع الإسلام من قول أو فعل أو نية أو تعليق مكفر؛ لأبي العباس أحمد بن محمد بن علي بن حجر المكي الهيتمي (ت٩٧٤هـ)، تحقيق: محمد عواد العواد، نشر دار التقوى - دمشق، ط١/ ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٨م.
- الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف على مذهب الإمام أحمد، لعلاء الدين أبي الحسن علي بن سليمان المرداوي (ت٨٨٥هـ)، تحقيق: محمد حامد الفقي، نشر دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط/١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.
- إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون؛ لأسماعيل باشا بن محمد أمين الباباني أصلاً البغدادي مولداً وسكناً، نشر دار العلوم الحديثة - بيروت - لبنان.
- تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، لشمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي ت٧٤٨هـ؛ تحقيق د. عمر عبد السلام تدمري، نشر دار الكتاب العربي، لبنان - بيروت، ط١/ ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.
- تحفة المحتاج بشرح المنهاج، لشهاب الدين أبي العباس أحمد بن محمد بن علي بن حجر الهيتمي (ت٩٧٤هـ)، تحقيق عبد الله محمود عمر محمد، نشر دار الكتب العلمية بيروت - لبنان.
- تراجم الأعيان من أبناء الزمان، للحسن بن محمد البوريني ت١٠٢٤هـ تحقيق الدكتور صلاح الدين المنجد، من منشورات ومطبوعات المجمع العلمي العربي بدمشق سنة ١٩٥٩م.
- التلخيص الحبير في تخريج أحاديث الرافعي الكبير؛ لأبي الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد ابن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ)، نشر دار الكتب العلمية - بيروت، ط١/١٤١٩هـ .١٩٨٩م.
- الجامع لأحكام القرآن؛ لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (ت٦٧١هـ)، تحقيق: هشام سمير البخاري، نشر دار عالم الكتب - الرياض، ط/ ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م.
- جامع البيان في تأويل القرآن؛ لأبي جعفر الطبري محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي ت٣١٠هـ تحقيق أحمد محمد شاكر، نشر مؤسسة الرسالة - بيروت، ط١/ ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.
- حاشية البيجرمي على الخطيب (تحفة الحبيب على شرح الخطيب)، لسليمان البيجرمي؛ نشر مكتبة مصطفى البابي الحلبي - مصر؛ ط/ ١٣٧٠هـ - ١٩٥١م.

- حاشية الدسوقي على الشرح الكبير؛ لمحمد بن أحمد بن عرفة الدسوقي ت١٢٣٠هـ؛ نشر دار الكتب العلمية ـ بيروت، ط١/ ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٦م.
- حاشية الطحطاوي على الدر المختار؛ لأحمد الطحطاوي الحنفي، نشر دار المعرفة ـ بيروت ـ لبنان، ط/١٣٩٥ه ١٩٧٥م.
- حاشية العدوي على كفاية الطالب الرباني، للشيخ علي الصعيدي العدوي، نشر دار الفكر.
- حاشية الطحطاوي على مراقي الفلاح شرح نور الإيضاح؛ لأحمد بن محمد بن إسماعيل الطحطاوي الحنفي ت١٢٣١هـ نشر المطبعة الكبرى الأميرية ببولاق ـ مصر، ط/١٣١٨هـ.
- الدر المختار شرح تنوير الأبصار وجامع البحار، لمحمد بن علي بن محمد الحِصْني المعروف بعلاء الدين الحصكفي الحنفي (ت ١٠٨٨هـ)، تحقيق عبد المنعم خليل إبراهيم، نشر دار الكتب العلمية ـ بيروت، ط١/ ١٤٢٣هـ ـ ٢٠٠٢م.
- الذخيرة، لشهاب الدين أحمد بن إدريس القرافي (ت٦٨٤هـ)، تحقيق سعيد أعراب، نشر دار الغرب الإسلامي ـ بيروت، ط١: ١٩٩٤م.
- الرسالة القشيرية، للإمام أبي القاسم عبد الكريم القشيري، تحقيق الدكتور عبد الحليم محمود، ومحمود بن الشريف، نشر دار الكتب الحديثة ـ مصر، مطبعة الإحسان.
- روضة الطالبين؛ لأبي زكريا يحيى بن شرف النووي الدمشقي ت ٦٧٦هـتحقيق عادل أحمد عبد الموجود، وعلي محمد معرض، نشر دار الكتب العلمية بيروت – لبنان.
- سنن ابن ماجه، محمد بن يزيد أبو عبد الله القزويني، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، نشر دار الفكر – بيروت.
- سنن أبي داود، سليمان بن الأشعث السجستاني الأزدي، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، وتعليقات كَمَال يوسُفْ الحوْت، نشر دار الفكر ـ بيروت.
- سنن الترمذي (الجامع الصحيح)، لمحمد بن عيسى أبي عيسى الترمذي السلمي، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرين، نشر دار إحياء التراث العربي – بيروت.
- سنن النسائي الكبرى؛ لأبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي، تحقيق: د.عبد الغفار سليمان البنداري, سيد كسروي حسن، نشر دار الكتب العلمية – بيروت، ط/ ١٤١١هـ ـ ١٩٩١م.
- سير أعلام النبلاء؛ لأبي عبد الله شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (ت ٧٤٨هـ)، تحقيق: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط نشر مؤسسة الرسالة ـ بيروت، ط١٣/٩ ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٣م.
- شذرات الذهب في أخبار من ذهب؛ لأبن العماد عبد الحي بن أحمد الحنبلي الدمشقي، تحقيق عبد القادر الأرناؤوط ومحمود الأرناؤوط نشر دار ابن كثير ـ دمشق.ط١٤١٤/١هـ ـ ١٩٩٣م.

- شرح الشفا في شمائل صاحب الاصطفا r، لمحمد بن سلطان ملا علي القاري ت١٠١٤هـ تحقيق حسنين محمد مخلوف، نشر مطبعة المدني - القاهرة.
- الشفا بتعريف حقوق المصطفى، للقاضي أبي الفضل عياض بن موسى اليحصبي ت ٥٤٤هـ تحقيق علي محمد البجاوي، نشر دار الكتاب العربي - بيروت.
- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية؛ لأسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، نشر دار العلم للملايين - بيروت – لبنان، ط٤/ ١٤٠٧ هـ ١٩٨٧م.
- صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان؛ لأبي حاتم محمد بن حبان بن أحمد التميمي البستي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، نشر مؤسسة الرسالة – بيروت، ط٢/١٤١٤هـ ١٩٩٣م.
- صحيحُ ابن خُزَيمة؛ لأبي بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة بن المغيرة بن صالح بن بكر السلمي النيسابوري (ت ٣١١هـ)، تحقيق: الدكتور محمد مصطفى الأعظمي، نشر المكتب الإسلامي، ط٣/ ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م.
- صحيح مسلم بشرح النووي، نشر دار الكتاب العربي - بيروت - لبنان، ط/١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.
- طبقات الشافعية الكبرى؛ لتاج الدين أبي نصر عبد الوهاب السبكي ت٧٧١هـ تحقيق: عبد الفتاح الحلو ومحمود الطناحي، نشر مطبعة عيسى البابي الحلبي - مصر.
- غاية النهاية في طبقات القراء للإمام شمس الدين أبي الخير محمد بن محمد بن الجزري ت٨٣٣هـ، نشر مكتبة الخانجي بمصر باعتناء ج. برجستراسر، ط/١٣٥١هـ - ١٩٣٢م.
- فتح الوصيد في شرح القصيد لعلم الدين أبي الحسن علي بن محمد السخاوي ت٦٤٣هـ تحقيق: د. مولاي محمد الإدريسي الطاهري، نشر مكتبة الرشد - بيروت، ط/١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.
- فتح الباري شرح صحيح البخاري؛ لأبي الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني الشافعي، نشر دار المعرفة - بيروت، ط/ ١٣٧٩هـ.
- الفواكه الدواني على رسالة ابن أبي زيد القيرواني؛ لأحمد بن غنيم بن سالم النفراوي (ت١١٢٦هـ)، تحقيق رضا فرحات، نشر مكتبة الثقافة الدينية.
- كتاب المجموع شرح المهذب؛ لأبي زكريا يحيى بن شرف النووي ت٦٧٦هـ تحقيق: محمد نجيب المطيعي، نشر دار عالم الكتب - الرياض، ط/ ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م.
- كشاف القناع، للشيخ منصور بن يونس البهوتي الحنبلي ت ١٠٥١ هـ تحقيق: محمد حسن محمد حسن اسماعيل الشافعي، نشر دار الكتب العلمية - بيروت – لبنان، ط/ ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧م.
- الكواكب السائرة بأعيان المئة العاشرة، للشيخ نجم الدين الغزي ت١٠٦١هـ تحقيق جبرائيل جبور، نشر محمد أمين دمج - بيروت.
- لسان العرب، لمحمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري، نشر دار صادر – بيروت، الطبعة الأولى.

- مجمع الأنهر في شرح ملتقى الأبحر، لعبد الرحمن بن محمد بن سليمان الكليبولي المدعو بشيخي زاده، (ت ١٠٧٨هـ)، تحقيق: خليل عمران المنصور، نشر دار الكتب العلمية ـ بيروت،، ط/ ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٨م.
- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، لنور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي، نشر دار الفكر ـ بيروت، ط/١٤١٢ هـ.
- المحيط البرهاني، لبرهان الدين محمود صدر الشريعة ابن مازه البخاري (ت٦١٦هـ)، تحقيق نعيم أشرف نور أحمد، نشر إدارة القرآن والعلوم الإسلامية، وطبه مؤسسة نزيه كركي ـ بيروت، ط١/ ١٤٢٤هـ ـ ٢٠٠٤م.
- مختار الصحاح، لمحمد بن أبي بكر بن عبدالقادر الرازي، تحقيق: محمود خاطر، نشر مكتبة لبنان ناشرون – بيروت، ط/ ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٥م.
- المستدرك على الصحيحين؛ لأبي عبد الله محمد بن عبدالله الحاكم النيسابوري، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، تعليقات الذهبي في التلخيص، نشر دار الكتب العلمية – بيروت، ط١/١٤١١هـ ـ ١٩٩٠م.
- مسند أحمد بن حنبل أبي عبدالله الشيباني، نشر مؤسسة قرطبة – القاهرة، الأحاديث مذيلة بأحكام شعيب الأرنؤوط عليها.
- المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي؛ لأحمد بن محمد بن علي المقري الفيومي، نشر المكتبة العلمية – بيروت.
- معالم التنزيل، لمحيي السنة، أبي محمد الحسين بن مسعود البغوي ت ٥١٦ هـ تحقيق: محمد عبد الله النمر ـ عثمان جمعة ضميرية ـ سليمان مسلم الحرش، نشر: دار طيبة للنشر والتوزيع ـ الرياض، ط٤/ ١٤١٧ هـ ـ ١٩٩٧م.
- معجم المؤلفين تراجم مصنفي الكتب العربية، لعمر رضا كحالة، نشر مكتبة المثنى ودار إحياء التراث العربي ـ بيروت.
- المعجم الكبير؛ لأبي القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب الطبراني، تحقيق: حمدي السلفي، نشر مكتبة العلوم والحكم – الموصل، ط٢/١٤٠٤ – ١٩٨٣م.
- معرفة القراء الكبار للإمام شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي ت٧٤٨هـ تحقيق: بشار عواد معروف، شعيب الأرنؤوط صالح مهدي عباس، نشر مؤسسة الرسالة ـ بيروت، ط١/١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٤م.
- المغني في فقه الإمام أحمد بن حنبل الشيباني؛ لأبي محمد عبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسي، نشر دار الفكر – بيروت، ط/ ١٤٠٥هـ .

- مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج؛ لشمس الدين محمد بن محمد الخطيب الشربيني؛ تحقيق: علي معوض، وعادل عبد الموجود، نشر دار الكتب العلمية - بيروت، ط١/ ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م.
- المغني في فقه الإمام أحمد بن حنبل الشيباني؛ لأبي محمد عبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسي، نشر دار الفكر – بيروت، ط١/ ١٤٠٥هـ .
- مفاتيح الغيب، للإمام فخر الدين محمد بن عمر التميمي الرازي الشافعي، نشر دار الكتب العلمية – بيروت، ط١/١٤٢١هـ - ٢٠٠٠ م.
- مِنَح الروض الأزهر في شرح الفقه الأكبر، للعلامة علي بن سلطان محمد القاري (ت١٠١٤هـ)، تعليق الشيخ وهبي سليمان الغاوجي، نشر دار البشائر الإسلامية - بيروت، ط٢/١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م.
- منح الجليل شرح على مختصر سيد خليل، للشيخ محمد عليش، نشر دار الفكر - بيروت، ط/١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م.
- منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعةو القدرية؛ لأبي العباس أحمد بن تيمية ت٧٢٨هـ تحقيق: محمد رشاد سالم، نشر جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية - السعودية، ط/١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.